من يفرك الصدأ؟

او حسين مردان في

مقالات له ونثر مركز وشعر ١٩٦٨ - ١٩٧٢

د . علي جواد الطاهر

دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ١٩٨٨

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»
رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

من يفرك الصدأ؟

او حسين مردان في مقالات له

نثر مركز وشعر ١٩٦٨ - ١٩٧٢

د. علي جواد الطاهر

الطبعة الاولى - لسنة ١٩٨٨

المقدمة

حسين مردان شاعر ، وشاعر معدود مشهور في العراق ، وجريء ومجدد ، وهو الى ذلك محبوب ، حلو المعشر ، نقي السريرة يضحك ، اذا ضحك ، من كل قلبه ، ويصخب اذا يصخب لينتهي الى هدوء عجيب.. أما ما يشاع عنه من سوء فمبالغ فيه ومختلق وصادر عن سوء فهم ...

بدأ حياته على جانب كبير من فقر الجيب ، واختار لنفسه التشرد ، واذا كان ميلاده وعيشه الاول في بلدة صغيرة ، فانه جازف بنفسه فألقى بها في بغداد مستعدا لكل ما يطرأ ويفجأ وهمه الاول أن يكون أديبا ، شاعرا ، فنجح في التجربة وصار أديبا شاعرا فعلا ، لا يشك أحد في موهبته الأدبية ، وعرف شاعرا قبل كل شيء ، وله معجبون أكثر مما يتصور المتصورون ..

دلف الى الصحافة من أضيق أبوابها ليكسب الكفاف من خبز يومه وليكن عمله ما يكون وليبدأ ــ اذا بدأ ــ بتصحيح البروفات ...

وطبيعي أن يجر ذلك الى كتابة الخبر ، وتجر كتابة الخبر ــ وهو الكثير المناقشة والطموح والقراءة ــ الى كتابة المقالة ، فليكتبها في الجرائد التي عمل فيها ، ولكنها مقالة صحفية ، مقالة خبر أو رأي أو تلخيص كتاب ... دون أن تخلو أحيانا من لمحة ذاتية لأن اسم كاتبها : حسين مردان .

ويبدو أنه لم يأخذ المقالة مأخذ الجد ، لأن همه الاول ــ والأخير ــ الشعر ، ولانه لم ينفذ الى المقالة من شاعريته بشاعريته ، ولم يفكر في أنه يرى فيها ما يهيىء مجدا ويحقق شهرة أو ما يمكن أن يكون فنا ، ومزيجا من النثر والشعر ...

ولعله لم يكن يقرأ المقالات الانشائية التي تهبط على العراق من مصر قراءة جد واعجاب ، كما لم يكن فيمن يعاشرهم من يرى الخلق النثري في النوع المقالي ..

مقالاته الصحفية كثيرة ، ولكنها في تكوينها العام صحفية فقط فيها الرأي أو الخبر أو الخلاصة ، وقلما دخلت دائرة الابداع ، وكيف تدخل وهو يبدو في سيرته وتفكيره كمن يفصل فصلا تاما بين الشعر والمقالة .

ولا بأس في أن تجمع هذه المقالات وتنشر في كتاب للدلالة على حسين مردان نفسه وللدلالة على الحياة الأدبية والفكرية والسياسية في العراق .

لا بأس ...

ولكن الذي يجب أن يجمع ، والبأس كل البأس في أن يهمل مقالات كتبها خاصة في مجلة « ألف باء » خلال نحو من أربع سنوات (١٩٦٨–١٩٧٢) — هي الاخيرة من عمره — لما في هذه المقالات من فن، ومن نفس شعري ، ولو قلت إنه يكتبها في جو شاعري وقصد فني ، وتعويضا عن كتابة قصيدة أو نثر مركز ... لما أبعدت ،

ومضى يوطد فنه من مقالة الى مقالة حتى أتى بما يندر أن تجد مثله في المقالة العراقية بل في المقالة العربية ، وما يمكن أن يدرس صاحبه فيه دراسة خاصة مع وقفة طويلة لتبين مسارب الإبداع فيه ، صحيح أنه في المبدع من مقالاته شاعرا أكثر منه كاتبا ، وربما كان شاعرا أكثر مما هو في قصائده ونثره المركز ، صحيح ، ولكنها مقالات على أية حال ...

وأحسب أنه كان يعي القيمة الفنية لما يكتب أو يعي — في الاقل — إمكان الفن في العمل المقالي . ولعله كان يتلقى الثناء من أصدقائه وقرائه فيشجعه ذلك على الاستمرار — ولنتذكر أنه يكتب الآن في مجلة

أسبوعية تقصد الى الامتاع ، وتعاصر مجلات اسبوعية لبنانية تفسح للمقالة الانشائية مجالا مرموقا .

انه يمتع ، ويحتفل بما يكتب ، ومن أدلة احتفاله هذا أن يحتفظ به كما يحتفظ بقصائده . وما كان يفعل ذلك من قبل ... وليكن هذا الاحتفال مضطربا ، ولكنه احتفاظ واحتفال ، ومتى كان حسين مردان على الاصول من منهج الحياة والأدب .

ومضى في الاحتفاظ خطوة أخرى بأن ألّف بين عدد من مقالاته تلك وجمعها وأعدها وقدمها الى وزارة الاعلام لتطبعها على حسابها فوافقت الوزارة وأخذت المجموعة طريقها الى المطبعة وقوامها ٧٩ مقالة مما كتبه بين ١٩٦٨ــ١٩٧١ دون أن يحتوي ذلك المجموع ما كتبه كله ودون أن يرتبه ترتيبا زمنيا أو أي ترتيب .

قدم الكتاب الى الوزارة وقد سماه : الأزهار تورق داخل الصاعقة ، وواصل الكتابة في « الف باء » .

ولكن الذي حدث أنه لم ير الكتاب كتابا مطبوعا ، فقد توفي سنة ١٩٧٢ ، وصدر الكتاب يوم وفاته أو خلال أيام من رحيله .

وقد عز فقده على عارفيه فرثوه بما هو أهله ، وبقي قدر من آثاره غير مجموع في كتاب ...

وبعد نحو من اثنتي عشرة سنة من الرحيل فكرت مجلة « الاقلام » في أن تصدر ملفا خاصا بحسين مردان ودعت كاتب هذه السطور الى الإسهام فيه ، ولعلها اختارت له موضوع « مقالاته » ، فاستجاب مرحباً وعاد الى « الأزهار تورق داخل الصاعقة » والى « ألف باء » (١٩٦٨ ــ ١٩٧٢) فرأى في مقالاته من الابداع ما يستدعي التقدير والدرس والتنويه ، هذا كاتب مقالة عراقي يا من يبحث عمن يكتب المقالة في العراق .

كتبت المقالة ــ إذاً ــ مقالة « حسين مردان ... مقالياً » ، وصدر عدد « الأقلام » وهو الحادي عشر من سنتها التاسعة عشرة (كانون الاول ١٩٨٤) ، ولقي المقال صدى حسنا ... ورأى فيه القرّاء مقالا آخر على المقال ..

نشر المقال ، ولكن جملة ما قرأته له في « ألف باء » من مقالات وقصائد ونثر مركز بقيت في الذهن وفي النفس ، وأسفت أن تبقى مطوية بعيدة عن التناول والجمع ، بعيدة عن القراء والباحثين ، فتقدمت الى لجنة التعضيد بالمديرية العامة للشؤون الثقافية بوزارة الثقافة والاعلام أستثيرها الى نشر المطوي من آثار الراحل الكريم وتوجهت اليها في ٢٨ــ٧ــ١٩٨٤ بهذا الكتاب :

« لجنة تعضيد النشر بوزارة الثقافة والاعلام المحترمة
تحية طيبة ورجاء بالنجاح

وبعد :

فقد كان الأديب الشاعر : حسين مردان قد عمل في مجله « ألف باء » نحواً من أربعة أعوام بدءاً بعام ١٩٦٨ حتى وفاته . وقد واصل ، خلال هذه المدة ، نشر مقالات قصيرة (بمعدل ثلثي الصفحة من صفحات المجلة) . وربما انقطع في بعض الاعداد ، وربما عوض عن المقالة بقصيدة أو نثر مركز ، فكان مجموع ما نشر من المقالات في حدود الـ ١٥٠ مقالة ، ومن الشعر والنثر المركز في حدود الـ ٣٠ مقطوعة .

أخذ من مقالاته ــ على غير منهج فيما يبدو ــ (١٠٠)[1] مقالة وجمعها في كتاب قررت وزارة الاعلام طبعه على نفقتها ... وقد صدر عام ١٩٧٢ بـ ٢٣٦ صفحة من الحجم المتوسط بعنوان « الأزهار تورق داخل الصاعقة » وظل الباقي من المقالات (وهو بقدر النصف مما طبع)[2]

وشعر ونثر مركز حبيس صفحات المجلة بعيدا عن أيدي القراء والدارسين وعرضة للضياع •

وحين توفي الأديب الشاعر ••• ارتفع أكثر من صوت مخلص يدعو الى العناية بتراث حسين مردان وجمع ما كان نظمه وكتبه (ولم يصدر في كتاب) •• لنشره • ولكن الدعوة السليمة بقيت حيث هي ولم تجد من يخطو بها نحو التنفيذ • وقد يكون من العوائق دون هذا التنفيذ ما يرجع الى السبب المالي •

ما زالت الدعوة قائمة تنتظر من يحققها كلاً أو جزءاً • ويبدو أن لا بد من مبادرة لجنة التعضيد • وإذا صعب الالتزام بالمشروع كاملا ، أمكن تجزئته في حدود الممكن ، وضمن هذا الممكن لي اقتراح أتقدم به الى اللجنة المحترمة لترى رأيها وتجري ما تراه مناسبا •

خلاصة الرأي ـ في هذه الخطوة ـ أن يُجمع ما نشره حسين مردان في « ألف باء » ـ باستثناء ما سبق صدوره وأشير اليه ـ في كتاب تتبنى طبعه والإنفاق عليه وزارة الثقافة والاعلام ، وقد يكون المناسب أن يستعاض عن الكتاب الواحد بكتيّبين • الاول : للمقالات ، والثاني : للقصائد والنثر المركز •

وللجنة المحترمة أن تكل ذلك الى من تراه أهلا للتنفيذ (السريع) ، ولا يرى صاحب الاقتراح ـ هنا ـ بأسا من إعلان استعداده للعمل ، على أن المهم في القضية هو الجمع والنشر ، وليس مهما أن يكون فلاناً أو فلاناً •

وتفضلوا بمزيد التقدير » •

اطّلعت لجنة التعضيد على الاقتراح وأقرّته ووكلت تنفيذه الى صاحب الطلب وثبتت ذلك في محضر جلستها ، وأيد المحضر السيد المدير العام •••

ولكن قرار الـوزارة بتأجيل تنفيذ مشروعات من هـذا النوع دعـا الى الاكتفاء بتبليغ مقدم الطلب شفهيا وبانتظار فرصة مناسبة .

وها هي ذي الفرصـة المناسبة تبدو ، فقد أعلنت الـوزارة في بدء عام ١٩٨٦ انفتاحا واسـعا على النشر زاد من توطيده إنشاء « دار الشؤون الثقافية العامة » جامعة بين المديرية العامـة للشؤون الثقافية ودار آفاق عربية ... مما اسـتثار الموضوع مجددا في نفس مقـدم الطلب ، ولكنه رأى أن يترك ما كان من شعر ونثر مركز لكتيِّب مستقل يتولاه مهتـم بالشعر خاصة ، وأن يستقل هو بالمقالـة . وفي ذلك ما يسهل العمـل ويعجل في انجـازه .

وهكذا كان ...

فجمع المقالات وقد بلغت أربعا وستين زاد عليها مقالة دعاها كاتبها « قصة قصيرة » وكان في سبب الزيادة هذه الحرص على الاحتفاظ بها في سياقها التاريخي والفني ولأنها تبقى مقالة ضمن مقالات وإلا فان الطابع القصصي من بعض ما يميز المبـدع من مقالات حسـين مردان منسـابا في الطابع الشـعري .

ولم يطل التفكـير في اختيـار اسـم لمجمـوع المقـالات الخمس والستين ، فقد فرضت من بينها مقالة رائعة نفسها عنوانا للكتاب هي : « من يفرك الصدأ ؟ » . وأحسب لو أن « أبا علي » كان حيّا لرحّب بهذا الاختيـار .

بقي أن نعلـم أن المقـالات الخمس والسـتين ليست كلها إبداعـا مقاليـا . والأمر طبيعي مـع أي كاتب ، ومع كاتب شـاعر اسمه حسـين مردان خصوصـا . فاذا خرجت المبدَعـة الى الشـعر ، ففي المقـالات الأخرى ما يدخل في التعليم المباشـر برأي أو بمعرفة ويصدر عن الذهـن قبل القلب ، وعن مادة الكتب قبل مـادة الانفعال . وأبرز ما يذكـر من

هذا ، الكلام الوارد في حلقات « المدارس الفنية » • وتقول : أين لحسين مردان هذا الكلام على المدارس ؟ والسؤال وجيه • ولا شك في أن الرجل كان كثير القراءة ، كثير المناقشة ، محبّاً للاستطلاع ، والفن لا يبتعد عن الشعر ، والثقافة الفنية لا تبتعد عن الثقافة الأدبية ، وكان في عشراء حسين مردان فنانون من كل نوع ، في الرسم والنحت والموسيقى • أريد أن أقول ان حسين مردان حين يتحدث بدون ذكر مصادره فانه يوحي الى القارىء بأنه لا يتكلم وحيا • ومع هذا فان هذه المقالات تبقى مرتبطة بذاتية حسين مردان أكثر مما تتخذ مرجعا • ويا حبذا لو تجرد مختص بالمدارس الفنية فجلّى لنا الموقف فيما كان ويكون •

وأولى حسين مردان « البيان الشعري » اهتماما خاصا في رده مما دعا الى طبع هذا البيان ملحقا في هذا الكتاب ليكون القارىء على علم تام بشأنه الى جوار كلمات تزيد في تعريف حسين مردان وقد تبلغ مبلغ الوثيقة •

أقرت « دار الشؤون الثقافية العامة » طبع الكتاب القائم على المقالات ، ولكني لاحظت ـ وبتنبيه من صديق ـ لدى مراجعة تالية أن تسعا من تلك المقالات ـ هي القائمة على البيان الشعري لمجلة شعر ٦٩ ، وعلى الدراسة التأملية لشاكر حسن آل سعيد ـ سبق نشرها في « الأزهار تورق داخل الصاعقة » • وكان طبيعيا أن أخبر « الدار » بذلك لسحبها من الاصل • وقد تم الإخبار ونزل الرقم الى ست وخمسين مقالة •

وجدّت ملاحظة استدعت العودة الى المقترح القديم بجمع الشعر الحر والنثر المركز مع المقالات • وشجع على صحة الملاحظة أن الذي سيزاد لا يتعدى ثلاثين مادة وهو ليس بالكثير على حين يحفظه جمعه

ونشره من الضياع ويقربه من متناول القرّاء والدارسين .

وتحقق المقترح ، وصار لا بـد من مقدمـة ـ ولو موجـزة استعراضية ـ تصل بالمسـيرة الشعرية السابقة عليه . ولكن « المقدمة » طالت نسبيا وخرجت بذلك عن مألـوف المقدمات وحال المنطلـق منها دون أن تكون «دراسة» ... وبدا أن الأولى بها أن تعد «مدخلا»

وهكذا كان ،

وصح العزم على أن يتألف الكتاب من أربعة أقسام هي :

الأول ـ حسـين مردان مقالياً

الثاني ـ مقالات « من يفرك الصدأ ؟ »

الثالث ـ مدخل في المسـيرة الشعرية

الرابع ـ نثر مركز وشـعر حر

وبقيت مواد الملحـق السابقة كما هي . ورفع « المؤلف » منه مادة « البيان الشعري ٦٩ » بعد أن تقرر رفع مقالات حسين مردان في التعليق عليه ومناقشته . تاركا الاستفادة منه أصلا وملحقا لباحث آخر يدخل في صلب عمله .

ثم : لزم مجموع التغيير الجديد تعديلا في العنوان ... وأجدّ أملاً بطبع الأعمال الكاملة .

---

(١) هي لدى الدقة ٧٩ مقالـة .

(٢) هي لدى الدقة ٥٦ مقالة .

حسين مردان... مقاليا

أما إنه أديب ، وإنه شاعر ، وإنه عنصر في حركة أدبية ... فذلك معروف لا نقاش فيه . جدير بالدرس والتثبيت في نطاق الأدب العراقي الحديث ، فليس صحيحا أن يبقى أبو علي الذي لم يكن له ولد ولا زوج، خارج القوس . يعترف به قوم ويتجنبونه ولا يعترف قوم به فيظلمونه أما هو ، عند نفسه ، فشاعر كبير ، أكبر من الآخرين ، عبقري ، ثم انه «كتاتور الادب . انه عبقري عند نفسه وإلا فهو شاعر على كل حال ، ودكتاتور الادب لصراحته ومهاجمته من يشاء ، من يكون ، من دون تردد أو تحفظ ، يفعل ذلك صادقا مع نفسه حتى لو كان في القرار شيء من الضيق إن لم يكن الحسد .

أقول : في القرار ، وأزيد : ربما ، لان أخص صفات « أبو علي » عند عارفيه : الطيبة ، وسلامة النية ، وبراءة الطفولة . وقد يقف قوم عند هذه الصفات وحدها . وأراهم مقصرين ، لان « أبا علي » كان معها : ذكيا ، ذا شخصية ورأي وذوق وعمق ... واطلاع وحب للمعرفة لا يقف عند حد ، وله من تجاربه اليومية ما قلّ أن يمر به أديب من الغرائب عنفا وشذوذا : في بدء حياته ، ومنذ العاشرة وقد ضربته أمه بالمحراث لنظمه أبياتا من الشعر . ومنذ حوالي السابعة عشرة حين هجر بعقوبة ، في الاربعينيات مفلسا شريدا ، الى بغداد تحكمه أحلام جسام في قمتها المجد الادبي . فارتاد مقهى الزهاوي ورأى الرصافي والجواهري والتقى بالشباب وعمل العجيب الغريب من أجل الذي حققه ــ قلّ أو كثر ــ ومنه الجوع والبطالة والبوهيمية ، ومنه الاشتغال « صانعا » في البناء يحمل « قفة الطين » على رأسه ، ومنه السجن مراراً : الأولى ذات مظهر أخلاقي إدانة لديوانه الاول : قصائد عارية (١٩٤٩) . وعلمه السجن أشياء كثيرة بعيدا عن عالم بودلير والياس أبو شبكة والنزوات والسخر مما هو مألوف ونزعات من الوجودية ... بعيدا ، ولكن لا بد من أن

يبقى من الذي ذهب جوهـر ، ولا ولن يفـارق « أبو علي » التمـرد ... حتى لدى الاقتراب التدرجي من عالم يمكن أن يستقر فيه المـرء أو أن يسـتقر فيه الـرأي .

إنه شـاعر في أخص ما يعرف به ، وأخص ما يرى نفسه له . وتتوالى دواوينه بمنهجه الخاص وشخصيته المتميزة ولغته وتعبيراته وتشبيهاته .. واستعاراته وصوره . ومضى به تمرده وشعوره بتفرده وعظـم مطمحه في نفسه واعتداده الى أبعد الحدود فمن فلان ؟ ومن الجواهري ؟!

ولا يتخلص جديده في الرأي وفي الحياة من قديمـه فيهما على سبيل الذكرى أو المقابلة وسبيل المفهوم الفني . وكان كثير المناقشة مع رفاقـه المزمنين : رفاق المشارب والمقاهي .

وعمل في الصحافة على غير ارتباط هنا وهناك ، وبشيء من الارتباط في « صوت الأهالي » ، ثم في « البلاد » و « الاخبار » و «المستقبل».. مصححا ومخبرا ثم كاتبـا للمقالـة (صحفيا) ، وأكثر ما كتبها « نقدية » ملخص فيها ما يقرأ ويعرض ما يرى ويسجل ما يقـع من القراءة في نفسه . ومنها ما نشره منذ عام ١٩٥٢ ثم جمعه في كتاب سماه « مقالات في النقد الأدبي » أصدره سنة ١٩٥٥ .

لم يدل فيه على قرابة في ذهنه بين المقالـة والابداع وكأن المقالـة لديه : هي النثر التعليمي الذي ينقل خبرا ويوصل رأيا . وهو لا ينكر لهذا الضرب من الكتابة فائدته ، فهو نافع .

ولكن هذا شيء والفن شيء آخر . ويتضح مفهومه في كـلام له (ص ٢٨) جاء فيه :

« أما المقال السياسي فهو عمل منظم يستند على العلم ويعتمد على المنطق الصحيح ، وباستطاعة الكاتب السياسي أو الصحفي القدير أن يفيد الشعب ويخدم الوطن أكثر من أي شاعر » [لا يحقق شرائط الشـاعرية

وشرائط القصيـــدة] • لأننا (ص ٣٧) « نرى مثل هـــذا الكلام كثيرا ، نراه في أول تعليق سياسي أو مقال اجتماعي تنشره الصحف اليومية عـــن فلسطين أو اللاجئين » ـ ذكر فلسطين لأنه بصدد نقد قصيدة قيلت في شأن من شؤونها ـ قصيدة (اللاجئة في العيد للجواهري) •

هذا هو مفهومه عن المقال ، وهو ليس من الشعر في شيء •

وللشعر الفني لديه مفهوم واضح (ص ٥٩ـ٦٠) : « ••• ونعني بالهيكل وحدة البناء الفني للقصيدة أي الانسجام بين الصور أي عـدم وجود تخلخل أو فجوات بين صورة وأخرى ليتدرج القارىء شيئا فشيئا الى الصورة الكبرى (•••) القصيدة في الشعر الحديث وحدة متماسـكة تتداخل الصور ببعضها تداخلا فنيا وتمتزج كما تمتزج الخطوط في اللوحة الزيتيـة لتعطينا الصـورة المطلوبـة (الصورة الكلية) صورة الفكرة للقصيدة (•••) ان أكثر قصائد عبدالوهاب مهشمة الهيكل وان السـلك الخفي الذي يربط الصور ببعضها في قصائده لا يبدو الا متقطعا مما يهبط بمستوى القصيدة الفني الى حد كبير • وأرى أن السبب في ذلك يعـود الى اهتمام الشـاعر بعواطفه أكثر من اهتمامه بالعمل الفني فهو يعتقد أن مجرد طرق المواضيع الانسانية (•••) تكفي لإثارة اعجاب القراء ثم وضعه بعد ذلك في قائمة شـعراء الانسانية •

أما طريقـة العرض ، الشكل ، الأداء ، فشيء ثانوي (•••) ولكنني كناقد لا يمكنني أن أتغاضى مطلقا عن قيمة الاطار الفني للقصيدة ، فان هذا الاهمال للشكل قد يجرنا الى الاسفاف والهبوط ، وعندئذ لا نستطيع أن نضع حدا فاصلا بين القصيدة والمقال » •

و (ص ٦٤) « للكلمة وحركتها أهمية كبرى في الشعر الحر (•••) إن الشعر الحر الحديث يعتمد الى حد كبير على موسيقى الكلمة وحركتها داخل المقطع ، ولكن الكلمات اذا لم تتفاعل مع بعضها تفاعلا حيويا تفقد

الصورة قسما كبيرا من الانسجام الفني ، بل قد يؤدي ذلك الى تشويه الصورة تشويها فظيعا . ولعل من أبرز صفات الشاعر الحديث (...) تحسسه للكلمة ككائن حي واستغلال كل ما في داخلها من موسيقى ومعنى ... »

وللقصيدة جو (ص ٦٧) يعمل على خلقه ممارسة الشاعر للحياة التي يصورها ممارسة فعلية ويعانيها مباشرة فتأتي التجربة تجربته الخاصة وليست اختلاسا لتجارب الآخرين والصور التي انبثقت عن تلك التجارب انبثاقا شخصيا . ومن الممارسة أن « أطيل التحديق الى أعمق أعماقي كإنسان ، أدرس حياة الناس وحركتهم داخل المجتمع ثم أمارس التعبير عن كل ذلك بطريقتي لخاصة » .

وآراء حسين مردان وقناعاته سليمة في جملتها ، تشربها — وابتدع بعضها — خلال تأمل طويل مخلص ، وتأثر بالجديد الذي يرد من لبنان خاصة وللرمزية حظ منه ، ومناقشة في الذي يراه أو ينتجه الآخرون حوله متصلا بأخلاقهم وادعاءاتهم السياسية والفنية وأحكامهم فيما يأخذون ويفعلون .

وهو لا يني يكرر آراءه يوضحها للآخرين — لنفسه — دون تحول عنها مهما تختلف الصيغ . و « للكلمة » مكان بارز من فنه الشعري ، فالوزن هو « وضع الكلمة » و « الموسيقى تكمن داخل الكلمة نفسها لأن الكلمة هي ارتباط نغمين ببعضهما » ، و « من طريقة استعمالنا للكلمة ينبثق أسلوبنا الفني في التعبير » — تنظر مقدمة ديوان « الأرجوحة هادئة الحبال » .

وكأنه يريد بأسلوبنا الفني ، أسلوبنا الخاص بنا ، أسلوبنا ، أسلوبي أنا . وهو ما وقع فعلا مع زيادات تتغلغل في ذاته ، منها ، سريالية

جاءته من لبنـان أيضا وربما من مجلـة « شـعر » خصوصا منسـجمة مع مزيجه ـ أو خليطه ـ النفسي •

ويعنى بالفنون أحيانا ، وقد يقرأ القصة ولدوستويفسكي المكـان العالي ولا أحسبه عنيّ بالمقالة المبدعة عناية ما •

ان الفرق بين المقالـة والشعر لدى حسين مردان ـ آنذاك ولمـدة طويلة ـ كبير جـدا ، ولا علاقة بينهما • المقالة « عمل منظم يسـتند على العلم ••• » والشعر صورة ••• ، المقالة تعليم والقصيدة فن • وما عرضه هنا (ص ٢٨ من كتابه مقالات •••) ـ في حـدود قصده ـ صحيح • وكل ما كتب ضمن مفهوم المقالة فهو ليس من الشعر في شيء حتى لو كان موضوعه الشـعر والشاعرية أو ادّعى صاحبه الشـعر والشاعرية • فهل يأتي يوم يرى فيه حسين مردان أن كل ما كتب ضمن مفهوم الشـعر من مقال ، هو شعر ـ أو من الشعر ـ حتى لو كان موضوعه السياسة أو الاجتماع أو الأدب ولم يدّع صاحبه فيه الشعر والشاعرية ؟ هل ؟

لم يكن هذا في ذهنه ، وفي موضع اهتمامه أو فكره أو مفهومه ••• وربما لم يكن كذلك في مقروئه • ولم يكن فعلا ! ولا في الجو الذي فيه ولا في المرحلة الزمنية التي هو فيها •••

ان الذي قاله في المقال صحيح ، وهو مستمد من المفهوم السـائد حوله في العراق وفي الجرائد عموما ، وفي « صوت الأهالي » خصوصا حيث يحتل مقالهـا الافتتاحي مكانـة عاليـة في نفوس العراقيين عموما والديمقراطيين خصوصـا لما فيه من تنظيـم وتركيز ووضوح وتسلسـل منطقي ورأي علمي • كما هو المطلوب فيما يعرف بالمقال الصحفي ، وهو غير المقال الأدبي (الإنشائي) •

ولا يختلف الذي يرد الى العراق ـ آنذاك ـ عما في العراق نفسه، من جرائد ومجلات ، وأقصى خلاف في المجلات الادبية : المقالة النقدية

أو التي تدرس أدبا أو تعرض فكرة أو تترجم نظرية ــ وهذا من ذاك .

وقد بعد العهد ــ أو كاد ــ بمجلة « الرسالة » المصرية ومقالاتها (الشاعرة) . ولم يكن حسين مردان قد مر بهذا الضرب من المقالــة بسبب من عمره (وقد ولد متأخرا ، سنة ١٩٢٧ ؟) وبسبب من اهتمامــه الطاغي بالشعر (وحده) وبنمط خاص منه يتصيده في اسم بودلير من الغرب والياس أبو شبكة من العرب ... ومجلة «الأديب» البيروتية من المجلات ...

لو كان حسين مردان من قراء « الرسالة » في الثلاثينات لرأى من المقالات ضربا يختلف عن الذي رآه وحدّد تعريفه له وجعله طرفا مناقضا للشعر ، وكأن المفهوم الصحيح (مرة أخرى) الذي رسم للشعر الحديث لا يمكن أن يدخل « المقالة » أو أن يدخل شــيء منه في الأقل ، في ضرب من ضروب المقالة ــ والرجل يتكلم بما عنده ، وما هو ناقد ممتهن أو مدرس لتأريخ الأدب ، ثم إنها كلمة قالها ، ومضى يتابع شؤون الفكــر والحياة والسياسة خلال منظار الشــاعر الذي يبقى ــ مهما تختلف عليه الاحوال ــ معتزا بنفسه لدرجة تحسبها ادعاء وغــرورا ووهما ولو انها حقيقة قائمة لديه حرسته من كثير من الدنايا ، فلم ينزلق في منافقــة أو عمالة وهو البوهيمي الفقير المشــرد ، ولم يقع في مغريات أخرى تجـر صاحبها الى مزالق أخرى وكان مثله يمكن أن يكون لقمة ســائغة من أجل لقمة غير سائغة ، ولكن ــ وهذا هو المهم ــ هو عند نفسه أكبر مما عند الطامعين فيه ولا بد من أن تحول نفسه دون الدون الذي وقع فيه غــيره ممن يرون أنفسهم أعلى وأفهم وأشعر وأكبر منه !

ونحا به الاعتزاز نحو علو في الفكر والانسانية وســعة الأفق ، مع المعــدمين والفقراء ، حــربا على المســتغلين والمستعمرين ... في حدود ما يستطيع ، وحدود ما يتفلت به من ماضيه ، وكان أي شيء يأتي منه يعـد كثيرا . ولك أن تقابل بينه بودليريا وبينه واقعيا ... وأن تقابله مع آخرين

ادّعوا وصخبوا ثم تغيّروا أو غيّروا وتقلبوا ••• فتراه محتفظا بمنطلقاته الانسانية في العدالة منذ البداية •••

وهنا ، هنا في هذه المرحلة ، ولدن تبلورها ووضوحها لديه بأسباب من المناقشات والصحبة والقراءة والسفر والتأمل ••• والنظر في أعماق الذات ••• ، هنا في هذه المرحلة ظهر في الادب العراقي حسين مردان جديد ، أقصد حسين مردان كاتب المقالة ، المقالة الجيدة في كل حين ، المبدعة أحيانا ــ وهذا ما لم يكن في التصور ولا في الحسبان ، لا في تصوره وحسبانه هو نفسه ، ولا في تصور أصدقائه وقارئيه ودارسيه••• وحسبانهم • إن بين أصدقائه في الخمر من لم يأخذه مأخذ الجد ، ولم يصدق ما آل اليه من فكر اجتماعي ، سياسي ، إنساني ، واقعي •وأحسب ذلك الصديق على ضلال في موقفه ، وعلى غيرة وحسد ، فسلوك الرجل نظيف ، وطني ، إنساني وقد تشرّب الفكر على مهل وخلال مناقشات وبتجربة وأسفار وقراءات • لقد جرّب كثيرا ، وقرأ كثيرا ، أكثر مما تظن سعة وتنوعا ومتابعة تشربا ••• وتأثرا •••

ومن هنا ، من نقطة الشاعر الواقعي ذي المزاج الخاص الذي يرى به ما لا يراه الآخرون من أسرار العلاقات بين الاشياء ، ويدفعه ــ من حيث لا يدري ــ الى أن يعبّر عن الاشياء كما يريد هو لا كما يريد الآخرون ؟؟ وقد يزيدها تعقيدا ، ولكنه يزيدها جمالا وفنا وأدبا • ودخل الذي فقهه من الرمزية والسريالية في تركيب ذلك المزاج مع مخلفات من عهده الاول •

من هنا ، من هذه النقطة المتكونة من نقاط متراصة بدأ يكتب مقالاته ، ورأينا أنه لا يعرف للمقالة إلا نوعاً واحداً هي فيه « عمل منظم يستند على العلم ويعتمد على المنطق الصحيح ••• » وهي ما نسميه المقالة التعليمية ، وهي أية كتابة نثرية احتوت بصفحات محدودات معدودات

جدا فكرة واحدة تناسقت فقرها وحسنت لغتها ووضح مرماها وأدت الى التعليم مباشرة وعملت على الايصال بأقصر سبيل • وربما سميت المقالة الصحفية أو المقالة فقط • وهي عنده تقابل الشعر في طرف منه بعيد فالشعر صورة وموسيقى كلمات وجو وما هي ــ أي المقالة ــ منه بشيء • الشكل أساس في الشعر وقد رأينا ذلك عنده كذلك • فهل يمكن أن يقع غير المتوقع ؟

لم يكن يدري ــ حين بدأ ــ كيف يبدأ ؟ وكم يستمر ؟ ومتى ينتهي؟ ولكنه أعطى كلمة بالكتابة أسبوعيا لمجلة أسبوعية ، وكان عمر بن أبي ربيعة يقول : « رب جدّ ساقهُ اللعب » •

وهكذا كان • إنه يملك القلم والعلم والفكر وتجارب الحياة وخزين القراءة والعلاقة السابقة بالصحافة والنشر •• وتجربته الطويلة الخاصة في الشعر • فليمسك بالقلم وليكتب وهو في أواخر تشرين الثاني من عام ١٩٦٨ مقالة لمجلة « الف باء » وقد انتسب اليها أو دعي الى الانتساب الحر اليها فاستجاب لغرض في نفسه أقل ما فيه قدر من المال يعينه على الاسفار التي صارت هواية غالبة في هواياته ولازمة لا غنى له عنها • ثم إنه ليس ارتباط الموظف بالكرسي والدوام الالزامي الكامل منذ الصباح حتى العصر ، واذا حضر ، حضر مع أصحاب له ، أدباء ، يعرفهم جيداً ويعرفونه جيدا ، فلتكن منضدته التي يرتادها ويقتعدهامائدة جديدة • انه عمل وحرية في آن واحد • ومن لا يقبل « أبا علي » « على علاته » وأطواره ••••؟

ماذا يكتب ؟ وكيف ؟ ولم يكن الكيف مهما أو واردا ، لأنه مهم ووارد وواجب في الشعر ، أما المقالة فليس لها كيف (من شكل ، فن) إنها المادة فقط وليست المادة لشيء ينشر بمستحيلة على مثله • وهكذا كتب ، وانتهى من مقالة بعنوان « لمحة عن تطور فكرة الموت في الشعر

العربي » ، مقالة دون شك قِصَرا وعلما وتنظيما ، ولكنها مقالــة فقط ، ومقالة اعتيادية في كل شيء ، فما الرجل بالبحاثة في الشعر العربي وإن كان قد أتى من الشواهد ما يكفي . وما هو بالناثر المبدع ، هو شــاعر ولا نقاش عنده في ذلك ، أما المقالة فشيء — أي شيء — يكتب ، وقد كتب ... آراء متلاحقة مؤيّدة بأبيات متلاحقة ، إن دلت على تمكــن فكرة المــوت من نفس صاحبها فلن تدل على أكثر من أخبار متصلة تنفـع من لم يكن له علم بالشعر العربي — ولا أكثر . عنصر الابداع في الاخراج غائب تماما . ولم الابداع أهو ينظم قصيدة ؟ أيكتب النثر المركــز ؟ إن كل ما يريد اليه ملء فراغ بســادة معرفية . وقد فعل . ولم يطالبــه أحــد بأكثر من ذلك ولم يفكر هو نفســه في أن يطــالب نفســه . وترك الأمور هونا والرياح تهب رخاء . وحين يكون الامر كذلك فلا بد للكامن أن يظهر ، إذا وجد ، وللفن أن يعلن عن ذاتــه إذا كان ، ولمفهوم الشــعر أن يتسرب الى المقالــة لدى الاستمرار .

ومضى الرجل يكتب ويكتب ، ملتزما ، للمجلة ، وربما سره أن يلتــزم كما سره أن يرى تأكيداً لذاته في الوجود الأدبي ... ومن ثم يسمع كلمة من قارىء ، ويعقد نقاشــا مع رفاق . ويتميز له خلال المزاولة والمواظبــة ضربان من المقالة : الصحفية القائمة على المادة المنظمة (تعليما) ، والإبداعية التي تزهى بالصورة الشعرية (فنا) . وطبيعي أن يكون بين الضربين ما هو بين بين فيه شيء من هذا وشيء من هذاك .

ولم يكن حســين مردان في مقالاتــه التعليمية ضئيل القيمــة ، فقد كان يعيها جيدا فيحسن حصر غرضها العلمي ويحتفظ بوحدتها وتتابع فقرها ضمن المادة التي يريد تقديمها معتمدا على المنطـق والرأي الثابت لــديه بعيــدا عن اللغو والتطويل ، قريبا دائما من الوضوح والفائــدة . ثم إنه يملك دائما شيئا يقوله في موضوعات الفن والأدب والسياسة والاجتمــاع ،

وموضوعات الشعر الحديث والقصيدة والنثر والريادة ...

يملأ بالذي لديه من هذه الموضوعات التي يملك مادتها الخام ما يبلغ صفحة أو ثلثي صفحة ــ وهو القدر الذي اختاره للمقالة من مقالاته في المجلة ــ . وانه يمكن أن يكون في هذه المقالات (التعليمية) مرجعا ، أو مصدرا أحيانا ينتفع به الباحثون في الأدب عموما وفي الشعر العراقي خصوصا . وهو صادق مع نفسه في كل الذي يقوله ، ومصيب في الكثير منه ، وإن يخطىء فما يخطىء عن عمد أو مغالطة وإنما يخطىء بنظر آخرين لديهم من العلم غير الذي لديه .

ولكن هذه المقالات الصحفية ، كائنة ما كانت ، لا تهيىء له مكانا خاصا في تأريخ المقالة العربية أو العراقية ، لأن في العرب ، وفي العراقيين من كتب ــ ويكتب ــ مثلها أو أحسن منها أو أهم ... وربما كان في بنائها تلميذا لمدرسة « صوت الأهالي » أو متأثرا بها ، دون شك ، علم أم لم يعلم . ولا بد من أن يكون لقصر نفسه أثره في قصر مقالته . وربما ذكرني ذاك ، وكثيرا ما ذكرني بمقالات محمود أحمد السيد .

ان الذي يهيء لحسين مردان مكانا خاصا : المقالات المبدعة التي جرت على قلمه متناوبة ــ على غير قاعدة ــ مع المقالات التعليمية من حيث يدري ولا يدري ، بحكم مزاجه الفني وبحكم امتزاج مفهوم الشعر لديه بمفهوم النثر ، وانه لعالم بوجود نثر شعري . جاء نثره شعريا ، وحقق للمقالة ما كان يراه أمس خاصا بالقصيدة من أمر الصور والكلمات والجو . فاذا هو يقرب بين المتباعدات ، ويوغل في التشبيهات والاستعارات . ولا يمنع على المقالة ظلالا رمزية أو متداعيات سريالية . وليست « المقالة » نوعا جامدا مغلقا على نفسه وانما هو انفتاح حر على السرد القصصي والنثر المركز فضلا عن خيال الشعراء وعواطفهم وما يلم بهم ــ خلاله ــ من فرح الطفولة وتشاؤم الفلسفة وتفكير الموت .. وأنس بالليل وحياة الماضي في

قلب الحاضر . وإنسانية الفطرة تطرزها دهشة تستثيرها مظاهر المبادىء . وتناقضات يرى نفسه فيها كبيرا جدا مرة وصغير جدا مرة ، قبيحا وجميلا ، محبوبا ومكروها ، محبا وكارها ....!!

وقد تهيأ لحسين مردان من هذه المقالة المبدعة غير قليل كماً وكيفاً ...

تهيأ مع الزمن ، وباستمرار ، وبتراكم التجارب وبفعل التوسع في دائرة الموضوعات بحيث تشمل الذات في عاطفتها وخيالها ، ومرحها وحزنها ... مما ترى وتحس وتعاني . وسار في الشوط طويلا .... لا يدفع التعليم عند مؤاتاته ولا يقتسر الابداع اذا غاب عنه ... فهذه مقالة وتلك مقالة ... والزمن في مصلحة الابداع ..

واذا كانت المقالة الاولى تعليما صرفا ، فلن تدوم الحال على ذلك مع كاتب له مزاج فني كمزاج حسين مردان ، وها هي ذي لمحات من الابداع تدل على وجودها في المقالة الثانية : « لقاء مع الدكتور مصطفى جواد » ، وفي مقالات أخرى : « منائر كربلاء » ... ويدخل « الحلم » خلال اليقظة.

ولك أن ترى اللمحات في العنوانات ... « عجين العيد بماء الذهب » . وندخل معه عام ١٩٦٩ ونقرأ : القرود والماء الأزرق . قبضة الضوء والحزام . نقاط على ورق من حديد . أرض روم وسفينة نوح ومائة ألف سماور ... الاستعمار وأكياس الفحم والعنبرلي .

عنوانات أدخل في الرمزية الشعرية والسريالية ، لم ير مثلها المقالة العربية ، وانها لتختلط ـ أو تمتزج ـ مع عنوانات قصائد حسين مردان نفسه . ولا غرو فقد كان يبادل نشرها مع قصائده ونثره المركز ، ويجعلها بديلا عن الشعر والنثر المركز ، وهكذا شمل مفهومه القديم عن القصيدة مفهومه الجديد ـ أو عمله الجديد ـ في المقالة . إنها عنوانات مبدعة ذات دلالة على محتوى ذي صور خاصة يخلعها « مخ » ذو تركيب خاص . وفي هذا المحتوى بهذه الصور دليل آخر على شاعرية المقالة . واذا كانت

عنواناته صورا لا تؤدي رياضيا ما تؤديه العنوانات الصحفية المألوفة ، فانه ولا شك عارف بحدود دلالاتها ولكنه بالروح الشعري ــ الفنان ــ الذي هو عليه يأبى إلا أن يختار لغته الخاصة في العنوان كما يختارها في المقالة نفسها ، ومن هنا يبقى ــ من كل مقالة ذات عنوان مبدع ــ شيء لا يدرك القارىء قرار كنهه وان أدرك العموم من المطلوب ، وتأثر بالجو مما تذيعه الكلمات المتساوقة في شكلها الخاص بصاحبها : حزناً إن كان هذا الصاحب حزينا ولا يريد أن يصرح بحزنه كما يصرح ضعاف النفوس أو جهلاؤهم أو علماؤهم ، وفرحاً إن كان فرحا . إنه يعتمد هنا ــ كما هو شأن الرمزيين ــ على الجو أو الايحاء ... وهذا من الجديد كذلك في المقالة العربية .

تعجب لمن كان متشردا بوهيميا بودليريا كحسين مردان ... يقيد نفسه فيلتزم بكلمته للمجلة ويواصل الكتابة الاسبوعية في موعد مقرر وحجم محدد . ولا تعجب فالفعل «كان» ، و«أبو علي» صار ... لقد تغير كثيرا بفعل التجارب والعمر والمصاحبة والمناقشة والقراءة والسفر وطيب الجوهر ... وإذ جرى التغير نحو الواقعية فانه احتفظ بشاعرية الماضي ذكرى وتعبيرا وشيئا من حنين ، ولغة ...

ثم من قال انه كان على الرداءة التي شاعت عنه ونسبه اليها الأبعدون؟ إن قريبا مقربا منه يقول ــ وهو مصدق ــ « ان حسين مردان «شخصيا» لم يرتكب موبقة على ما أعرفه عنه ، إلا اذا اعتبرنا السكر كذلك ، وحتى في سكره لم يكن حسين يعربد أبدا » .

وأستطيع أن أؤيد القريب المقرب بما عرفته ، مما كان عليه حسين مردان خلال نحو من أربعة أعوام من عمل في « اتحاد الأدباء العراقيين » لم يسيء فيها لأحد ولم يخطىء في سلوك ولم يهزل في جد ولم يقصر في واجب .

ثم إن مجاله واسع وحريته مطلقة بين المقالة والقصيدة والنثر المركز والاعتذار المؤقت . المقالة وحدها لديه عالم واسع وحرية مطلقة شكلا

ومضمونا ... فهو يكتبها حينا مبدعة وحينا تعليمية وحينا بين بين .
ولا شك في انه يرتاح للمقالة ــ القصيدة لما له من حس نقدي ورهافة في تذوق الجميل وهواية باللغة الخاصة ــ ولكنه لا يتمنع ــ اذا لم يتهيأ له ذلك ــ على مقالة تعليمية صرف بعنوان « النقد السياسي في الأدب » تطغى فيها الفكرة على الصورة ويغلب المعنى على اللفظ ، ولكنها ــ مع ذلك ــ تقرأ وتبقى في مستوى الحد الأدنى المطلوب من المقالة : القصر ، التركيز ، الوضوح ، تسلسل الفِقَر في بداية ووسط ونهاية ، وحدة منسجمة . وحسين مردان يحقق هذا على أحسن ما يرام في مقالاته كلها ، مبدعة وغير مبدعة ، فهو ينطلق من اختمار شيء في ذهنه ويسير به كما اكتمل هذا الشيء في ذهنه ويقف حيث يقف فلا استطراد ولا تعليقات خارجة عن الصدد ولا شعب ولا ذيول ... أما التلوين فيفرضه الموضوع مرة ، ويفرضه الانفعال مرة ــ أو مرات ــ . واذا كان انفعال في نفس فنانة لها مفهومها الوطيد عن « الإعراب » ... كانت الثمرة قطعة أدبية « براقة » في عالم الانشاء الأدبي . وهذا هو الذي يحدث لدى كاتب اسمه حسين مردان . وطبيعي ــ بعد ذلك ــ أن يحدث على نسب مختلفة تبعاً للانفعال نفسه وللمزاج في ساعة الكتابة وللعامل الدافع الى الكتابة بين أن يرد خارجيا أو أن ينبثق داخليا ، أي ذهنيا فكريا علميا ... أو عاطفيا خياليا نفسيا . أما الناتج على الحالين فهو « المقالة » ولا يكتب أبو علي أو لا يستمر على الكتابة ما لم يكتمل في ذاته البناء المقالي ــ والبناء لديه ــ كأي شيء لديه ــ واضح المعالم ، ووضوح معالمه في أقل مستوياتها حصول الحد الأدنى المطلوب ــ وليس هذا بالقليل في باب الكتابة ــ . واذا لم يكن الحد الادنى مطلبا للناقد الباحث عن أصالة الشكل أساسا ، فانه واجد مطلبه مرات إن عدمه مرة .

يسير أبو علي ــ على هذا ــ مدة نصف عام يحلّق فيكتب :

« يطبع وجهك على السماء » ، « وحدي في القفص » ، « آه يا غصن الريحان » . ويقعد على الارض فيكتب « مواقف مع أدباء المؤتمر » لأن هذه مقالة أيضا ، ولانه واثق من «وحي» ينهض به ثانية في « الشاعر والثغور المالحة » ، و « لنحطم بيضة العنقاء » ويشاء أن يكون محبوبا معشقا يقع مثله الأعلى بيّن يديه فيمتنع ـ هو ـ عليها ، فهو الفارس وهو العظيم مرة ، وهو القبيح الوجه الذي استنفد عمره مع النساء السخيفات مرة « وما حيلتي اذا كنت لا أستطيع أعبد من لا يعبدني » مرة ، يقولها عن شك بأن لها غيره ، وعن شعور بنقص قديم . ولكنه يقتنع أخيرا ، وتتكرر الحال وهو الذي يكرر انه لا يصلح للنساء ... ويبعد في الفخر لدرجة الادعاء ... بحيث تبدو السطور الاخيرة على شيء من البرود ، على شيء فقط ، وإلا فهي في مجموعة « مقالات ـ قصائد » من غزل خاص . ولعل أكثر ما يقع له ذلك ـ صدقا أو كذبا ـ في أسفاره خارج العراق ، وخارج آسية وافريقية حيث تتعدد حوافز الخيال وتستيقظ عوامل التوق الخاص وتحتدم ... ومن ثم يختلط القريب والحاضر بالماضي ... ولا يستخلص المزيج الا القلم .

وما ينهض حتى يشعر ـ مجددا ـ بالحاجة الى الموضوع . من أين يأتي به ؟ إنه واسع الأفق ، صحيح ذلك . وهو كثير التجارب ، صحيح هذا كذلك . ولكن المواد الخام التي بين يديه لا تبني البيت الذي يريد أن يسكنه . والاستمرار المنهجي أسبوعيا (خصوصا في العراق) صعب على المنهجي فكيف باللامنهجي . يا حبذا لو تهيأ موضوع (حتى لو كان تعليميا) يشغل به عدة أسابيع ! وتبرق بارقة فيقتنصها ، فيها مادة ورأي ، ومناقشة . ويأتي معها البناء المطلوب لمثلها من الكلام .

إن « البيان الشعري » الذي أذاعته مجلة « شعر ٦٩ » حافز طبيعي في كيان امرىء قام كيانه على الفن والأدب والشعر ... بعد تأمل ونقاش

ونزوات وقراءات حتى وصل الى قناعات صارت لديه قواعد لا يقبل منطقها خلافها . و « البيان الشعري » طويل ، وذو أفكار متعددة يمكن فصلها عن بعضها ضمن « كلّيتها » . وهكذا استحال (البيان) ستة مقاطع ، صاغ حسين مردان من كل مقطع مقالة فنهضت لديه ست مقالات ، كل مقالة وحدة بنفسها خلال الوحدة الكبرى ، وهكذا امتلأت ستة أسابيع متوالية : الكلمات . الحرب والوحوش . الماركسية واللاوعي . إماتة الوعي . حول البيان الشعري . حول النص الشعري – ان لدى أبي علي ما يقوله ، ويحسن الاستماع اليه ، ولا يقول لغوا . واستطاع بمفهومه الصحيح عن مدى «المقالة» أن يجعل ما من شأنه أن يأتي بحثا متصلا مطولا مقالات تتصل بخيط اللباب وتنفصل بوحدة النوع القولي .

ويستأنف ، بعد ذلك ، ما كان فيه من لقطات أسبوعية متنوعة بين الانواع الأدبية التي عرفها وألفها فبدأ بالنثر المركز . وثنّى بمقالة مبدعة : « دوران المراوح » . وثلّث بمقالة تعليمية : « الثورة نوع من الجمال » وأعجبه – هذه المرة – أن يكتب ما يسميه قصة قصيرة : « الرجل الذي كان يحب الريف » .

ثم يرتاح أسبوعا ليكتب بعده « القلم الأخير في قضية الشرق الاوسط » تعليما ولكنه لا يدل على اتساق الكاتب مع موضوعيه ، ولعله أحس بذلك فحاول أن « يطرزه » بضرب من منهجه في التعبير فجاء التطريز كالترقيع .

لقد تعب (قليلا) أبو علي وذلك حقه وقد أثقله حر حزيران وتموز واقتراب أيلول ... وهو مازال في بغداد ولم يسافر . لم يستغل «وارده» من «ألف باء» في تحقيق حلمه بالسفر ... وتطبيق اعتياده على استنبول. فما العمل؟ يمكن أن يسافر بشكل من أشكال المراسل . الفكرة مقنعة للطرفين ، فسافر ، ولكنه لم يستطع أن يسوغ حسن الظن – من أيّ

صدر ـ فلم تحظ المجلة بأكثر من الذي نشرته مستبشرة بعنوان « حسين مردان يكتب من استنبول : طاحونة الشرق » وكان صعبا وغير معقول أن يكون « أبو علي » في استنبول ويكون موظفا مراسلا لمجلة !!

وهكذا يغيب أبو علي ويشغل أسبوعا آخر بقصيدة ، ويملأ أسبوعا ثالثا (هو الاول من تشرين الاول) بمقالة ـ هي مقالة فقط : « الحب والحرب وما بينهما » •

ولا أحسبه راضيا تمام الرضا عما يكتب ، ولكنه يجب أن يكتب استعدادا لما يرضي ويعجب ، ولن يكون ذلك مستحيلا على مثله أو بعيدا عن قلمه ، وها هو ذا «الإلهام» يملي :

« بعيدا عن اللعب بالدمى » ، « الموت والعقل الخارق » ، « جسدي الذي يتحول الى دموع » ، « الرجوع الى الشرفة العالية » •

وله بعد دلك الرضا أن يستعيض أسبوعا بنثر مركز ، وأسبوعا بالمقالة التي هي مقالة فقط : ـ « اللون والصورة » وثالثا بقصيدة ورابعا بمقالة تريد أن تكون أكثر من مقالة « حتى في النوم » •

لا بد من فترات بين المقالة المبدعة والمقالة المبدعة ، والأمر طبيعي جدا لأن أبا علي لا يفتعل ولا يتحكم ولانه لا ييأس من الظفر بالمعجب المدهش ••• وما لديه لا يخلو من فائدة في سد الباب المطلوب منه ••• ويقترب الشهر الاخير من عام ١٩٦٩ ويتهيأ ـ أو يتذكر ـ موضوعا ذا موضوعات ، ربما نبهت عليه قراءة آنية في كتاب أو كتب ، أو مقتطفات من قواعد وأقوال يقتطعها من منابتها لينقلها الى أوراق ـ أو دفاتر ـ لديه ••

إنه موضوع « المدارس الفنية » وهو من مشاغل أبي علي ، وتتبعاته في المترجم ولدى النقاش وان لم يقرأ شيئا عنه في مصادره اذ لم يتوفر على لغة أجنبية (كان يشعر بنقصه فيها وإزاءها) • ولا بأس ، ألم يصر أمس بودليريا دون معرفة بالفرنسية أو الانكليزية ، ان لديه النظر والتأمل

فيمتزج في دمه ما هو منه ، ولا يهمه بعد ذلك ما هو ليس منه ٠ وهكذا افتتح الشهر الاخير من العام بـ «الكلاسيكية» ٠٠ ولكنه ولسبب لا نعلمه كأن لم تكن مادة المدارس جاهزة كلها لديه أو انها جاهزة فاستبقاها سندا ومدخرا ، أو لاي شيء من هذا أو من غيره لم يوالِ « المدارس الفنية » على وجه الاتصال ، فبعد أن أعقب المدرسة الاولى بقصيدة عاد الى «الرومانتيكية» ، وأعقب هذه بنثر مركز ليدخل الشهر الاول ، ١٩٧٠ «بالطبيعية» ويعقبها بمقالة مبدعة : « من يفرك الصدأ » فقد بعد العهد بهذا الضرب الرائع من المقالات وكانت من الابداع بمكان عال ، يسوغ طول الانتظار ويفي بحق الترقب ٠ لقد فركت « الصدأ » فيما نقصد نحن اليه من فن المقالة ، أما صدأه فهو أعرف منا بمن يفركه عنه أو له ٠ لقد اعترض انفعال نفسي خاص ففرض نفسه وقطع السلسلة التعليمية ليكون فاصلا إبداعيا مرموقا «قالب» المقالة أرحب صدرا له من القصيدة أو النثر المركز ، وانه أعنف من أن يبقى ارادة أو إدارة لمادة علمية معرفية فاقدة لدرجات الحرارة ٠ أجل ، وليكن مقالة شعرية ٠

نحن في ١٤ كانون الثاني ١٩٧٠ ونقع على « من يفرك الصدأ » فنقول هذا عنوان مرداني يشي بمقالة مردانية ونقرأ : البداية ، الخروج صباحا ، من البيت٠ النهاية ، العودة الى البيت في أواخر الليل ٠ ما بينها ، استعراض ليوم كامل ٠٠ من حياة رجل ــ هو حسين مردان ولا شك ــ لم يكن في أول الأمر فرحا أو مهموما ــ فيما أراد أن يبدو عليه لدى القارىء ــ وهذه حالة خاصة يمكن أن تعتريه بحكم نمط معيشته وقلة طلباته وضعف مسؤولياته ٠ وإن كان من مسؤولية فهي هذا الخيط الدقيق الرقيق الذي يربطه بألف باء ويقتضي منه خلال أسبوع كامل ــ أو أزيد من أسبوع ــ مقالة أو قصيدة أو نثرا مركزا ــ أو قصة اذا كان ولا بد ــ بما لا يزيد عن صفحة واحدة بما في ذلك الصورة الموضحة أو

الكاريكتير . وهي الآن ــ فيما يريد أن نفهمه عنه ــ مما يشغله دون أن يحول الشغل عن رؤية الخارج : الطبيعة ، لأطوار لنفسه معها أو لها مع نفسه ، والناس من كان منهم إزاءه ومن كان قد ذهب العهد بهم : بالزاك بابلو نيرودا ، حسين مردان في عهده الاول ... تشي بهم أية نأمة تحرك الماضي بفعل التداعي والتداعي سيد الموقف في رجل ترك المقادير تجري في أعنتها ، تسيّره ولا إرادة له ، وهو راضٍ بذلك طالب له ــ وإلا فمن أين جاءته السريالية !

واذا كان الامر كذلك وكان قسط الحزن من نفس ذلك الرجل أكبر من قسط الفرح خرج سريعا جدا من حالة اللاسلم واللاحرب ودخل سريعا جدا في حالة الحرب فالوظيفة « حوت أحمر » يدمي ويبتلع الانسان في وحشية خارقة والانسان لا يعي من أمره أمرا . والرجل الذي ادعى انه لم يكن فرحا أو مهموما كذب على نفسه وعلينا بفعل من الوعي ولكن العقل الباطن مترصد أمين يسارع فيفضحه والا فمن أين كان له وهو يسير « على حافة الشارع سكين وحبل رمادي » وما كان السكين يوما رمزا للفرح ، والحبل يقترن بالتضييق في أقل مقترناته وينتهي بالشنق ، فكيف وهو رمادي !

ويشتد الاضطراب بين الفرح والحزن ، بل في سد الحزن لمنافذ الفرح إذا ما هم ذلك الرجل أن يبدأ أو ينفذ : « وفي الأفق الابيض غيمة سمراء على شكل وعل ، لقد بدأت الغابة تتثاءب في أعماقي وحوش ومحاربون وببغاء على عصى طويل » [كذا] .

يمكن أن يكون الأمر واضحا في الحزن والحيرة والاضطراب وتبقى مسألة الوعل . ماذا يريد بها أخيرا أم شرا ؟ إنها لتلقي ــ هنا ــ في هذه الساعة غلالة من الغموض لعله الذي جمع بين الوحوش والمحاربين والببغاء ، فالوعل يمكن أن يكون جميلا ويمكن أن يكون قبيحا . ولو

كانت الغيمة بيضاء لجاءت وهي أدعى الى التفاؤل فلننتظر • وربما كان أقرب الى الجمال ، فالمسألة حاصلة في نفس الشاعر وليست فينا •

ويمكن أن يكون هنا نذير شؤم فر منه سريعا الى أحب الأوقات اليه وأدخلها في حياته وأوصلها بنفسه : الليل • « والليل ينتظرني وراء قلبي، الليل ينتظـرني • ليلي الخاص » •

واذا كان الليل ثقيلا مستثقلا لدى الآخرين فانه ليس من الآخرين وليس الآخرون الذين يضيقون بالليل منه • وانظر كيف يتلفظ حروف الكلمة (الليل) بحب ! وكم يرتاح لتكرارها على سمعه ، وكيف ربط بينها وبين قلبه ، ولا يرتبط بالقلب غير الحب والحبيب • إنه حسين مردان ، ابن الليل ، وقد قام مجده وسعده على الليل ، وتبا للنهار • النهار لغيره ممن لا يعرفون السهر ، والليل لديه يقترن بنساء من نوع معين ، ومن هنا كانت سرعة الربط ـ لواقع الرؤية البصرية أو الرؤى القلبية ـ بواحدة منهن : « ومرّت امرأة من العهد القديم •• والهلال الأسود فوق الحاجب ••!

دكان تفاح وليمون ، هذه المخلوقة الطيبة • إنها تهرول الى السوق في زمن ما بعت سروالي أسكر بثمنه • كان معي غائب طعمة فرمان وعبدالمجيد الونداوي •• هكذا شربنا البنطلون في كازينو بلقيس ••ايه•• والتف الحبل الرمادي على قدمي •• من أي مكان جئت ؟ »

ـ يبقى ماضي حسين مردان حيّا في نفسه ، يخترق الطبقات ليطفو في أول مناسبة ، والشاعر يريد ذلك عمدا وعلى غير عمد ، ففيه ملاذ من حاضر ولذة لا تعوض وخلاص من شدة تمسك بتلابيبه ••• تلك الشدة التي لا تدع الماضي يكمل مفعوله ويطيل إقامته ، فما هي إلا أن تعيد « المهموم » الى همه : « والتف الحبل الرمادي على قدمي ••• »

الحبل الرمادي قيد •••

واذا ضاق القيد مجددا فلحسين مردان مــلاذ جديد ••• وكلما ضاق القيــد اتسعت الكبرياء ، فاذا زاد الضيق من شــده ، زاد حسين مردان من شموخه • ومن يدري فقد يكون من أسرار كبرياء « أبي علي » ما يرجع الى ضيق يسود أركانه ويسد الاقطار عليه فيدفعه الى طمــوح غير قابل التحقيق على الوجه المطلوب فيصــرخ ـ حقا وباطلا ـ اني أنا حسين مردان ، العبقري ، الكبير الذي لا يضاهى ولا يباهى ، الدكتاتور••

لقد بدأت الحال لديه بما حسبها اللافرح واللاهم فهو في أول صباحه وقد ودّع أمسه أي ليله منذ قريب ، وليس له علــم أو وهم بما سيستقبله من نهاره ••• ثم التف الحبل الرمادي على قدمــه ، فأين المفر ، انك لا تستطيع أن تتقدم خطوة ، وما بامكانك أن تسير نحو هدف ، وحتى الشعر لا يواتيك لو طلبته ولو انك في شــغل عنه بهذا الحبل الرمــادي • وأين المفر ؟ المفر حاضر • إنه الكبرياء والشموخ : « ان جبيني يلمس أرجل الوعل ••• الوعل الموجود في الغيمة السوداء ••• إني لعلى مجد كبير! » والوعل يمكن أن يكون رمزا للعلو ـ وهو كذلك ـ فهو عــال فعلا ، وهو رمز الطموح كذلك وان « أبا علي » لبالغه ويمسك به وقد ازداد الأمــر صعوبة ، ولاحظ « السوداء » هنــا بعد « الســمراء » هنــاك ، والسوداء أشــد وأقسى وأبعد منالا ••• ولا بد من أن تكون مشــاق ، وأن تكتنف الوعل الغيمة السوداء ! ولكنه حقق مجده !

وهو ـ أبو علي ـ في « مجده » (الموهوم) يحب النــاس ـ وان كان كذلك في كل حين ـ وفيهم العامــل ، ويذكره المحبوب (العامل) بالمحبوب (أخيه عباس) ، ويجمح به الخيال ـ المنقذ من الشدة ـ الى مدن أحبها : اســتنبول ، موسكو ، والخيال الى مدى ، والوهــم يصطدم بالواقع : « وأنا هنا في حي البلديات ، ومعي نصف اوقية من الرز وعلبة سكاير •• ها •• والصبح يركض نحــو المغيب •• والقصيدة لم تكتمــل

بعد •• » ونعرف المرارة التي كان فيها حسين مردان ، إنه يحس في نفسه مخاض القصيدة ، ويتوسل الى «الولادة» بكل سبيل من ماضٍ وشموخ وخيال وواقع ولكن بدون ثمرة • أي ان القصيدة لم تكتمل ••• ولكننا عرفنا المعاناة في سبيلها ، واذا قال لك أبو علي ـ أو ادّعى ـ انه ينظم الشعر ، ويكتب المقالة كما يتنفس الهواء فلا تصدق • ولكن أبا علي لم يقل ذلك ، بل انه يشير ـ ويصرح ـ في أكثر من مناسبة الى أن الابداع ليس سهلا ••• وكان بودلير قبله يقول هذا ••• ويعاني منه • واذا استعصى استعصى •

وهنا ، هنا نعرف لم يركض الصبح نحو المغيب ، لأننا نعرف أن أبا علي لا يهمه الوقت ، وان الاولى لديه والاحب أن يركض الصبح نحو المغيب ، ليدرك حبيبه الليل •• أما اليوم ، وفي الحال التي هو فيها فالامر يختلف لان لديه هدفا يريد أن يبلغه ، ويجد ويسير على غير ثمرة فيحس بالوقت يمر سريعا ••• النهار يتقدم والهدف لا يتحقق ، ويريده ـ بكل ثمن ـ أن يتحقق : « لو أعرف من هذا الذي يمشي على السكين ؟ الموجة تسير والبحر في مكانه •• » ويرد السكين هنا ثانية ، ويمكن أن يكون الذي يمشي على السكين حسين مردان نفسه ، وما كان المشي على السكين يوما دليل ارتياح ! ويمكن أن تكون « الموجة » النهار ، ويكون « البحر » حسين مردان •• وتأتلف الخلاصة بمحاولة نظم القصيدة ـ أو ما قاله لنا : انه نظم القصيدة ـ بدون أن يبلغ صاحبها مأربه • ويفكر بالاضراب على الاستمرار ، وبتغيير الجو ـ واعيا وغير واع ـ وحتى هذا لم يمكن ولم ينفع ، فيقع على واقعه اليومي الاعتيادي وشغل نفسه بتسجيل ما مر به خلال سيره : « لو غسلت القميص لذهبت لرؤية أصدقائي في مؤسسة الصحافة ! ولكنها ملعونة تلك الطفلة المسؤولة عن نظافة ملابسي • وما فائدة العتاب » •

والشؤون اليومية معاكسة كذلك تلتقي لتزيد في الأسى أسى : «كان عمود التلفون يغني .. أغنية بلا كلمات تسافر الى انسان مجهول . وفي الجانب الأيسر مسحاة تنقل التراب الى مؤخرة سيارة . قال الفلاح ان أرض حديقتي منخفضة . ووقفت أنظر الى الشتاء في السماء » طبعا ، انك لا ترى الربيع ، ومن أين تراه حتى لو كنت وسطه ! وكان « أبو فراس الحمداني » يقول : « ومن لم يجد إلا القنوع تقنعا » . ولك يا أبا علي في القميص غير المغسول ، وفي عمودالتلفون وفي المسحاة والفلاح والحديقة .. وفي الشتاء نفسه عوض لا يعوض عن الفائت ، ولكنه عزاء وإن لم يعز ، وحتى أبو فراس نفسه صاحب الحكمة لم يكن مطمئنا الى سلامة ما وصل اليه أو الى ركونه النهائي الى ما قرره لنفسه ولغيره ... وإنما هي أطوار نفس ، ونفس شاعرة على وجه الخصوص ... وقد حالت دون الهدف — مهما يكن — حوائل .

وان أبا علي اذا بلغ به الامر حد النظر « الى الشتاء في السماء وتدلهم الغيوم ويشتد الضيق مجددا ، والكل ضيق « ثورة » من طينته مرة بالتعالي والشموخ وقد رأيناه فما أفاد وما أجدى ... ولم يبق — هنا — إلا التواضع والخضوع وقبول الهوان واستصغار الذات . هي ثورة لتخريب كل شيء بعد أن قصّر الفكر عن أن يفرض سلطانه ويقعد القواعد ويمسك بأسباب الخلود ! — هنا — ما فاتك واستحال عليك بلوغه « لقد تحول الوعل الى سفينة وبقايا قرية خالية . وتقلص ظلي في الأعلى . أنا ذرة رمل في قاع هاوية ... وبعد لحظة سيختفي المسرح والممثل . فالليل ينتظرني . والزمن يحملق بي ويطرح أسماله على عيني.. يا لي من أعمى يتحدث عن الالوان . بالأمس رأيت مؤلفات بلزاك في العربة ! عربة الكتب البائرة ! مهزلة عمرها عشرة آلاف سنة . وانقلبت الطريق الى فأس من السحر . ليتني استطيع أن أذبح التاريخ وكل

اللغات . في القمر محطة وعند خط الاستواء هندي يلاعب أفعى . وفي مجلس النواب التشيلي يجلس الشاعر بابلو نيرودا .. عندما التقيت به في الكرملين كان ساهم العينين .. كلنا قافلة واحدة : المرأة القديمة والعامل الصغير والقمر والمسحاة وأنا وبابلو نيرودا والافعى الهندية .. »

مسكين « أبا علي » ما هكذا الظن بك ، ولكنها الخيبة التي ترد الانسان الى أصغر ما يكون ، واذا كان هذا الانسان متعاظما ازداد التضاؤل وازداد حتى كان « ذرة رمل في قاع هاوية » ... وانه الواقع المر بعد الوهم الحلو ... الواقع الذي يدع الانسان يساوي بين الكبير والصغير والعظيم والحقير ! فاذا كان ذلك الانسان شاعرا ازداد لديه الإيغال في المساواة ، وقد تساوى لدى حسين مردان ــ من أجل حسين مردان الذي تعرفونه : المرأة القديمة والمسحاة وبابلو نيرودا ... وحسين مردان !!

مسكين « أبا علي » وما لدي ما هو أكثر من ذلك لمؤاساتك ، وعفوا عن المقاطعة !

وهكذا انتهى المطاف ، واستقر الرأي تبعا لاستقرار النفس ،والشأن طبيعي جدا لمن لم يستطع أن يبلغ هدفه . والكاتب صادق في النهاية كما كان صادقا في البداية ، كما كان صادقا في المسيرة كلها بين الرضا والسخط ، والكبرياء والتواضع ، والعزة والهوان ، والبناء والهدم . المسيرة متسقة لا تكلف فيها ، وقد ترك الرجل ــ أو هكذا بدا ــ الأمر على هونه ، وعقله الباطن هو الذي يرسم . والكاتب البارع هو الذي يجلو الصورة وكأنها عملت نفسها ــ وإن لم يكن الامر كذلك ــ ورأي حسين مردان في الصورة سليم ، وهذه المقالة تأييد له وتطبيق عليه . ولا بد من أنه اختار ما اختار من الاصول بوعي ، وحذف ما حذف من الفضول بتقدير .

ولكـن لا ٠٠ فما زالت في طبيعة النهاية بقية ، هذه البقية ضرورية فنا ونفسـا ، ولا بد من أن ينتهي الحـزن الذي وقع الى نهايـة أو نهاية النهاية (الطامة الكبرى) : بيته ٠ وله الحق في ذلك فما بيته ببيت ، ولا تجـد وصفا تمليه حالـة خاصـة أدق من وصفه : قبر ٠ « واقتربت من البيت ٠٠ من قبري الموقت » ٠

ويبقى في النفس الفنانـة شيء من الشتاء الذي في السماء والبيت الذي هو القبر ، وقد يكون في بقية البقية هذه دليل أساس على الحزن ، ونافذة الى السر الذي ينطوي عليه الشاعر ، وكون طماح هذا الشـاعر على غير أمل : « واقتربت من البيت ٠٠٠ من قبـري الموقت ٠٠٠ ألف حنفية مقفلة في صدري ٠ فيا إلهي متى تعود الكف التي تفرك الصدأ٠٠٠ (٠٠٠) الخلاص فأرة لا تعرف المصيدة ٠٠٠ »

كان حسين مردان يشغلنا عن همه الاول بمـرام متعددة جـاء على رأسها « القصيدة » وكدنا نصدقه على إطلاق قصده ، وما أسلمنا له القياد فوراء الحـال هم مقيم ، والقصيدة هم عابـر ، إن لم توات اليـوم واتت غدا ٠ وفي كلمة «الكف» المتمناة ما يعني المرأة ، ويريد أبو علي أن يقنعنا بأنها امرأة بعينها ، كانت له ، في بيته ، تحيل البيت جنة ثم نأت ، وهـذا مقعدها ، وهذا عطرها ، نأت ، ونفرت فخلفت فيه هما مقيما مقعدا وكأنه العاشق الهيمان الدائم الاخلاص ٠

هكذا يريد أبو علي أن يقول ، ونحن نعلم جيدا أن المرأة ــ أيـة امرأة ــ من شواغل حديثه ، وهي شاغل مقعد مقيم ولكنه لم يسـتطع أن يواصل حـديثه على وجه من البسـاطة التي توحي بالثقة ولا تثير الشك ، فكيف اذا كان ــ هنا ــ هو وهذه المـرأة ــ على الشكل الذي أراده أن يكون !

اننا لا نريد ــ ولا نستطيع ــ أن نبتر الأسطر الاخيرة عن وحـدة

المقالة في سيرها نحو الختام ، ولكننا لا نستطيع ــ كذلك ــ أن نصدق « أبا علي » في المرأة المعينة ••• هي امرأة دون شك ، وهي شاغل دون ريب ••• وهي عصب المقالة كذلك ••• ولكنها المرأة التي كان يطمح الى أن تكون في بيته ليكون له بيت ، فالمسألة مسألة حرمان في حرمان ••• وهنا يتسق الختام : « ••• متى تعود الكف (•••) حفنة من السماق هي تسليتي• وتكومت بجانب النافذة صرّة من الهواء ترقص في الصابون»•

مسكين مرة أخرى ••• ولن تعود حتى لو كانت ، وعلى أي وجه وجدت ! والخاتمة تحدد نهاية مسيرة الهوان •• واذا كان في سطورها (الأخيرة) غموض وانه فيها بحيث يصعب تحديده ــ فهو شأن من شؤون حسين مردان في فنه المقالي المبدع •

ان وصل النهاية بالبداية يرينا السر في الهم : المرأة • ولتكن بعد ذلك مستحيلة الطلب ، أو كانت ونفرت ! وان القصيدة يفترض أن تنظم فيها أو انها رمز استعاضه عنها فلم تمنح نفسها للشاعر كلاما موزونا كما فرت منه المرأة واقعا مرا • واذا كان قد استقبل صباحه بحال من اللافرح واللاهم فانما توصل الى ذلك بعد ليلة ليلاء من عناء طويل انتهى به الى أنها كانت ــ أو تكون ــ فمرت «وولت» وانه سيعثر عليها حتما أو انها ستعود حتما بتصور من تصوراته عن العظمة في نفسه وبدافع من دوافعه الى الكبرياء • ولكن ما أسرع ما شرع الهم يدب ، ويتقدم ، ويزداد •••خلال صراع بين التعزز والتذلل •••• والوهم والواقع •

لم ينظم أبو علي القصيدة الموزونة وقل لم يظفر بالمرأة المطلوبة ••• ولكنه كتب مقالة مبدعة جرت منسجمة على قصرها وعلى ما احتوت من تناقضات النفس منعكسة على تناقضات العالم الخارجي ••• ولعله لم يدر ــ ولم يقل له أحد ــ انها مقالة تفوق القصيدة ــ ان كان طالب قصيدة فقط ــ •

تلك مقالة من مقالات حسين مردان ، من خيرها ، من خير ما كتب بالعربية إطلاقا ــ لانسجامها ، لذاتيتها الموضوعية ، لتسجيلها أطوار نفس بين الفرح والحزن ، أو الحزن الصادق الذي يتخلله فرح موهوم ، فيما أرادت تلك النفس ولم يتحقق ، فيما تخيلت ولم يتأكد ، فجاءت قطعة واحدة على الرغم مما اكتنفها من تنقلات بين الخير والشر والحاضر والماضي ، وبغداد وموسكو ••• وورود كل أولئك بالعبارة المناسبة وقل بالصورة الجريئة الملائمة التي تتحد مع أختها وهذه مع أختها لتكون الصورة الكبرى التي تمثل يوما كاملا من أيام رجل بعينه بقدر ما تمثل يوما كاملا لرجل مناظر له في أي ركن من أركان العالم • وانك تتابعه فرحا مرة ــ حد الابتسام ــ مهموما مرة ــ حد الدمع المتجمد في العينين ــ ، لما فيه ولما فيك من الرجل الذي لم يرد لنفسه يوما أن يضعها موضع الضعف حيث يتقدم الناس اليه بالتأسي والتعزية عطفا ورحمة ، ولكنه وقع ، وغلب وقع الحال كل قدرة لديه على المكابرة والتمويه • ولم يبق له إلا منفذ واحد هو الصدق مع فارق واحد هو انه استعان « بالسماق » فخدر ، وفقد الاحساس ••• وبقيت أنت في بكاء صامت •

مقالة ــ قصيدة ــ قصة عرضها حسين مردان بضمير المتكلم ، ولو شاء أن يختار لها ضمير الغائب أو المخاطب لاختار ولكنه مجبر ، فهو « أبو علي » الذي لا يخرج عن نفسه ، والحدث من الجسامة لديه بحيث يكون معه كلاً لا يتجزأ ، فالمتكلم هو نفسه : حسين مردان ولا يقلل ذلك من الفن لأنه لم يكن في موضع الفخر والتباهي ، ولان الحال التي يعرضها المتكلم تقع في روحها للغائب والمخاطب ••• فمن لم يقع فريسة بين الأمل والخيبة ؟ ومن لم يفجع يوما بأمل ؟! وهكذا ساروا كلهم في ركب واحد وقد اجتذبهم الكاتب ــ من حيث أراد أم لم يرد ــ تجاوبا وتعاطفا وحزنا وتوحدا في المصاب ، فاذا همس قارىء في نفسه : مسكين

أبا علي ، فهو صادق الحزن لأبي علي ولأي يقع موقعه ، والقارىء مسكين أيضا ، والهمس ضرب من البكاء •

هي بارعة من حيث جاءت بضمير المتكلم على لسان صاحب التجربة، ويمكن أن تكون بارعة كذلك لو عرضها كاتب بضمير المتكلم موضوعيا نيابة عن آخر يعرفه عن قرب وقعت عليه الواقعة • وأشك في أنه يبلغ بهذه النيابة مبلغ تلك الاصالة ــ لأننا في موضوع الشعر الوجداني ــ الذي يعرب عن حال معقدة يخرجها مخرج البساطة والسماحة •

ويصعب ــ أو يستحيل ــ على أديب أن يكتب مقالة لها هذا الحظ من سمات الابداع ــ مما ذكر أو لم يذكر ــ في ثلثي صفحة من مجلة أسبوعية !

ليس الذي صنعه « أبو علي » بالقليل ، وقد صنعه في سطور معدودة مستكملة الوحدة التي يطلبها العمل الفني (حتى من خلال التمزق السريالي) وتطلبها المقالة في أحدث ما استقرت عليه بعد تاريخ من التطور غير قليل في ميدان الجميل والأجمل •

هي مقالة بهذا ، وبالمفردات المختارة والتراكيب المتسقة ، وهي مبدعة بالانفعالات والعقل الباطن ، والعقل الواعي ، والصور والخيال ، والجرأة في قول الاشياء التي لا يقولها الا صاحبها وبالنمط الذي هو خاص به : من أعلى عليين الى أسفل سافلين •

ومبدعة كذلك لأنها ، وإن كانت مقالة أولا وأخيرا ، أخذت من الشعر أشياء ومن القصة أشياء فزادت خيوطا في نسجها ومدت نسغا في نسغها حتى كادت أن تفقد أصالتها النوعية ، ولم تفقدها •

لم يستطع أبو علي أن يكتب قصيدة ولكنه كتب مقالة ــ قصيدة ــ قصة ، ومقالة تفوق القصيدة • والعبرة بالفن أولا وأخيرا • وفي رأس الفن هذا الهمس من خلال الصخب الذي يستحيل جوا ، وهذا الجو

الذي يشرب نفس القارىء حزنا في هدوء ... هو حزن الانسجام مع كلمات مناسبة جدا وخاصة مما لم يكن من قبل في مفهوم المقالة لدى فصحاء المقاليين وأنبيائهم ، هي كلمات جرؤ أبو علي في يسر عليها فانسجمت في صور ، انسجمت في صورة !! ذلك مفهومه الفني للقصيدة مطبقا على المقالة ...

أجل الجو ، وليس سهلا أن تخلقه بحيز محدود تنتهي منه فاذا النص القصير يشيع في نفسك ما كان بعيدا في نفس صاحبه ... وكأنك انتهيت من قصيدة لبودلير ، أو قصيدة نثر لبودلير كذلك . لقد قرأ أبو علي قصائد بودلير الشعرية ، أتراه قرأ قصائده النثرية؟ ربما والمسألة واحدة ، مسألة الجو الذي يخلقه الكاتب في القارىء في هدوء ويسر ودهاء .

كان ذلك اليوم من كانون الثاني متعبا تفسيا ... ولكنه أجدى فنيا ... وما الفن بمؤاتيك في كل يوم ... ولا بد من أن تستجم بما لا يتعبك كثيرا ، مما هو مقالة فقط ، ولديك من مادته الجاهز وانك لتصل به ما انقطع من أمر « المدارس الفنية » ولعل أقرب المدارس اليك وأكملها في نفسك مع توفر مصدرها المباشر .. «الرمزية» ولا بد من قراءات قريبة بين يديك عن «الانطباعية» ، «المستقبلية» ، «التعبيرية» ، «التجريدية» ــ وما ضر لو ذكرت لنا المصدر لنزداد ثقة ، ولكنك تكتب مقالة ولا تحرر بحثا ثم إنك حسين مردان . ولقد قطعت بين الرمزية وتاليتها من المدارس بـ « محاورة في باص الامانة » هي ضرب من السريالية ينطلق فيه العقل الباطن خارج الباص الى عواصم بعيدة منها كوبنهاكن تنفيسا عن رغبة حبيسة بالسفر ، بالشرود في مجاهل العالم المعلوم ... ، وتقطع بين المستقبلية وتاليتها بفاصل شعري فيه تركيز ، وتقطع بين التعبيرية والتجريدية بمقالة تهيأت بعنوان « برتقال ... وجائع ... رأسمالي » : « أصبحت أهرب من المرح ، أميل الى العبوس » والبرتقالة « كبيرة كأنها

فانوس أحمر مضاء ، أنا رجل مشدود من جميع الجوانب الى أقدام الحفاة ... »

وننتظر « السريالية » فلا تأتينا . لماذا مع انك منها بقدر ما كانت الرمزية منك ؟ والسؤال غير وارد فلعلك نسيت أو حسبت انك تحدثت عنها دون أن تتحدث . وسؤال آخر يرد ولا يرد عن قيمة كلام أبي علي في مثل هذا الموضوع الشائك الذي يستلزم – في أقل ما يستلزم – معرفة بلغة أجنبية ؟ عن مادته فيه ؟ وفي الجواب يلاحظ الملاحظ أن الكاتب لم يبد جاهلا أو مشعوذا ولا بد من انه وصل الى موضوعه بدافع شديد مستديم من حب الاستطلاع والعمل على إشباع حاجة بمادة صحيحة لدى النقاش الذي لا ينقطع مع جماعة فيها الفنانون ، وفيها العارفون بالأمور على أصولها ... وإتماما لاهتمامه الادبي الطاغي عليه ... واستمرارا لقراءات مستوعبة باحثة عن جديد ... انه بتلك الدوافع قرأ المترجم ، وقرأ مجلتي شعر وحوار ومجلة الأديب ، وما ورد عن دور النشر البيروتية وفيها ما بحث الموضوع مجموعا ومفرقا ، مدارس أو أعلاما ، غير ما كان يقرؤه مترجما عن نظرية الفن أو تأريخ الفن .

تلك أمور لا تستعصي عناصرها الأولية على من رام الاساس منها . وفي كلامه ما يدل – أحيانا – على انه ينطلق من كتاب بعينه بين يديه مثل كتاب شمت عن «الرمزية» وكتاب هاورز في « الفن والمجتمع عبر التاريخ »، وانه حين يقول قال كاندنيسكي فلا بد من انه نقل القول عن مصدر ، ولكنه إعتاد أن يذكر المؤلفين ويذكر القائلين دون أن يذكر المؤلفات لأنه يكتب في مجلة أسبوعية ولا يعد بحثا لمجلة جامعية ، وكأني به يملك دفترا خاصا يسجل فيه من الاقوال ما يعتز به ويحفظه جاهزا لمناسبة تطرأ .

ولكن الكلام في المدارس الفنية يبقى صعبا على غيره فكيف به عليه . وهنا وجبت قراءتها – عندما تقرأ – في حذر ولا سيما عندما يكون الرأي

خاصا به معبرا عن رغبته الكامنة . ورأيته يقصر الرومانتيكية على الأدب والشعر بصورة خاصة! وكأن لم يكن أعلامها في الرسم والنحت والموسيقى!؟

أما انها مقالات ، وانه نجح تعليميا في أن يقدمها مقالات مستقلة عن بعضها ... فتلك فضيلته الاولى .

وفي « أبي علي » غير قليل من الرومانتيكية ، فمنها هذا الحزن الذي لا سبب له لديه ، وهذا البحث الدؤوب عن أن يحب ويحب ، وموضوع الموت ... مع فارق ان الرومانتيكيين يجأرون بالبكاء ، وهو يكابر ثم انه لا يريد أن يوصف بالرومانتيكي بعد أن تأثر بمدارس أخرى وضعف شأن الاعتداد بالرومانتيكية !

ولم يكتب عن السريالية ، ولو كان منهجيا لكتب ولأفادنا في الذي يسطره ـ كما أفادنا بالذي سطره عن غيرها كالرمزية ـ عن مفهومه الخاص ، وعلمه ، فنري ـ بعد ذلك ـ مسارب مفهومه وعلمه في فنه ـ لم يكتب مع انه يملك مرجعا خاصا بها هو كتاب « ايف دوبلسيس » .

وأشار اليه في أكثر من مناسبة ودل على صلة به وأخذه عنه ولكننا كنا ننتظر عنوانا مستقلا عن «الواقعية» بعد أن صار اليها وألم بها وأحاله الى مراجع مهمة مما كتب ارنست فيشر مثلا فيتخصص بذكره النوع المقصود من الواقعية ، ولكنه لم يخصص عنوانا مستقلا وإنما سرب الكلام عنها هنا وهناك (وتنظر له : كلاسيكية جديدة) ، وهي لديه التقدمية ، التي تخدم الشعب ـ ولو كان كلامه على المدارس الأدبية لاستغربنا غياب «الوجودية» ، ولكنه لم يعدمها !

لم يكتب فتشبث بقصيدة (مركزة) ويريد أن ينطلق نحو الابداع بموضوع يفكر فيه يرضي الآخرين فيكون « هلاهل لبيارق الفولاذ » سلسلة من التعبيرات الغائمة : « اللعبة بين أسنان الشيطان ! » و « جف

نهـر الملـح » و « ستائر الثلـج الصناعي » و « النار تعلس أحشـاء الاطفال » و « الضحك من خلف الأقمطة » •

تعبيرات تذكرك بما آلت اليه الصناعـة اللفظية في « الفترة المظلمة » تثقل بكلكلها على الغرض المطلوب : وهو الفرحة بالسلام ، وكأنها رصف لمنهج صار فيه مهنة بعد أن كان طبيعة • ولعله كان خاضعا لغيـاب الالهام وحضور الإرادة وحـدها ، ولو عرض مقالته هذه تعليما صرفا كما عرض المدارس قبلها كان أجدى ، والا فصوره الجزئية تبقى مجزأة ، وكلمـاته ـ وكلماتها ـ فارغة تقعقع فقط ـ وما هذا شأن أبي علي ـ ، ولكنـه يحدث في عالم الصحافة والاحتراف وخلال ما يمازج المرحلة من تعقل ومن وضع القلم في خدمة المجتمع • ولا ملاحظة لنا في ذلك ، وهو مالك الزمام، وإنما نريد له أن يلتزم التعليم بمقالته المناسبة إن لم يكن وحي وإلهـام • وكأنه قد تنبه للحال فمضى ، بعدها ، في سلسلة من المقالات التعليميـة النافعة (فقط) : « الشـعر من أدوات القتال » ، « العمق كبعد ثالث » ، « الفن والعمل الجماعي » وفيه : « الضحك هو المحـراث الذي أنبش بواسطته أكـوام الهموم في أعماقي فأنا لا أهرب من حواشي حـزني بل أحاول السـقوط فيه والتعامل معه » ـ وهذا ما يفسر ضحكاته المجلجلة التي يعرفها رفاقه ، ويسمعها عن بعد الآخرون ـ توالت مقـالات أخرى : « الأدب والعمل اليدوي » ، « الرواد في شعرنا الحديث » ، « الغربـة في الأدب الحـديث » •

مقالات تعليمية نافعة في الدلالة على فكر الكـاتب تقـدميا في هذه المرحلة من حياته ، وفي أخبار تخدم التأريخ الأدبي وتؤلف منطلقات لباحثين كقوله في الريادة « كانت الاشباح العملاقة للرصافي والزهاوي والجواهري تدفعنا الى المزيد من الركض للبحث عن أفكار وأدوات جديدة (•••) وقد ساعدتنا رياح الجدة الواردة من الأدب الاوربي على رفع الانقاض مـن

مفترق الطرق والسير في دروب مفتوحة » ولا شك في أن يضع نفسه ـ ولم يبالغ ـ في الريادة • أما بعد ذلك وبعد أن استقر ونما ودخل الطور الجديد فهو حكيم داعية الى أدب الرسالة الاجتماعية ••• في أحدث مسمياتها الحاصلة ومن ثمّ يعلم ويحذر الطالعين الجدد من « الغربة » الواردة من الغرب الذي استدعي «هرم» حضارته الانفصال (ضد الالتزام)، هذا « الذي يجب أن نخافه وأن نهرب منه ونحاربه أيضا فهو يأتي الينا داخل أغلفة من الجدة والتفلسف ، قد تخدعنا أن ندرك ذلك • كما هو حاصل فعلا عند رهط غير قليل من الأدباء والشباب العرب » • وهكذا يدور الدولاب فيبحث أدباء جدد ـ مستعينين برياح الجدة ••• ـ عن ريادة جديدة ••• وهم يتبعون «طلائعية» الغرب كما تبعها حسين مردان قبلهم !!

وكان خلال تلك المقالات ربما قطعها بالقصيدة وربما ودّ لو خرج قليلا عن دور «المعلم» •• وانتهى به هذا الود الى تحرير « الانسان الذي يقف فوق جسده » فيجيد على غير استمرار ، فالتعليم أيسر ويمكن أن يطلب فيلبي وهكذا تواردت : « الغموض في الشعر الحديث » ، « نحو حزيران جديد » ، « طفلة وألف شهيد » ـ وتذكرنا «الطفلة» «بالهلاهل» على اختلاف الدافع من الفرح بالسلام في الشمال الى الحزن بمأساة فلسطين ، فلقد لجأ هنا كما لجأ هناك ـ وجاءت صورة يابسة مستدعاة : « ألف جثة طاهرة مطروحة في رأسي » ، وربما شذ خياله الى ما لا رابط له وحين تضعف الكلمات لديه يستنجد ـ على غير عادته ـ بالصراخ المباشر : « ولعنت حظي الاسود • فأنا أحب الاطفال الى حد الجنون » « فيا لعظمة الفداء » • ويلجأ الى روابط «قانونية» من تكوئات المحامين أو المعلمين لم يكن يلجأ اليها وما هي من الشاعرية في شيء : « ومع ذلك فان ••• » ، « وعلى الرغم من كل ذلك ••• »

أتراه يتوسل الى « ربة الشعر » فلا تستجيب ، أتراها أومـأت اليه ــ بعد طول التوسل ــ بأن يجد وحيها في نفسه عندما يعود الى منطقـه تاركا ما كان لغيره ــ ولو مؤقتا ــ لغيره ، الى المرأة التي يحسن الكلام عن نفسه معها بحرارة وجمال حتى لو كانت هذه الحرارة من طرف واحد وإزاء طرف موهوم • ان موضوع المرأة طري لديك ــ أبا علي ــ صدقت أم كذبت ، صدقك السامع أم كذبك ، فهو يثير فيك خيالا نديا ، أندى من الواقع نفسه ••• وهذا هو الدليل في « الرخ والحليب الأســود » ، يا للعنوان ! ويا للتعبير الذي لا يواتي غيرك ، ولا يواتيك الا في هـذه السـاعة : « غير أني شاهدت فوق شفتيها السمينتين ظل ضحكة صغيرة أشبه بعصفور أخضر داخل قفص اللؤلؤ ••• » ومع انك المحكـوم عليك بالوحدة ، الباحث في أعماقك عما يزيلها ••• فانك لا تستطيع أن تمسك بتلابيب ما يتحقق من المرأة اذا تهيأ ، لسبب هو فيك ولا شك وأنت تريد أن تقول : إنه الكبرياء ، وإنك رخ وعبقرية « فارفع قامتك أيها الـرخ ثم ضع قدمك فوق كل شـفة لا تفهم العبقرية » وانك لمستعد أن تقـدم ــ وقد احتدم الموقف وتكرر ــ سببا كثيرة ترى في بعضها انك لا تستطيع أن تحب امرأة واحدة ولا تتوانى عن النص على وجهك :

« آه أيها الوجه ، يا وجهي البغيض ، انك لم تخلق لملامسـة عطور الفساتين ، فاجمع آهاتك ولتعد الى مقرك في قاع البئر » • وحسنا فعلت ، وليست المسألة متعلقة بالوجه وليس وجهك ــ يا أبا علي ــ بغيضا ••• ولا بد من أمـور أخرى أقلها : انك في مجموعك وجملتك غير مهيـأ لما جعلته ديدنك ولم ينفعك فيه التعالي ، ولم يجـدك التنازل ••• ولا بأس عليك • ويهمنا نحن المقالة المبدعة ••• وهي هنا بعنوان « الـرخ والحليب الأسود » ــ والقـارىء أناني كالكاتب ••• وانه وهو في أوج أنانيته من جمال المقال يستكثر عليك الفقرة الاخيرة منه ويرى « فرحك العظيـم »

إلحاقا إراديا ألصق بصمغ لا يقوى على حرارة الواقع • كان يريـدك أن تقف ــ أو تقعد ــ عند « قاع البئر » فتلك النهاية الطبيعية لمسيرة الانفعال•

والبئر ــ وهي رمز الخيبة ــ متعبة إبداعا وشعورا ••• وفي قعرها ينبثق شعاع من ماضٍ بعيد كان فيه أبو علي سيدا ، صدرا في المجالس ••• لا يمنعه مانع من قول ولا يردعه رادع من ادعاء ••• وحوله الصحاب••• يفترقون على غير موعد ليلتقوا على غير موعـد • آه : المقاهي! يا لتلك الحياة الخصبة والبلهنية في العيش على السـاعة التي أنت فيها ، ويدور النقاش ويحتد والفن والأدب والشعر المدار الذي لا يمل إنها أربعـة مقاه رئيسة متصلة فليجعلها أربع مقالات منفصلة عن بعضها ضمن الاتصـال ، كما فعل من قبل بالمدارس ، وسيغذي بها أربعة أسابيع من تموز ويحتفظ بها مصدرا لدارسي الأدب العراقي الحديث ــ ولا يحدثك مثل خبير ــ •

وهكذا كان • وتلتها قصيدة تلتها مقالات متناوبة بين الابداع والتعليم تدلك عليها عنواناتها : حناجر وحصان ونايلون • نحو ثقافة كونيـة • الزوج الخالد لدويستويفسكي ، (لعلك كنت نشرتها من قبل ، في جريدة ذات يوم) حكاية من نقطة الصفر • البلابل مقدسة الغناء ، تلتها قصيدة ، تلتها مقالـة : الشـعر وفرس النبي •

مرحى أبا علي ويا عجبا وأنت ، أنت حسين مردان تثابر هذه المثابرة ، أجل ، لا غيرك ومن حقك بعد ذلك أن تقف في الاسبوع الاخير من أيلول تنادي في نفسك ، وربما في إدارة المجلة : « أين هو الموضوع ؟ أين هو الموضوع » ؟ ووجدت أخيرا الموضوع في « أين هو الموضوع » :

« قلت لصديقي خالد علي مصطفى لقد صرت أكره الكتابـة ! وضحكنا ، هو وأنا وحميد سعيد ! انها نكتة حزينة ومؤلمة لا يدرك مأساتها غير الكاتب المحترف ! قد يعجـز القارىء عن الوصول الى أحشـاء هذه المشكلة ، لأنه لم يمارس عملية الخلق • إن مواد البناء جاهزة وموجودة

دائما . المفردات والخيال والالفاظ . ولكـن أين هو الموضوع ؟ شيء مضحك ! أما أنا فأقول : إنه يستدر الدمـوع . لقد كتبت عن الحـب والمرأة . عن النجوم والصواريخ والثورة . عن الرأسمالية المعاصـرة . عن الليل والوحدة والزهور . عن السفر والموت والنعاس . عن المغامـرة والبحر والجنون .. ثم هربت الى الجانب المظلم من الانسـان وحاولت أن أصف كل ما يدور في أعماق النفس ، حتى وصلت الى عصر الكهـوف وتجاوزته الى غابات السرخس وبداية الحيـاة . بل والى ما قبل ذلك ! ورجعت لأربط بين الخارج والداخل ... فوضعت وجه الكركـدن فوق مائـدة الطعام . وقد خيل الي أن كل ما في العـالم ينبض فوق يدي .. الطحالب والجبال . القرى والمعـاول . المعابد والكتب والملوك . ولـم يتخلص من مخالب ذهني أي حيوان أو نبات ،الاسماك والعضايا ، وكـل أنواع الطيور القديمة ذات الاسنان ، الزواحف والكائنات اللبونة.وأخيرا الغزال الذي يسكن الحـدائق .. وها أنا أقف في حيرتي ! ترى هل نسيت شيئا . الذهب وأعمدة الكهرباء . الطابوق وقلائد العقيان . اسـتخراج الماس والآبـار الارتوازية . المطـاعم والقصـور والاطفال . الاشتراكية والموسيقى وعنب الثعلب الصحراوي . لقد رسمت لوحة طويلة يركض في داخلها الحصان عشرين سنة دون أن يصل الى حافتها .. إضافة الى الملاحم الاخرى الخاصة .. الدفاع عن قدسية الكلمة . احتضان شفاه الكادحين. سحب الاقنعة عن عيون الاشباح . زراعة الديناميت في درب الطغـاة . ثم الولوج في سرداب الرماد حيث السـجون والغازات المسيلة للدمـوع والمعتقلات والمراحيض المكشوفة . القيود والمجالس العرفية . ومن وراء كل هذا مسيرة صاخبة ومشوهة . خناجر وحشيش وسياسة . مصادمـات وجراح وبوكر . اختفاء وظهور . صعود وانحطاط بسلسلة متصلة الحلقات وقلب واحـد ! فهل اقتربت من التعب؟ لا إن عروقي مملوءة بالحـديد

وسأبقى أشق الطرق أمام العالم . ومع ذلك فلم أزل أبحث عن موضوع جديد لمجلة ألف باء .. ألم أقل لكم انها مأساة في وقت واحد ..".... »

ويمضي أبو علي في ثورته على الحيرة التي تأخذ بخناقه وهو البطل المغوار ... يبحث وييأس ، ويجد ولا يكاد يجد ، والذي يجده إن حصل ليس من عالمه الذي يجلي فيه ويكون فيه نفسه ... ومن هنا ينتهي عمليا من حيث بدأ ، ويسلم الذي كتبه الى المجلة بعنوان « أين هو الموضوع أو المعسكر الاخير » . ولقد أجاد في الحديث عن نفسه ودلنا على مكانه من الجد في عمله وعلى ضرب من الصراع بين حسين مردان القديم المتمرد وحسين مردان الذي يريد أن يكون مثل غيره من الناس في عدد من الاشياء ، ومنها احتراف الكتابة . وكان واضحا في غالب ما قال دون أن ينسى — بين حين وحين — نمطه الخاص في التعبير ، والا فما معنى « وضعت وجه الكركدن فوق مائدة الطعام » أيعني أنه عمل المستحيل وأتى بما لا يأتي غيره ؟ ولم ينس كذلك ما تميز به من وصف لم يكن يوما للموصوف، وعطف لم يعطف قبله على معطوف ... واذا كانت البلاغة العربية التقليدية لا تقر ذلك ، وتجد مراعاة النظير ليزداد الانسجام والاتساق فان حسين مردان يخرق القواعد ويصل الى بلاغة جديدة ليثير ويجتذب بما يفوق فعل المألوف المطلوب فقلائد العقيان معطوفة على الطابوق المعطوف على أعمدة الكهرباء ، وعنب الثعلب الصحراوي مع الموسيقى مع الاشتراكية .

وأشياء وأشياء .. إلا أن الأساس في كلامه لدارس المقالة عنده عدّه إياها « عملية خلق » أدبي . وهي كذلك ، عرفناها قبل أن يقول ، ولكن لكلامه من الاهمية ما للوثيقة . وانا تتحدث لدى النقد — والدراسة — عن « المفردات والخيال والالفاظ » وهو يقول لنا إن هذه من حيث هي ليست بشيء ، إنها كائنة ، ممكنة ، حاصلة دون مشقة ، ولكن المهم المهم الموضوع الذي يصهرها وتبدو مخلوقة له ، الذي يجعل منها كيانا خاصا .

والشأن في ذلك شأن المواد الخام في أي عمل وفن وليست الاهمية في الفن لمواد البناء ــ وهي جاهزة ــ وانما لما ينشأ منها ويعلو بها : الموضوع •

ويمكن أن نحمل كلمة «الموضوع» هنا ما لا يصعب أن يحتمله من الباعث النفسي والحالة المؤاتية والساعة الملهمة ••• والا فالموضوع من حيث هو موضوع لا يصعب على طالبه وقد وجده حسين مردان خلال بحثه ، ووجد أكثر من موضوع ــ في المقالة نفسها ــ ولكن تلك الموضوعات لم تنبجس عن مقالة ••• أية مقالة تعليمية شأن أخوات لها فجاءت موادهـا الخـام متساوقة في وحدة ، أو إبداعية !••

ولا تطول الحيرة ، ولا يطول البحث عن «موضوع» على مثله• فهذه قصيدة • ويعود بعدها يستعرض التاريخ الفكري أو الخلقي لحسين مردان وخلاصته مرحلتان : التشرد والثورية ، وقد وصل به الطريق الاول الـى حافة الانتحار فنبهه ذلك الى الخطأ وسار في المرحلة الاولى طويلا عميقا : « فتوصلت الى حقيقة مخيفة ومفجعة ، وهي انني محكوم بالركض وراء المستحيل ، وان الموت الدرب الوحيد الذي يصل الى الهدوء ••• ولـذا بدأت أفكر بالانتحار ••• ولما كنت أخجل من تهمة الهزيمة ولو انني لا أومن بالعار ، تخليت عن الاستمرار في هذا الاتجاه • فكان لا بد لي أن أزج بنفسي في صميم الحياة ••• » ويبقى بين المتشـرد والثوري الذي اتخذ النقد لكشف العيوب ديدنه ، يبقى الخيط الرابط وهو « إني ••• رجل شارع حقيقي ، لا أميل الى المخاتلة والتزويق • لأني مقاتل نظيف »•

مقالة تعليمية وجد « موضوعها » في نفسه فكون من موادها الخـام بناءها واعيا لكل كلمة فيها داريا بصلة آخر جملة منها بأول جملة• وهذا هو بعض فضل « الموضوع » : التوحيـد والتأليف والانسجام الذي يبدو تلقـائيا •

ولا بد من موضوع يتفصّل في موضوعات فيأتي مقالات وقد وجده

في بحث لشاكر حسن عن « الفن الشعبي » فجاءت مقالاته أربع ملاحظات منفصلة . الاولى (ملاحظات حول دراسة تأملية) ، الثانية (قلق السندباد) ، الثالثة (بغداديات) ، الرابعة (شخصية المرأة في ألف ليلة) ولكنه قطع الرابعة بمقالة « على حافة الفردوس » حيث عاش الليلة الثانية بعد ألف ليلة وليلة ، وقصيدة ، وأعقبها بثلاث مقالات هي : الشيء الذي لا يوجده الحب والوطواط وماء الذهب . الشرفة الذهبية . وقد عاد فيها الى نفسه، والى حياته في تقلباتها وهي معين ثر لا يمل وان تكرر ، لأنه يتكرر ضمن انفعال جديد . واستعارة جديدة تؤلمه . حياته التي آلت الى « قالب من جليد » ، ولكن حزنه لم يتضح طريا إلا في المقالة الثانية : « ان الحزن الوحيد الذي لا أستطيع أن أقبض عليه وأصرعه هو الحزن الذي لا أعرف مصدره (...) ولكنني لم أصنع من أجل المرأة . وهذا هو السر في عذابي الدائم ... » . وله مع الحزن من التشبيه الغريب العجيب الذي لا يخلقه غيره ولا يتأتى لغير منهجه : « لقد تعلق بأهدابي بخفة ونعومة كالوطواط » أرأيت من شبه الحزن بالوطواط قبل حسين مردان أو بعده ؟

« وهذا النوع العجيب من الحزن كالسلبوح لا يمكن العثور عليه ورؤيته بسرعة . وهو لا يخرج اذا لم يأخذ معه شيئا مني .. » . والسلبوح كلمة مغرقة في العامية ولكنها ولا عوض عنها في عمق دلالة الضيق الشديد بالحزن . ويقف في الثالثة على حافة نهاية العام (١٩٧٠) وهو في الاربعين من عمره — كما أراد أن يقول — ولو عرف أنه أكبر من ذلك قليلا « وان الماكنة تدور منذ ثلاثة واربعين عاما » أو أكثر لازداد هما وإن بقيت عوامل الهم هي هي وفي مقدمتها ما كان منها خاصا بحياته السرية ، يجتره من حوار صامت ، ولكن شيئا منه يند الى الخارج بسبب من «اللاشعور» ... ومن كان يجهل أبا علي — والجاهلون به كثيرون — فليعلم أنه ليس كما بدا أو يبدو ، وان له وجها آخر ، وانه — قبل كل

شيء ــ رجل أخلاق ! ، ولا مفر لرجل الاخلاق من الحــوار الصامت مــع النفس ، ومن كشف الحساب في المناسبة ، وها هو ذا عند حافة عام ينتهي: « ... انني ارتكبت بعض الخطــايا التي لا تنسى . فقد هجرت واحدا من أعز الاصدقاء الى قلبي ، وســمحت لنوبة من الغضب مع أبي (...) وألعن من ذلك كله هــو انصرافي الكلي لاحتراف الكتابة من أجل المال لمجرد أني أود مشاهدة جبال الهملايا وطوكيو والجزر الخضراء البعيدة » والهم الأكبر ، الهم الدائم : المرأة . ولانه في موقف كشف الحساب وفي مرحلة من مراحل الصدق الذي صار أقوى على استخراج الخزين الخاص، أقوى ، أو ان الوقت أكثر مناسبة ... ليكــن ما يكون فأبو علي يقول ــ وهو يعترف عند نهاية عام من عمره ــ : انه لم يحب يوما ، ولم يحب. وذلك هو العذاب الاكبر : « ... اني لم أبتسم لفانوس الحب (...)على الرغم من أن المرأة كانت ولا تزال أجمل القصائد في قلبي ، ولو انهــا خالقة عــذابي الذي لا نهاية له ... »

وكلما اشتدت حاجة أبي علي الى المرأة ــ المرأة ــ واشتد حزنه لخلو حياته منها ، أوجدها له خياله جميلة رائعة فيتحدث ما شاء له الحديث الموجز المركز المزدان بالصور عن القمر الذي هبط فوق صدره . ولكن ذلك لا يدوم ــ كذبا كان أم حقيقة ــ فيغيب القمر ساعة إطلالته من بين لبــد الغيوم . هذا الذي يقع كذبا أو صدقا ، ولنقل صــدقا فليس صعبا أن تجلس امرأة الى جــوار أبي علي ، فتكون له ، وهو في « الاربعين » « الخفقة الحقيقة الاولى » ، ولكن الصعب الصعب أن تطيل الجلوس الى جانبه . وله في ذلك تعليلات وتعلات وهو هو هنا يوجزها في ختام قائمة الحساب : « ... ان الموسيقى لن تحب الفلسفة ... فهل أطمع في وضع العندليب والغراب في قفص واحد » وسيموت دون أن تلامس فمه خصلة من شعرها . ولكنها تبقى ملهمته على طرازه الخاص .

ويسد شاغر الاسبوع الاخير من العام بنشر مركز ويبقى إزاءه ـ في نفسه ـ عمل طويل وعمر مديد ... وهم لا بد منه لايفاء الحرفة حقها وقد زالت ـ أو خفت ـ ضائقة البحث عن موضوع ، فقد وقع في خضمه.

وستتصل بداية العام (١٩٧١) بنهاية سابقه : الحزن على صدود فلانة، والتفكير المتصل بالحال التي هو عليها وتحليل العوامل المؤدية الى مأساته ـ في حدود ما يمكن التحدث به مع الاصدقاء ـ . وهكذا كانت المقالة الجديدة : « الصاعقة ورأس الشمعة » طورا لنفسه متمما لطور « الشرفة الذهبية » .

بل إن الأولى كانت فرشا وتمهيدا للثانية ، فجاءت الثانية مكتملة في نفسها في بحث السر عن خسارته : فشكله قبيح ، ويريدها أن تتقدم هي نحوه لضعف في شجاعته ، ولأنه مفعم بالكبرياء ، ولا يؤمن بالمغامرة . وأسباب أخرى يدور حولها ولعله لا يعلن صميمها وربما استعان على الصميم أو الاقتراب منه بنمطه الخاص من التعبير الذي يعمي على السامع : « ... أنا لا أزعم أن رأس الشمعة غير قابل للاحتراق ولكنني أخشى أن التقي بالحالوب عند رفع الستار عن مكان الصاعقة ... »

اننا مستعدون تمام الاستعداد لتصديق واقع ما جرى لأبي علي من امرأة معينة ، ولكن هذا الذي جرى كان فيه أكثر مما كان فيها ، وربما كان فيه وحده . وتبلغ بنا الأنانية ـ بعد ذلك ـ أن نتركه في عذابه مكتفين بمتعة المقالة مقتنعين بأنه قال كل ما يصلح للمقالة أن يقال ... على وجه من الجمال .

أعقب المقالة بقصيدة ، وأعقب القصيدة بمقالة « السمك يفقد طعمه الدموي » وهي من الاحتراف أكثر منها في موضوعاته المفضلة وان اتخذ من نفسه مدارا ولكنه مدار من القواعد العقلية انتهى بها الى ما يختـ

قلقه السابق الذي أحدثته فيه امرأة جلست الى جانبه بأن وجد العـزاء في قانون جديد : « إن المرأة الجميلة لا وجود لها إطلاقا ... » .

إنه في هذا العام يكثر من المناوبة بين المقالات بالقصائد والنثر المركز، وهذه المقالات هي : العصفور والفواكه الصناعية . القطة تقفز في الفضاء . انتبه فقد تسرق الناقة . وهو فيها «كلها» يـدور حول نفسه وما يريـده للناس ، ويعترف بتناقضه ، ولكنه يغلـب العقل في الكلام على الخيـال والعاطفة وتندس خيوط من تجربته السابقة حديثة العهد من حيث يريـد ولا يريد . ويلوذ بالفكر الأدبي فيكتب في « الناقد والرؤيا الثلاثيـة » بلهجة المحاضر في مادة معروفة يريد أن يبدو فيها مفكرا ثم في « من مخزن الذكريات » مبينا خلاصة رأيه ــ أو آرائه ــ في الشعر : « الشـعر تعبير إرادي عن حالة نفسية أو كشف لحـادث خارجي » وقد يكـون التعريف غامضا أو غير مقبول ، ولكن حديثه الباقي واضح ، ومنه ما يقبل وما يرجع اليه لدى تأريخ الحركة الشعرية المعاصرة له . ويستمر في «ميدانه» الأدبي بمقالة ثالثة هي « لنمنع الماء عن شجرة الخيال » ، ورابعة : « الوضـوح بين الادب والفن » وكان في قراره أن يستمر في هذا الوادي الفسيح الذي لا يكلفه جهدا خاصا فهو استمرار لحديث المائدة وتلخيص له ولكنه قطعه مؤقتا بـ « المسرح المرح » وكأنه دعي لحفلة في مدرسة بنات فدلنـا على مقدار ما ينتابه من اضطراب في حضرة المرأة ثم عاد الى جولاته : « الصورة في الشعر الحديث» ومفهومه فيها ثابت لا يتغير هو هو سنة ١٩٥٥ وهو هو سنة ١٩٧١ من حيث وحدة الصورة العامة واتساق الصور الجزئية خلالها ومكان الكلمات والموسيقى منها ، ولكنه أكثر توضيحا لأنه في موضـوع خاص بالموضوع ومن هنا دلنا على المكان الواسع الذي يحتفظ به للارادة في عملية الخلق الأدبي ، ومن العمل الارادي أن يكون للصورة : « بداية ووسط ونهاية » ، ومنه « حقن الكلمة بمدلولات غير متشابهة وخاصـة

عندما يكرر الشاعر صورة واحدة أكثر من مرة » • وهذا الذي قاله عن الصورة الشعرية هو هو في المقالة المبدعة حيث أدخل الشعر في النثر •

ثم « المعنى في القصيدة الجديدة » ويكاد يكون فيه موزعا بين عالميه

القديم والحديث ، السريالي والواقعي ، ولكن الذي ينفع دارس شعره كما هو ، ومقالته المبدعة قوله : « إن المعنى المباشر لم يعد يؤخذ به في الشعر الحديث • ولذلك يتحتم على القارىء في وضع مثل هذا ، أن يبحث عن الوجه الآخر للمعنى •• وهو عادة وجه يرقد تحت الماء ولا يمكن الامساك به بسهولة ••• » • فهذا هو الذي رأيناه في المقالة المبدعة تأثرا بالمذهب الرمزي ، أما فيما عداها أي الامساك في التعليمية ـ وفي هذه السلسلة خاصة من المقالات ـ فالامر يختلف لأن الوضوح والمباشرة من الشروط اللازمة وزاد الكاتب هنا ، على الوضوح لوازم المحامين والمعلمين•• مثل : قبل كل شيء يجب ••• ، ومثل : حاولت ••• ثم •• لم ••• ومثل : نستطيع أن نقول • ومع هذا فيجب أن لا يفوتنا ومثل : للوصول الى ذلك لا بد من ••• ومثل : لعل أخطر ما تتعرض له ••• ومما يثير الاستغراب ••• وعلى الأخص ••• وهنا يجب على الشاعر العربي أن يدرك •• الى ما هناك من تكئوات منطقية تزيد المقالة إغراقا في البعد عن الطراوة ••• وانه ربما تخفف منها في غير هذا الاطار الواقع فيه حاليا وفي مقالات تترفع عنها رغم تعليميتها •

ويعود أبو علي الى نفسه كلما شعر بالجدب واستهلاك موضوعاته ، فيكتب : « السفرة التي لا نهاية لها » • « الصعود الى الواقع » • « لا يوجد غير وجهي في المرآة » ويحول غلبة العقل ـ أو التعقل ـ دون الانطلاق ومن ثم يقل الماء والرواء •

ويظل يتردد بين هذا وهذا على غير ارتفاع يذكر : « النثر الشعري »

« مكتوب لم يرسل » ، « رسالة ذات بعد واحد » بانتظار قمة جديدة سيبلغها بـ « قصيدة عن الضحك » .

ويبدو حسين مردان في « قصيدة عن الضحك » على وجه لم يره فيه الذين يطلبون من الأديب الصورة التي ليست له ويفضلون الاسطورة على الحقيقة . والا فمن يصدق العكس ؟ من يصدق أن حسين مردان تتهيأ له استنبول فيضيق بها ذرعا فاذا طبيعتها ليست الطبيعة ونساؤها لسن النساء !! ولم تتغير استنبول فهي هي ، ولم يبق الا التنقيب في هذا الكائن الجديد الذي هو حسين مردان .

من يصدق أنه يحن الى بغداد حنين طفل فارق أمه ، حنين حبيب هاجر عن حبيبته ، ويحن ـ شأن من يحن ـ الى كل شيء ، الى ما لم يكن يراه أو يلتفت اليه يوما من أعمدة شارع الرشيد وغرين دجلة . لا أحد يصدق أو يتصور ، لكنه الذي وقع ولا بد ، من قبوله واقعا لا لبس فيه ، ومن ثم لا بد من إعادة النظر . يعيده هو في نفسه ، ويعيده عارفوه في نفسه وفي نفوسهم . حسين مردان !

أجل ، ومن لا يريد أن يصدق فليقرأ « مقالة » لحسين مردان ضمت في الحيّز المحدد من صفحة المجلة الاسبوعية عالما واسعا من العواطف والحالات النفسية ، وصورة للأسد الجريح . موضوع المقالة بلغة الناس يمكن أن يسمى : «الحنين» . والحنين حق الى الوطن أو الى غيره ولكن اللفظة ربما عادت مبتذلة لكثرة ما لاكها الشعراء «والنثراء» الكبار والصغار ، والبضاعة فيها جاهزة في ألفاظها وتركيباتها وتشبيهاتها . ولكن أديبا شاعرا اسمه حسين مردان لا يفتعل ولا تروقه لغة الناس . ثم إنه حالة معقدة .

ويكفي من تعقيد الحال أن يكون صاحبها حسين مردان الذي لا يربطه بالوطن رابط ، ويدفعه للالتصاق باستنبول ألف دافع . ويأتي حسين

مردان ، هو نفسه يأتي اليـوم ليفرض على سـامعه من حنينه درجته في الكم ودرجته في الكيف • ففي الكم هذا الذي هو حنين امرىء اعتـاد التشرد ، وفي الكيف هذا الحيز المحـدود الذي تضمن الشر كله وأذاعه في صورة لم يكن الرسـام قد رسمها يوما لنفسه ، ولم يكن عارفـوه رأوها فيه من قبل مما كان حقيقة لم ينتبهوا اليها أو أسطورة ارتضوهـا لأنفسهم لغرض لهم بها ، وشجعهم الشاعر عليها لغرض له بها ••• فجاءت هذه الصورة الجديدة على ما لا ريب فيه معنى ولا معدى عن الاعجـاب به مبنى ، وتغلغل المعنى في المبنى فصارت المقالة متماسكة تنبض بالحيـاة لدى الضيق ، وتنبض بالحيـاة عندما لا يجد صاحبها الفرج الا في الحلم، وفيما لم يعهد عنه الاعتراف به وهو لا يظهر الا بمظهر العنفوان !!

لحسين مردان « طقسه » في تسمية الاشياء بغير أسمائها فهو لا يسمح ـ مثلا ـ لنفسه أن يتخـذ لما يغتلي فيه عنوان : الحنين الى الوطـن • ذلك عنوان ابتذله من هب ودب ، وإنما ينبع له من نفسه خلال طواعية اعتياد غير المألوف اسم : « قصيدة عن الضحك » وفي غير المألوف ـ بعد ذلك ـ ما في المألوف وما ليس فيه من سعة الدلالة وعالم الايحـاء • ثم إنه شـاعر وليس معلما •

يبدأ المعلم مقالته بلغة الناس : اني كنت أحب استنبول وأرتاح فيها، أما اليوم فلا ، فإني شديد الحنين الى بلدتي العزيزة بغداد ، واني لعازم على العودة اليها • أما حسين مردان (الشاعر) ذو المفهوم الفني الثـابت في أركانه النابع من نفسه وخلقه ومزاجه وحياته وقراءاته وممارساته ، فيعرض الموضوع خلقاً آخر : قطعة من جمـال ولوحة من الكلمات • والشـعور شعوره والقلم قلمه وها هو ذا يشـرع ويسير بما يبـدو عليه وكأنه لم يخطط ولم يتدخـل •

وبماذا يبدأ بـ « آه » ولك أن تتصور مدلول هذه الآه فيما أوجزت

من نفس حسين مردان المتكبر المتعالي الجبار • إنها وحدها « المقالة » لو امكن لمقالـة أن تتألف من كلمة واحـدة !

ثم لا بد للمرء ـ حتى لو كان حسين مردان ـ في حالات الوهـن والكرب والجـزع من الاستعانة • ويستعين حسـين مردان برفاق كانوا يلازمونه في بغداد : « يا أحبائي » ، ولا يطيل ، ففي ذلك ما يكفي • يا أحبائي يعني يا أحبائي • وحضورهم نمط من المقالة التي تبدأ وكأنها رسـالة والامر طبيعي ، فهو بعيد يكتب اليهم من بعيـد ، واكتسب الأثر بذلك قوة الرسالة الى قوة المقالة ، ومنح المقالة ما تسميه البلاغة العربيـة بالالتفات • وللخطاب في الأدب أثره الحسن ، فاذا جاء بعده تقـرير فيه خصوص وعمـوم زاد جمالا •

ويريد حسين مردان أن يقول لهم : انه فقد صبره ، ولكنه يأنف من حروف مسـحوقة فيقول : « إن الصـبر يؤكل بسرعة ••• » ولهـم ـ ولك ـ أن تتصور نفاد الصبر • وكيف يصبر وبم يعالج الأزمة ؟ إنه يشتاق الى رفاقـه كثيرا والى بغداد كثيرا كذلك ولكن الفـن لا يعترف بكلمات تقول : اشتاق اليكم والى بغداد كثيرا جدا • وانما يعترف بقول حسين مردان : « وها هو الشـوق الذي له ألف ناب أحمر يعض لحـم قلبي » • أجل وماذا تريد هذه الكلمات : الأنف ، الناب ، الاحمـر ، بعض لحم قلبي •••؟ ليس منها إلا ذو دلالة على عظم الشـوق وشـدة المكابدة وتقريب البعيد • ويمضي « يشرح » لرفاقه دون أن يكرر الخطاب ـ لأنه لا يكتب رسالة ـ وكأنه يحدث نفسه ، ويتحدث عن نفسه غيـابا في حضور ، وحضورا في غيـاب ، لان الكبرياء لا تفارقه ولا تريـد أن تفارقه : « لعلها المرة الاولى التي أشـعر فيها بعذاب الفراق ••• »

بل إنها المرة الاولى ، والا لما كان هذا الوقع على صاحبها ، وهـذا الذعر ، والوهن ••• ثم هذا الفن • وما الذي يرهب امرءً في الشـوق ؟

لا شيء فهو صفة انسانية حميدة ، والرجل مالك لزمامه • اشتاق ، وليكن، وما عليه الا أن يعود أدراجه موفور الصحة والمال • ولكن الذي يرهب حسين مردان شيء آخر : ما يرهب الناس إذا مسّ أمر شبابهم ولامس قوتهم وأشعرهم بما ينقص القدرة على الاستمتاع الطويل الأمد بالحياة : « لقد شخت فجأة •• فوا حسرتاه • انه منتصف الطريق •• ولكني لم أعد ذلك الفارس الملثم بالرعب والجمال ••• واني اليوم كبريت ملقى على الثلج •• وعن قريب سأدخل غرفة البكاء •• »

يطيل في هذا الموقف لأنه صميم الحال التي هو عليها ، يطيل ، طبعا ضمن الايجاز الذي هو فيه ، ويعوض عن الايجاز بثراء الكلمات والتعبيرات والصور ••• حتى تحس معه طول ما يعانيه وتحس طول ما يكابده •

مسكين أبا علي ، لقد قلت ما لم تقله ، واعترفت بما لم تعترف به ، ولو لم يكن ذلك عن بعد وعلى مسمع رفاق بعيدين ، وعلى الورق لما طاوعك لسانك ولما جرى به قلمك ••• أم إنه عمق الصدق وانه الحقيقة التي لا أجمل من إذاعتها بالشكل الذي وردت عليه ، وليكن بعد ذلك ما يكون وليقل الرفاق ما يقولون • وليغيروا من ظنهم ورأيهم وتصورهم اذا شاءوا • فالى متى التزوير ، وقد ضعفت الارادة عن التزوير • لا بد من شيء من الحقيقة قولا أو فعلا ؟!

ومع هذا ، فان رجلا اسمه حسين مردان لا يلقي السلاح في يسر ، ولا يعدم مجالا جديدا للكبرياء إن فاته مجال ثم إنه انسان ــ كأي انسان ــ يعزي نفسه صدقا أو كذبا ، ولا نريد لحسين مردان الكذب هنا لأنه لا يريده ، ولانه العوض الاكبر : « إن عزائي الوحيد هو اني لم أفقد صفة الاسد أبدا واني لم أسمح لاسناني بملامسة الاطعمة الميتة » •

وكان يمكن أن يطيل « في أسديته » هذه لو وجد في غير هذه

الحال ، ولكنه لم يستطع لأنه يعرف جيدا الوهن الذي يحتويه ،والضعف ، والجزع ، فأي أسد هذا الذي يهون ويضعف ويجزع !

ومن هنا وجد للأسدية مجالا بعيدا عنه ، وعن العالم الذي أوهنه .. ومن ثم جاءت في نسق من كلام سائر الناس : « ولذلك يحق لي أن أضع ما تبقى لي من نبضات حارة في خدمة الوطن ... » فما علاقة ما أنت عليه في استنبول بخدمة الوطن ؟! لا نشك في حبك العراق ، وفي صحة قولك ان « كل الجمال الموجود في استنبول (...) لن يستطيع أن يرفع عن أجفاني طيف العراق ... » ولكن هذا الحب مرتبط بشارع الرشيد وأعمدته ... ولا مجال « لخدمة الوطن » في سياقه .

ويحمله الخيال الى بغداد فيرتاح قليلا ثم يعود الى استنبول، والخيال الوسيلة الوحيدة التي تخفف ، ولو الى حين ، الكرب . ولم يجد حسين مردان بدا ـ وهو يدرس حاله ـ من تقرير الحقيقة التي يقرها العقل الواعي بعد أن مهدت لها العاطفة : « وهكذا أعترف في مثل هذه اللحظات لوجداني بقيمة الخيال وضرورته للانسان » .

ويتطامن ويهدأ استعدادا للفقرة الختامية التي تبدأ بـ « إيه » و « إيه » هذه في حسن الانتهاء بلاغيا غير « الآه » تلك في حسن الابتداء . وراء « الآه » انبثاق الحزن ، ووراء « الإيه » استسلام لامر : « لقد فرت كافة الطيور المغردة التي كانت تسكن في داخلي . ولم يبق عندي غير الصمت المميت ... »

ولن يستسلم امرؤ اسمه حسين مردان الاستسلام كله : « ومن بعيد يقبل نحوي صوت المسمار الذي يغوص في الخشب ، لو يموت كل ما في العالم من جمال قبل موتي بيوم واحد فقط !. إذن لاستطعت أن أنظم قصيدة عن الضحك ... »

هكذا فهمنا الفقرة الأخيرة على غير اقتناع بالفهم . أما انه استقرار على

أمر فذلك ما يمكن أن يكون (واضحا) ، وهـذا الامر يمكن أن يكون الاستسلام . ولكن الذي لا يفهم جيدا فيكون سببا في غموض النهـاية : المسمار فأي مسمار ؟ وأي خشب ؟ ومن أية مسـافة بعيدة يقبل ؟ أمي بلاده وفيها ما يمكن أن يكون فيها من منغصات تحول به دون « نظم قصيدة عن الضحك » ؟ أم ماذا ؟ ومن ؟ وكيف ؟

وهذا غموض مأتاه وضوحه الشديد في نفس صاحبه ، ولعله يغطي به أمرا خاصا جدا ، ويتسـاءل المتسائلون : أله علاقة ما بالمرأة ، المـرأة في استنبول ، والمرأة في العراق ، فاذا بلغها نظم عندئذ قصيدة ضاحكـة ، فرحـة ، ولكنه منها كما كان من قبل في « من يفرك الصـدأ » فسيبقى معذبا بالجمال ، ولن ينظم قصيدته المتمناة .

لقد عودنا حسين مردان أن يغمض السـطور الاخيرة من مقـالاته المبدعة (الذاتية) وقد يشير ذلك الى عمق السر في نفسه متحدا مع يقظـة في آخر المطاف بالكبرياء ... وقد يرى معه فنا يشغل ذهن القارىء فيبقى متصلا به ... فما العمل الفني بعقب سـيكارة يرميه صاحبه اذا انتهـت السيكارة ! ربما . وما « قصيدة عن الضحك » بالمقالـة التي يستهين بها القـارىء الفنان ....

وكثيرا جدا أن يتضمن حيز محدود من صفحة من مجلة اسـبوعية ما تضمن حيزها من العواطف والافكار مع تسـاوي الاجزاء واتزان ونسب العناصر والترابط في سيرة طبيعية تنساب أشبه بقصيدة وجدانية أو رسالة من صديق الى صديقه دون أن تكون قصيدة بالمعنى الحـرفي أو رسـالة بالدلالة المعجمية ، وإنما هي مقالة تأخذ من هذه وهذه لتزداد ثراء .

المقالة ذاتية ، خاصة بانسان بعينه في حالـة بعينها . وفي هذا تضيق لقيمتها الفنية لو بقيت في حدوده ، وما هي بضيقة لأن الحال التي طرأت

على الكاتب على وجه تطرأ على كثيرين ، كثيرين من بين البشر ، أما الذين يستطيعون أن يعبروا عنها في فن على غير اقتسار فقليلون ، قليلون .

أجل ، من غير اقتسار ، وباقتدار . ولا ينفي ذلك عن صاحبها عنصر الارادة لأسرار الفن فيما يأخذ ويدع وفيما يذيب من عقل خلال العاطفة فيخرج الأثر المعقد مخرج المنساب عفرا !

ومن حق أبي علي ـ بعد ذلك ـ أن يستجم لمدة أربعة أسابيع ، وبعد الأربعة ، أسبوع للنثر المركز ، وتأتي مقالات : الجمال وسلطة الأدب . الخروج من المقلاة . الادب بين الماهية والوجود . الكركدن وقوانين الشرطة . وأخيرا كتبت المقال . الضوء .. أكثر من لون . هي الآن في شارع فرعي فوق قالب الصابون .

ينهي بالمقال الاخير اليوم الاول من الشهر الاخير من عام ١٩٧١ وينظر وراءه فيرى مسيرته قد طالت . ان الذي كتبه خلال ثلاثة أعوام غير قليل ، يغريه ، ويغريه من حوله ومكافآت وزارة الاعلام ... بجمع مقالاته في كتاب تصدره الوزارة (وينال به قدرا لا بأس به من المال يسهل له غاية السفر في الاقل) . وهكذا كان .

ولا يصعب عليه العنوان ، يصوغه انبثاقا من نمط تفكيره وتعبيره : « الازهار تورق داخل الصاعقة » ولا يبتعد به عن عالمه الجديد وفكره الذي استقر عليه وتفاؤله بالخير والمستقبل له ولبني البشر جميعا ، وإلا فهل أعنف من الصاعقة في التدمير والتخريب وإحراق الأخضر واليابس ؟ أجل هناك ما هو أعنف من العاصفة : الأزهار التي تورق داخلها .

ولم يكن هذا المعنى بعيدا عنه ، ولم تكن الصورة جديدة عليه ، ومن قرأ له في ألف باء نفسها (١٧ حزيران ١٩٧٠) قصيدة من النثر المركز يتذكر قوله فيها :

لقد كانت الصاعقة ثقيلة
وعنيفة
ولكن الشـجرة لم تمت
لقد احترقت الأغصـان
وسقطت الثمـار المريضة
وظل النسغ يتدفق نحو الأعلى
ومن خلال المطـر والرياح
والرمل ، بزغت براعـم جديدة
مغطـاة بالنار

تنظر في هذا الذي جمعه وقـد بلغ تسعة وسبعين عنوانا يضـم مئة مقالة ومقالة فتدرك أنه لم يستوف المقالات التي كتبها حتى ذلك التاريخ . لقد احتفظ له بأربع المقالات التي كتبها سنة ١٩٦٨ ، وأهمل عددا لا بأس به من مقالات ١٩٦٩ و١٩٧٠ وكان مما أهمله « من يفرك الصدأ » ورعى عام ١٩٧١ رعاية خاصـة وكأنه لم يهمل منه شيئا .

ولا ندري لم ترك ما ترك وفيه الجيد إخراجا والجيد مادة شأن الذي في المختار ، وقد يفوق أحيانا . ويمكن عزو ذلك الى ضرب من لا منهجية الرجل فقدم للمطبعة المتيسر لديه ، ولعله حسبه كل ما لديه ، ويمكـن البحث في أسباب أخرى وكأنه أبعد ما هو شخصي جدا وما لا يريـد أن يتكرر على القراء ثانية ، وأن يراعي خطة وزارة الاعـلام إذ تنشر كتب المؤلفـين على نفقتهـا ...

ولو كتب مقدمة (قصيرة) لمجموعته لألقى ضوءا يـدل الباحثين على شيء ، وما كان لمثله أن يكتب مقدمـة . ولعل الفكرة ــ فكرة الجمع ــ جاءته على عجل ، والحاجة الى المال كانت تصيح في «جيبه» ... والمهم أن يقدم «المجموعة» سريعا ، ويقبض نصف المبلغ مقدما ... ويترك خياله

لاستثمار النصف الباقي ... وقد فعل ، ولم يدخل على المجموعة جديدا يذكر ، ولا يخرج ما أدخله عن حاشية موجزة هنا وتعديل بعنوان هناك .

استراح أسبوعا ، لعله أسبوع «الجمع» ألحقه بمقالة « أبو تمام شاعر له أكثر من وجه » فنشر مركز ، وانتهى العام ، واستقبل العام الجديد (١٩٧٢) بثلاثة أسابيع من «العطالة» والبحث عن موضوع تتشعب عنه موضوعات ، يخصص للشعبة الواحدة مقالة مستقلة بالشعبة متصلة بالسلسلة ، فقد جرّب ذلك مرارا ، ورآه مريحا .ولم يجد خيرا من تجارب عاناها وبقيت في نفسه وتاريخه وتطوره الفكري . إنها المحاكمات الست التي مر بها . وهكذا شرع يوالي الكتابة فيها على مدى ستة أسابيع : المحاكمة الاولى ، الثانية ، الثالثة ، الرابعة ، الخامسة ، السادسة . واتخذ للمقالات الست عنوانا عاما هو : « مذكرات حسين مردان » ولا أحسبه كان يعيد نشر شيء كتبه مذكرات ، لأن للمذكرات طابعا غير هذا الطابع المقالي . وأحسبه قصد بالمذكرات : الذكريات ثم أخذ من الذكريات ما يصلح أن يكون مقالات .

واستطاب أبو علي المذكرات (الذكريات) فما انتهى من المحاكمات حتى كان قد أعد سلسلة جديدة سماها : « مذكرات عبر مدن العالم » وقد سافر أبو علي كثيرا ورأى كثير ، ولديه ـ حتماً ـ ما يقوله على نمطه الخاص بعيدا عن الثقل والتفصيلات فما هو بالجغرافي ولا المؤرخ ولا العالم الاجتماعي ، إنه حسين مردان يكتب مقالات لمجلة أسبوعية، ومثله قادر ـ وقد برهن على ذلك ـ أن يجمع عالما واسعا في حيز ضيق، وأن يتحدث عن مدينة صاخبة له فيها ما له ولها ما لها في أقل من صفحة من صفحات المجلة محتفظا بالطراوة اللازمة مشتملا على الطابع الذي هو له ... وهكذا توالت مدن العالم : الكويت . القاهرة . تبريز (أسبوعان من الاستراحة !) بودابست . بيروت . القدس . موسكو . دمشق .

ميونيخ . هلسنكي . روما . صوفيا . ستالينكراد . أثينا - هي أربع عشرة مدينة - ولكننا رأيناه يترك الثالثة عشرة من غير رقم لحلقتها ، ويضع لأثينا الرقم (١٦) فلماذا !؟ أهو السهو ؟ والسهو ممكن أم ماذا ؟ لا يهم . البركة بالحاصل المتهيء .

أجل ، ويصعب أن تكون الأسفار مادة لمقالة أو مقالات لكثرة ما يلاقي فيها المسافر من خير وشر ، وعيون وآذان ، وصحة ومرض، وعلم وجهل ، وسعادة وشقاء ... في نفسه وفي الآخرين ، فهي أولى أن تأتي مذكرات يسجل القلم فيها كل شيء من صغير وكبير ويحفظ بذلك الأمانة ويؤديها الى القارىء كاملة على شكل كتاب . ولكن حسين مردان جعل أسفاره مقالات فاتخذ المدينة التي يزورها محور الكتابة ولا يكتب إلا ما انبثق عن هذا المحور من تداعيات ظلت حية متحدة في نفسه وهي إذ تكون كذلك تأتي وحدة مشذبة مهذبة لا ينبع خلالها الا الكاتب نفسه سواء أصرح بذلك وقدمه بضمير المتكلم أم أخفاه وحرف الضمير الى غيره ، واختار حسين مردان ضمير المتكلم لأنه قلما خرج عن إهابه ولانه سيقول أشياء من الجرأة بحيث تزيد من قوة الكلمة اذا صدرت مباشرة .

وهو يتحدث بحب وهوى لأنه لم يطلب من مدن العالم التي عبرها غير الحب والهوى فما هو بطالب علم وما هو بتاجر أو عامل أو سياسي أو مراسل صحفي . انه حسين مردان في المدينة الفلانية ، وصحيح أن المدن وسّعت من أفقه وقربت البعيد له وأشاعت الأخوة الانسانية فيه ، وسكبت الشرقية منها أشعة من الفكر التقدمي وأطلعته على أمثلة من التجارب التي رآها بناءة ، ولكن حسين مردان يبقى حسين مردان ، أو يبقى في حسين مردان الثاني شوق الى حسين مردان الاول ... ولهذا كانت «بيروت» أجمل مقالة في المقالات الاربع عشرة الجميلة ، لأن بيروت أوصل بدمه وألوط بعرقه ولأنه يجد نفسه فيها كما هي وكما يريد : « في

بيروت لا أحس بالوحشة ، أو بذلك الخوف الغامض من النعاس ••• ربما لأنني لا أنام قبل الخامسة صباحا ! أو لانني لا أصطدم بذلك اللون القاتم من الانفعال الفارغ » •

هكذا ختم مقالته ، ومقالته محتفظة بالوحدة على أنها سياحية المنطلق وعلى أنها تضمنت الحديث عن أربع أو خمس سفرات للكاتب نفسه الى المدينة نفسها ، مما يمكن أن يعقد الموقف ويجور على النظام ويعكر الصفو فيجعل الشعر درسا فيه العلم ومع العلم الجفاف • وأقل ما في بيروت لأديب عربي هؤلاء الادباء من لبنانيين وغير لبنانيين ، وهذه الحرية الفكرية ، وهذه الكتب ودور النشر ••• فضلا عما لها من طبيعة وما فيها من ناس ••• ولكن أديبا اسمه حسين مردان لا يهمه إلا شيء واحد ، وهو يعرف أسرار العمل الأدبي ، ويعرف لهذا العمل الادبي كيف يروع بذاته وليس بروايته العجائب والمبالغة في الرواية • والكاتب البارع يختار وحدة واحدة من عشرات الوحدات إذا أراد أن يكتب مقالة عن بيروت ، وعليه أن يختار ـ بقصد أو بغير قصد ـ الوحدة التي تنسكب فيها ذاته ويشع خلالها خياله • واذا كان هذا الكاتب حسين مردان كانت للمرأة حصة الأسد • انه يظل يبحث عنها في العدم فاذا هي في الوجود ، وانه يجتر الحرمان وإذا هو السيد المطاع • ولا يهم لديه ـ وهذا معروف منذ البداية ـ نوع المرأة ، بل انه غادر بغداد في أول سفرة له الى بيروت عام ١٩٥٨ ولم تكن في ذهنه بيروت مدينة أو ناسا أو جامعة أو متجرا أو دار نشر أو أدبا ••• أو أي شيء آخر غير المرأة التي ربما سمع عنها الكثير وقرأ الكثير ومنّى نفسه منها بالكثير ••• تعويضا عن هذا الجدب الذي يحتويه في بغداد ومفتاحا لهذا الخيال الذي يتشبث بأي منه لينطلق الى أضعاف ما يقتضيه ، وإلا فالتاريخ في بغداد ليس بأقل من التاريخ في بيروت ، وكذلك الجغرافية وكل شيء •

إنه باختصار لم ير في بيروت غير المرأة التي رسمها هو في ذهنه ، ولهذا فانه لم يطل المقدمات ، ولم تستوقفه الطائرة ولا الطريق ولا بغداد التي خلفها ، وباشر مقالته والطائرة تهبط ، « فهذه بيروت ••• دمية من عاج وطين ••• » • كانت تلك زيارته الاولى « لطبق العسل » و « لم يستطع رفع معطفها ••• ولم يعرف الدرب الموصل الى ساحة العطور بين نهديها • » ولا بأس ، فسيراها في المرة الثانية « مستلقية على حافة البحر » ولم يزد « فخلفها وفي دمائه حرقة » •

يشاء حسين مردان أن يكون صادقا مع توفر الفرصة للكذب ، فلو تحدث عن أشياء لم تكن له عن بيروت لما كذّبه السامعون لأن الذي يطلب مبذول ، فكيف وقد زارها مرتين وهو هو حسين مردان الذي ينسب لنفسه في بغداد من البطولات ما ينسب •

لقد صدق معتمدا على ما سيقوله فيما بعد ، لأنه سيعرف بيروت والطرق الى أسرارها ، وسيصير « مدمنا بها » و « عاشقا لكل فساتينها » ويستشهد لذلك بالمناسب من «الشواهد» : « ملاهي الزيتونة ومقاهي البرج وحانات الروشة ••• »

حدثنا عن بيروت ضمن هذا الإطار وهو خارجيا أكثر منه داخليا : « ولن أنسى أبدا ذلك الخط الليلي لمسيرتي الرائعة التي تمتد من شارع الحمراء الى مشارب العرق الابيض في عين المريسة ••• »

يسهر « حتى تصل الساعة الى الثانية بعد منتصف الليل ••• ففي مثل هذا الوقت يبرز قلب المدينة الدموي ويشعل الكبريت في الأصابع •• فأشعر بضرورة التفافي حول دمي ، للاستماع الى ضجة أضلاع الذئب في عزلته القاتلة مع الاشتهاء والجوع •• » •

ويقترب من الخاتمة : « وفي بيروت لا أحس بالوحشة •• » • والخاتمة واضحة ولكن التمهيد اليها غامض سرّب حقيقته في

صورة لا تمسك اليد بتلابيبها ... ليسمح لنفسه بتفسيرها على الوجه الذي يريده حتى لو لم يكن ذلك الوجه واقعا وأمكنك أن تقول إن حسين مردان لم ير بيروت في المرأة وإنما رأى المرأة في بيروت ، رأى بيروت ولم ير المرأة !! وما بيروت التي رسمها إلا صورة موسعة من بغداده . ويتغير موقفه باختلاف المدن ، وتفرض عليه الاقطار الشرقية حذرا في معاملة المرأة واحتراما خاصا يلتقي مع صدى في نفسه في التوق الى « المثال » أحيانا . ثم انه لا يتبذل ، ويشيع ارتياحا عن مجتمع يرى فيه درسا في التوجه السياسي....

ولا يهمنا ــ هنا ــ ما قاله حسين مردان فعلا أو ما فعل حسين مردان واقعا قدر ما تهمنا هذه القطعة من الفن ، بيروت هي التي استحالت مقالة ، ولكنها بيروت خاصة ، هي بيروت حسين مردان كما أراد أن يجعل منها مقالة مبدعة ... في وحدتها ولغتها وتسلسلها ... وفي صورها ضمن صورتها ، وفي لهجة المتحدث وتعبيراته عن الاشياء العامة بنمطه الخاص ، ولا يترفع ضمن نمطه الخاص عن كلمة «عامية» اذا كان فيها ما يزين الصورة ويزيد الانفعال : بوز الطيارة ، الزاغور ، أنسدح . وهو لا يجهل المفردات الفصيحة التي تقابلها معجميا ولا تعوض عنها «بلاغيا» . ولكنه يمضي في ذلك على مذهبه في اختيار الكلمة . والعامية لديه مفضلة على الفصيحة إن كانت أقوى أداءً وأدل على المطلوب ، على أنه لا يبالغ في ذلك ولا يلح ولا يكثر ، تاركا الامر لمقتضى الحال .

ويقول لك قارىء : هذا الذي عرضه حسين مردان عن بيروت معروف جدا حتى لمن لم يزر بيروت . وتقول له : صحيح ، مع فارقين ، الاول : ان حسين مردان عرض المعروف جدا خلال خصوصيته التي تنفذ خلالها . والثاني : انه عرضه في مقالة فنية ، والثاني من الاول مع زيادة المفهوم الصحيح للمقالة المبدعة في التعبيرات المردانية .

ونحن هنا ، لا يهمنا الذي قيل ، وإنما يهمنا كيف قيل الذي قيل . ولو لم يقصد الكاتب الى الفن لسرد الاحداث سردا ولفصل وأطال ، ولما اختصر ما اختصر وزاد ما زاد ولما حول التعبير اليومي الى الصورة . انه يعي ما يفعل ، ولكنه يخفي ـ كما هو اللازم ـ وعيه ويبدو طبيعيا لدرجة السذاجة .

لقد انتهت «المدن» وترك مكانها فراغا في منهج الكاتب فقد اعتاد معها سياقا خاصا وموضوعا جاهزا ، يفرض نفسه ويفرض شكله .

وتستغل الفراغ وتسأل عن لغة هذا الكاتب فيما لم يرد عنه حديث خاص . ولعلك لاحظت أنه في لغته ـ عموما ـ يميل الى السهولة واليسر والأمر طبيعي لمن لم يأخذ اللغة في مدرسة وإنما أخذها قراءة وفي كتب عصرية في الغالب . ومن كان كذلك ، ربما استعمل عامية لا يدري أنها فصيحة مثل « تتر » ، وفصيحة مغرقة في الفصاحة لا يدري كيف واتت مثل « شلو » ، فضلا عن العامية التي يختارها لقصد بلاغي حديث .

ويبقى ـ بعد ذلك ـ نهبا للغة السائدة في الصحافة والترجمة فيكرر « مِن قِبَل » و « وسوف لن » و « وهل سوف .. » ويجمع بين «بل» والواو ...

وقد يقع في خطأ نحوي أو صرفي وقد يرك تركيبه ... قد ..

أقول ذلك وأنا أعلم أن لغته في العموم سلسة تغطي شاعريته فيها على ما يمكن أن يراه اللغوي المتزمت عيبا . ولا تدرس لغة حسين مردان إلا في ظل الشاعرية وضمن ظروف تحصيله وانتصاره على المعوقات ، وفي سياق زمنه ... فاذا هي لغة عصرية شأن لغة الآخرين عندما تكون « تعليمية » حتى اذا استبدت به « الفردية » وامتزج لديه الشعر بالقصة بالمقالة ، وغام التعبير بموحيات الرمز ومتباعدات السريالية ، وتضارب ما يريد الكاتب قوله مع ما لا يريد محتفظا بوحدة الانفعال مخرجا هذا الانفعال مخرجا

موضوعيا .. كان إبداع ، واطمأن أسلوب هو أسلوب شاعر ــ كاتب بعينه اسمه حسين مردان .

وبعد

فقد كتب في الاسبوع الاخير من تموز مقالة (نحو هدف واحد) ، وفي الاسبوع الاول من آب قصيدة ثم حلّ فراغ طويل امتد ستة أسابيع . قلت ستة وهي أكثر لأنه شغل سابعها بقصيدة (أوراق ــ الرعب سيفقد حجمه) وبقي الثامن والتاسع يصفر كما صفرت الستة من قبل . لماذا ؟!

أهو ضيق بالمنهج ؟ بالاحتراف ؟ لقد مضى ذلك العهد فاعتاد الرجل ما لم يعتد واحترف ما لم يحترف ثم إنه في المرحلة التي اختلف بها كثيرا عن أيامه القديمة فكرا وسلوكا وشتان بين المتشرد البودليري والواقعي الذي يرى في الأدب رسالة الى الوطن والامة والانسانية كلها . ومهما تتعدد الاسباب يمكن أن يبقى سر آخر يجهله هو كما نجهله نحن . أهو المرض ؟ والمرض ــ لو كان ــ لا يكفي ، والكاتب مهما يكن مشغولا بالموت ، فهو مشغول به فكرة وليس عملية ثم إنه لا يراه على الابواب وما عمره بعمر موت إنه في حدود الخامسة والاربعين ، وليس هذا بعمر نهاية ، لم يبد عليه في حركاته وسكناته ما يشير الى خلل غير مألوف في جسمه ، ومرض غير مسبوق في مفاصله أو قلبه . أتراه يحاول أن يفي بموعد الأربعاء فيحول دون ذلك ما هو أقوى منه مما لا يعرفه ؟ ويحاول ، ويشرع ... في فكرة ضمن ما صار عزيزا عليه مما يريده لنفسه وأن تطمئن هذه النفس اليه ، ويريده لغيره وان يطمئن هذا «الغير» اليه : الفرد والمجتمع ، حسين مردان في مجتمعه : التحاما واعتزالا ..

تلك « مقالة لم تتم » لأنها تريد أن تولد في جو سديمي ، يموج بالمتناقضات من أطياف «وأشباح قديمة ينازعها طيف يؤرقه من أجل أن يكون

له بيت وزوجة وأطفال . وذلك صراع يودي بصاحبه قبل أن ينهي أياً من مشاريعه» .

وما حال صاحب الحال (حسين مردان) في هذا المضطرب ؟

لقد بدأ المقالة ، وكتب سطورا منها ... ودهمت قلبه الأزمة وهو في منصبه الجديد الذي لم يكن يوما يتصوره لنفسه أو يتصوره له رفاقه: « معاون المدير العام في المؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون للشؤون الثقافية » .

«في الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم ١٤-٩-٩٧٢ داهمت قلبه أزمة فنقل الى مدينة الطب، ... وبعد أسبوع تحسنت صحته كثيرا» وكان خلال ذلك بين نقيضين من التصميم : يرى قلبه مرة أقوى من أن يستسلم، كيف لا وهو قلب حسين مردان ، وإزاء حسين مردان عالم واسع وآمال لا تنتهي ألم يكن أمس ، وما زال ـ ذلك العبقري الجبار الدكتاتور ـ ؟! و « الأزهار تورق داخل الصاعقة » ؟ أما يراه ؟

ويراه مرة أخرى قد قارب النهاية وانها لآتية لا ريب فيها ، يستقبلها في هدوء ويحددها « في مطلع الشهر المقبل » ولا بأس فقد « أعطى كل ما لديه ، وأراح ضميره » هو يخاف الموت ، يخافه جدا وعلى مدى عمره ، ولكنه يخافه فكرة ولا يخافه عملية وربما مر بخاطره من موت العباقرة في حدود عمره ما يزيده قناعة وهدوءاً ـ وربما فخرا أو تعزية ـ . لقد مات أبو شبكة في الأربعة والاربعين وهو الآن قد تعدى الرابعة والاربعين دون شك . ومات بودلير في السادسة والاربعين وقد يكون عمره الآن في هذه السن ...

وهكذا تضارب رأيه في قلبه ... حتى إذا كانت الساعة الثالثة والربع تماما من فجر الاربعاء ٤-١٠-١٩٧٢ توقف القلب وقضي الأمر ولم يبق مجال لتصديق أو تكذيب . وعلى الاصدقاء الذين عرفوه عن كثب

أن يصدقوا عيونهم وآذانهم وينصرفوا الى طقوس الأموات ، وها هم يكفكفون الدمع فلا يكف وهم ينقلون الجثمان الى « اتحاد الأدباء » ويلتفون حوله : أهذا هو حسين مردان ؟! انه هو . انه جثمانه !

وإذا ساروا به الى القبر كانت « الازهار تورق داخل الصاعقة » تخرج من المطبعة ثم توالت التعازي وتوالى الرثاء .

والذي كتب عن حسين مردان في ذلك كثير . صدر عن الأطراف كلها، وكله صادق ، ودار أغلبه على الفراغ الذي تركه أبو علي في نفوسهم وفي مجالسهم وعلى موائدهم ، ذلك الرجل الطيب الصريح ، ذلك الطفل الكبير. أجل فهم ما زالوا ينظرون اليه كما عرفوه أول مرة وكأن لم يدخل مرحلة جديدة برهن على صدقه فيها وتغيره فكرا وسلوكا بسببها ، أتراهم لم يأخذوه مأخذ الجد بسبب من انطباعاتهم القديمة ، وبأطياف تعاود الرجل في حديثه وبنبرة ظلت حية في لهجته ؟

وربما تحدثوا عنه شاعرا ، وهذا قليل ، يمر عابرا ، والحال صحيحة فالرجل شاعر من طراز خاص ، وربما كان أقصى ما قيل إنه لم يكن شاعرا كبيرا ولكنه كان حافزا في الحركة ، مثيرا ، منبها .

ووعد آخرون بدراسة شعره ، وآخرون بجمع آثاره وطبعها ... وآخرون بحفظ مكتبته ـ ولم يحدث شيء من هذا ـ .

لا أشك في صدق المراثي وصدق الحب الذي يكنه الكتاب للراحل الحبيب ، وانهم كانوا يكتبون طواعية وشعورا بالواجب وتخفيفا عن هم.. وليس صحيحا أنهم وجدوا به مادة لمقالات يتقاضون عليها أجورا لأن كثيرا مما كتب لم يعرض في مجلات أو جرائد تمنح أجورا لكتابها ، زد على ما فيه من صدق اللهجة وعمق العلاقة وشدة الصدمة .

لقد طلب طالب الى الأدباء أن يرفعوا أيديهم عن حسين مردان محتجا بأن حسين مردان لم يكن المقصود وإنما المبلغ الحاصل بسبب الكتابة عنه،

وقد رأينا أن هذا غير صحيح ، وبأنكم أين كنتم عنه في حياته ؟ وهذا أيضا غير صحيح ، فلم يكن حسين مردان مضيّعا في حياته ولم يكن يوما بعيدا عن حب الآخرين وعواطفهم ٠

ولم تعدم « الأزهار تورق داخل الصاعقة » من يعلن خبر صدورها ، أو من يكتب عنها سطورا ذات دلالة على استيعابها ، ففيها ان « هذا الكتاب ليس كتاب مقالات تجمعت ليزيح الكاتب عنها الغبار ، بل هي موقف حسين مردان من العالم ، الكون والمجتمع ، الانسان ، العلاقات ، الحب ، المرأة والأدب والفن والسياسة ، انه إجمالا مخاض تجربة طويلة العمر وعميقة ، ومطالعات منوعة ، ورؤية إبداعية لمعنى المفردة وطاقتها الأدائية ٠ ففي الازهار تورق داخل الصاعقة نجد حسين مردان بعواطفه وصدقه ، كاتبا تقدميا ، تفاءل في الانسان في كل مكان ، فكان شاعرا داخل أقاليم المفردة النثرية والمقالة ٠٠٠ »

القول جيد ، سليم ، ولكنه على الغاية من الايجاز ، ويبقى المجال واسعا إزاء النقاد والدارسين ٠

ثم إن لحسين مردان مقالات أخرى جديرة بالجمع والنشر ولو جمعتها لجعلت عنوانها : « من يفرك الصدأ » ، وفي المجموع الجديد ما يعضد الذي في « الأزهار ٠٠٠ » وما يزيد عليه إبداعا ٠ أجل الابداع الفني للمقالة الأدبية هو همنا الاول هنا حتى لو استحالت شعرا ٠

ان للمقالة المردانية حظها العالي من الابداع ، وحظ صاحبها الذي يميزه في تأريخ المقالة العربية فضلا عن العراقية ، فضلا عما تلقي من أضواء على شعره ، فيستطيع الناقد أن يزيل بها منه طبقة أو طبقتين ، وعما تبث من أشعة في شخصه فاذا الجوهر غير العرض ، ووراء المرح الظاهر حزن دفين ، وعما تنير من مفهومه الصحيح لعملية الخلق الأدبي ٠٠٠ ومن هنا جدارتها بالبحث ، فلنبحث ٠٠٠

٢

مقالات

نقاط على ورق من حديد

كان المســاء ينشر ســترته الرصاصية أمام الشمس •• وكنت تعب القلب ، أتزلق على رصيف الشــارع كهدهد غريب • من هؤلاء ! وأحملق في بطون المخــازن وعلى أهدابي شجرة صفصاف وكأس •• وعلى الرغم من همي ! كنت ألوي عشقي للتطلع الى كل امرأة تمر بي ••

والتقيت براقصة يونانية أعرفها •• كانت ترتدي ثوبا ضيقا الى حد مخيف ، فكان جلدها يرتعش بطريقة تخرج النار من الزناد ! ونظرت إلي بعينين مصبوغتين ونظرت اليها أنا أيضا •• وشاهدت في أسفل ثغرها شبحي القديم • آه •• وأرسلت الى حنجرتي موجة من الدخــان • ومضيت في طريقي ثم بدأت أتحدث الى الذين يجلسون في رأسي •• كانت هناك الآنسة الصغيرة التي أحبها وأبي وأمي وعدد من أصدقائي وبعض القرباء •• كان الحــوار الخفي ينعكس على جبيني ! والمارة ينظرون نحو وجهي الناطق باستغراب •• ايه •• انهم لا يجيدون الكلام مع أعماقهم ! ومشــيت •• انها مهزلة •• وأنا ثور الطاحونة ! أعمل على تقديم العسل للــذباب ••! وعند سوق الشورجة وصل إلي صوت امرأة ، وتسمرت في مكــاني •• ليش •• ورأيت غلاما أسمر الوجنتين يقف أمام عجوز تلتف بعبــاءة من الصوف الاشقر وتفترش الارض أمام حانوت مغلق ، وأمام قدميها طاسة من الفافون •• ليش •• أنا على باب الله •• فرد الغلام وهو يتلعثم •• لــم أر الطاســة و•• العباس •• فردت المــرأة بحــزن •• ها •• روح يا ولدي • وانطلق الغلام نحو فتحة زقاق جانبي •• وبقيت وحدي أنظر الى الشــحاذة وأردد بشرود •• ومتى تفتح ! منذ سنين وأنا أقف هناك ! قفل لم يضع له أي مفتاح •• ولكنه فانوس يلوذ به كل مدقع ومهلوس* ••

وأمرت الذين أحمل بالخروج لأجتمع بعقلي فاستعرض معه هذه الحالة .. هذه المرأة هي أمي وهي أختي وهي أبي أيضا ! فنحن أبناء الفاقـة نعبر من الابرة بلا انقطاع ويضغط على ضلوعنا قماط واحد .. وسرت والعقب العارية تهمس فوق قلبي .. أنتم يا رواد الافلام المرعبة .. نعم اننا نقاط ولكن فوق ورق من حديد . وصمت ثم عـدت الى المرأة وتفرسـت في ملامحها الكئيبة وخيل إلي أني أرى وجهي .. ومرت سيارة أنيقة يتزحلق على زجاجها الندى . وفي بطنها سيدة تكاد تضيء من النظافة . انها لحقيقة مروعة ! انه .. واجتاحني غضب جبار وشعرت أني أتكسر من الداخل..

كل هذا حدث في يوم بارد من عـام ١٩٥٧ وكانت المرأة في نهـاية العقد السادس : ولكنها لم تمت ولقـد رأيتها قبل سـاعتين فقط .. ان الاصلاح لم يصل اليها بعد .. مع انها قد زغردت كثيرا لثورة تموز ..

ص ٥٤ ـ العدد ٢٢ السنة الاولى ، شباط ١٩٦٩

* مهلوس من العامية العراقية يفسرها ما قبلها ، استعملها قصدا .

قبضة الضوء.. والحزام

في السابعة قرأت عنترة •• وفي العاشرة نظمت أول بيت • وبدأت أمي تضايقني • لا بد من الانقطاع الى الأدب ! وهكذا تركت المدرسة •• ثم بدأ الخصام مع العائلة ! واضطررت الى هجر البيت • الى أين •• أنا لا أملك غير رأسي ! وانه لرأس • واني لقادر أن أشق الصخر باصبعي •

وحملت عصاي وجئت الى بغداد ، المدينة الغامضة المغلقة • وبعد يومين فقط دخل الفراغ الى جيبي • انها لمصيبة أن تواجه العالم كله بقلب لم يملأ بعد •• وذهبت مع السحر الى سوق (الفضل) لاصبح من عمال البناء • كنت أقول لنفسي وأنا أضع الطابوق على صدري ليكن ! سأضع رجلي فوق الجميع • وبعد أيام جلست مع الشاعر الرصافي وتحدثنا عن قضايا متعددة • كانت الهيبة ترتسم على حاجبيه • ولكني لم أشعر بالرهبة لاني كنت أنظر الى نفسي باعتزاز •

ثم التقيت بكامل الجادرجي وعرض عليّ العمل في جريدة الاهالي• وشعرت بالخطر • ان أسلوبي الأدبي يتعرض للضعف ! واتخذت موقفا صارما •• سأبقى أكتب على طريقتي الخاصة • وقد كان الجادرجي يفهم ما أريد فأوعز بافساح المجال لي • لقد انتهى عهد النوم في الشوارع وفي البساتين ولكن الجوع ظل برفقتي • سأصل • وسأنشر ظلي على السماء وعندئذ سينزل الذهب وسأقف أمام أمهر الخياطين ! وقذفت بروحي في أعماق الجحيم وصافحت مخالب الشيطان•ان الكتب وحدها لا تكفي•• الحياة •• الليل والخمر والغواني والحشيش •• الكشف ورؤية الجذور هو ما أهدف اليه •• لن أتوقف عن الغوص • وزارني الشاعر بحر العلوم

ليحدثني عن الجماهير والمجتمع •• آه •• التقارير وماذا تفعل وزارة الشؤون الاجتماعية •

كان بدر السياب يتصدر قافلة القاء الشعر على الرؤوس • وكان عبدالوهاب يدور مع عواطفه الصغيرة وبلند الحيدري يعمل على توسيع أفقه عن طريق النقاش • وأنا أركض فوق الليل وأذهب الى كل مكان تسكنه الاشباح ••

وفجأة رميت (بقصائد عارية) الى الشارع واهتز كل عمود في بغداد ومنع الديوان وقدمت الى المحاكم وهنا جاء الجواهري •• كنت أعرف ما يريد ••! يريد خليفة له • لا •• أنا شيء آخر • ولعل الجواهري لا يعرف الى الآن أنه وحده جادة تصل الى القمر • وأنا أروم الهبوط الى باطن الارض • الى المادة الملتهبة حيث الانصهار الكلي • وطبعت قصيدتي اللحن الاسود في كراس وصدر الامر بمصادرته وسوقي الى القضاء • وقفت فيه للمرة الثانية • أدركت موقفي مع السلطة • اذن سأطعن هذا النظام الذي يمنعني من التفجر ! في الصميم ! وقبل أن أشد الحزام أرسلت الى السجن •• وهناك التقيت بالشيوعيين لاول مرة •

كانت سنة طويلة قرأت فيها ما يقرب من مائة ألف صفحة من الفلسفة الماركسية وانتقلت الى الجانب الآخر من القضية • ومضيت أصنع البارود وأزرع عيدان الكبريت في الزيت • وأحول وجودي الى مشعل ينير الطريق أمام الكادحين • أما بالنسبة للحركة الادبية فقد بذلت كل ما باستطاعتي لجمع كافة الاقلام المبدعة والخيرة في حزمة واحدة لتقف في وجه النظام القائم حينذاك • وهكذا انبثقت الهيئة المؤسسة الاولى لاتحاد الأدباء العراقيين وقد عرفت السلطة ان وراء الصف الذي دفعنا به أمام عيونها أساتذة الفكر الذين يعملون على الاطاحة بهم ، ولذلك لم نحصل على الموافقة •

ثم جاءت ثورة تموز فشحنت روحي بكل مصل يشد من عزيمة الثوار وبنفس القوة وقفت ضـد التناقض فقرأت في اجتماع عام في مقر اتحـاد الادباء العراقيين قصيدتي (نبوءة عن الشـعر) .. وبعدها توجهت الى الرابية ووقفت أهتف للوئام وأوجه سـهامي الى كل من يعرقل مسـيرة الشعب .. وعدت الى الجوع والنوم على الارض . ولم تخرج النظافة من قلبي أبدا . وعندما جلست مع جان بول سارتر وناظم حكمت وبابلو نيرودا حول طاولة واحدة . خيل إلي اني قد وصلت الى الحافة !. حافة أرضي القاحلة . ولكن هيهات .. ان الناس في بلادي لا يستطيعون مشـاهدة القمم ! وبقيت أسير مع المظلومـين لازاحة الغيوم وفضلت البطالة لكـي احتفظ بحريتي واستقلالي وأخيرا ـ تورطت ـ وأنا الفهيم ! رأيت قبضة من الضوء فتفاءلت وعدت الى تناول الحزام ولكني ما زلت أحس بالتردد .

ص ١٤ ـ العدد ٣٠ سن١ ، ٢٢ كانون الثاني ١٩٦٩

محاولة لتفسير بيت من الشعر

يقول سقراط .. ان الشاعر قد لا يملك معنى محددا لما يقول ، وربما استطاع القارىء أن يجد في البيت الواحد أكثر من معنى .. وهناك من يزعم أن الشعر يعصى على التفسير ! وعلينا أن نستجيب ونطرب له قبل أن نبحث عما يحمل من معنى ..

ولكن هذا لا يعني ابطال التفكير أو ايقاف عملية الكشف من خلاله أو فيه ، للوصول الى شيء يحقق المشاركة الفعلية بين القارىء والشاعر . وأرى انه من الافضل فهم العمل الفني لتعميق شعور اللذة به . فاللوحة الفنية قد تعطي ما نريد من متعة قبل الدخول فيها . ولن تتسع هذه المتعة الا عن طريق محاولة الذهن ضبط ا‌رتباطة الاساسية التي يقوم أو ينهض عليها البناء .. فنحن عندما نعجب بهذه (العمارة) لا نستطيع أن نعمق هذا الاعجاب ونرتفع به الى نوع من السرور الفني دون الاستعانة بمعرفة التركيب الهندسي التي قامت عليه ..

فالتفكيك شيء لا بد منه لرؤية الاجزاء والمواد المتفرقة والطريقة التي تم بها الالتحام ، لتقييم ووضع درجة النجاح .

قد تكون هذه المهمة الصعبة من واجب الناقد فقط . ولكن هل سيبقى القارىء في وضع الاستغماء هذا .! ان للقارىء علاقة مباشرة بكل عمل فني وعليه وحده تقع مسؤولية التقدير ، وهذه المسؤولية هي التي تفرض عليه عدم الاكتفاء بهزة الفرح الاولى ، والتغلغل الى ما وراء الكلمات للفوز بمشاهدة الحقيقة .

فلو أخذنا هذا البيت الشعري :

وتلفتت عيني فمذ خفيت		عني الطلول تلفت القلب

لرأينا ان نظرة قصيرة تكفي لاستيعابه كليا على الرغم من عمق المعنى الذي فيه • فالموقف يكاد أن يكون عاما ، ولعل معظمنا قد ساهم برسم مثل ذلك فان اطالة التحديق قد ترفع الستار عن جو آخر !•

ـ وتلفتت عيني ـ انها عين واحدة هي التي تقوم أو قامت بالتلفت ، وقطعا ان العين الأخرى لم تهمل من قبل الشاعر لضرورة ما •• ولكنه الحذر الطبيعي الذي يلازم العاشق خشية الافتضاح • ولان الالتفات أثناء السير لا يسمح للعين الثانية بالتطلع نحو المكان المقصود • ولا شك ان فوتوغرافية هذه الصورة لم تمر على خيال الشاعر على الاطلاق • وأنا شخصيا لم أصل الى مقابلة كل هذا قبل هذه اللحظة بالذات •• ولو اني أحفظ هذا البيت منذ عشرين سنة !

فسقراط اذن لم يقصد القارىء العادي بل القارىء الحصيف الذي يمتهن التفكير •• فليس من السهل استنباط ما هو خفي ••

فهذا التلفت المتعب لكل دماء في العنق ، يجسم لنا المسافة فالطلول لا توجد في المدن ولو وجدت لما طال تلفت العين • فالحادث قد جرى في الارض الفضاء •

وكان باستطاعة الشاعر نقل الطلول الى الداخل والتخلص من العذاب دفعة واحدة •

وهنا أي في بقاء الطلول وعدم نقلها تتجلى عظمة البيت •

ـ وتلفت القلب ـ انها لصورة مدهشة للتأكيد على استمرارية الشوق • ولقد جاء الشاعر بالقلب للتدليل على الوفاء ولان القلب هو مقر الحب • وهي أشياء ثانوية من ناحية فنية المعنى • وان السحر •• كل السحر يكمن في تلفت القلب الذي لا يلتفت !•

وفي هذا الانتقال الى الاعماق الذي يمثل ديمومة الحب كعاطفة وكقيمة

انسانية . فالحنين الاصيل الى الحبيب مستقر داخل المحب وان ارتبـاط العين بالطلول هـو ارتباط مؤقت .

وباختفاء الطلول يبدأ التعقد العاطفي والذي هو الذروة في هذا البيت.

ص ٤٩ ـ العدد ٣٢ ـ السنة الاولى ، ٥ شباط ١٩٦٩

قوله : « من قبل » متابعة للغة الترجمـة . وسيتكرر . وجمع بين الاستفهام والاستقبال متابعـة للغـة الشائعة ، وسـيتكرر هذا لديه . واستعصى خير من تعصى .

الاستعمار وأكياس الفحم العنبرلي

كان الحديث عن الاستعمار ، عن مختلف أشكاله وصوره • ان دماء جنكيزخان تنتقل من مكـان الى آخر • وعلى الرغـم من جميع الثورات التحريرية ، فان قط ادغار الن بو ما زال يملك روحين على الاقل •!

وشاء أحدهم أن ينقلنا الى الداخل ، الى وضعنا هنا • وطرح موضوع الجبهة وضرورة التقاء كافة القوى الوطنية ، وقبل أن يرتفع الحماس الى العيون حول النقاش الى الحب • وتكومت فوق الكؤوس كمية طريفة من القصص والمغامرات الغرامية • قال موظف كبير في طريقه الى التقاعـد •• هل تذكرون أكياس الفحم !! لكم كنا نعبد الريـح ! في تلك الايام •• والريح أجمل ما تكون لانها •• تبدي خفـايا الكشح والامكان • ورد آخر يا لذاك العهد • لقد كان طموحي كله يتركز في أمنية واحدة ! هـو أن أصبح ـ فراشا ـ في مدرسة للبنات •• وضحكنا •• وطلبت نصف ماعون من بيض الغنم ، انني في الحقيقة لا أحب هذا البيض ولكنه سهل الهضم •• لقد صرح عالم امريكي بأن الاكثار من تناول الشحوم يؤدي الى ازالة الشحوم •• يا لها من نظرية ! ولكنه امريكي •• ولو كان روسيا لعكفت على أكل الشـحم منذ الآن ! انه الفضاء •• اللعنة على الفضـاء فلولا هذا السباق للوصول الى القمـر لتوصل الطب الى اطالـة أعمارنا القصيرة •• ان اللعنة يجب أن توجه الى الطبيعة •• تصور ان السـلحفاة هذا الكائن التافه تستطيع العيش لمدة ألف سنة ! وهنا صاح مهنـدس في الثامنة والخمسين من عمره •• هذا صحيح •• نعم •• لقد رأيت واحدة في حديقة الحيوان في القاهرة قيل لي انها موجودة قبل مجيء نابليون الى

مصـر .. فقلت ولعلك تمنيت في تلك اللحظـة لو انقلبت الى ــ رگه ــ فقال والعبرة في صدره لقد كنت مع امرأة .. ووصل أحدنا الى درجـة التجلي فانطلق يتحدث عن السفر وعن ذكرياته في جاكارتا ، فانخرطنا معه بلا استثناء في عرض أشواقنا الدفينة لمشاهدة هذا الجانب من العـالم .. ورأيت بعين الخيـال الكوخ الذي كان يسكن فيه الرسام گوگان في جزر هـايتي والحدائق السـحرية الباردة في مدينة لاسا والطيور الملـونة في غـابات افريقيا .. آه .. ان المال هو عربة الزمان ! وان طاقية الاخفـاء لم تعد تصنع من جلود الضفادع الصغيرة بل من ورق البنكنوت .. المال أولا ثم البنون .. ان ذكاء نبينا العظيـم ليخترق العصور .. وعليه .. فليذهب كل شيء الى الجحيم فغدا سأذهب الى بيروت .. وهتفنا بصـوت واحد .. تحياتنا الى البحر والى باب ادريس والروشة ... وفجأة هبط العبوس على وجوهنا . فنتر صاحب السبعين سنة ! ان شهر حزيران يركض نحونا ولسوف نلتقي في مقهى زنبق في استنبول .. وعاد الابتسـام الى ثغـورنا ــ أويت افنـدم ــ ما أحلى شيشة اللبن في زنبـق .. وكذلك ــ البرنج ــ المطبوخ على ماء الباجه في زحل .. وطلبنا ثلاثـة صحون من الحمص المسلوق . فعلق الموظف الذي في طريقه الى التقاعـد ان هذا « اللبلبي » يذكرني بطفولتي .. ترى لماذا اختفت تلك الاكلات الجميلة.. كفشة العبد والعنبرلي والديك المملوء بماء السكر . وقال المهنـدس وهو يتنهد لقد كانت الدنيا بلا همـوم واني والله لأحن الى رائحة الناملیت .. وانسجمنا مع الماضي فقال الرجل الثالث وحتى الحب كان له طعمه الخاص . لقد كنا نسكر بالابتسامة من وراء النقاب . فقلت بلهجة قاطعة : أنا ضدكم. لقد كانت حياة مملة وبائسة . واني لاستغرب هذا الشوق السـخيف الى

دخـان الطرفة ومصائد المطـاط التي كنا نقتل بها العصافير و•• وعـاد الحـديث الى السياسـة ••

ص ـ ٥٠ ـ العدد ٣٧ ، ١٩ آذار ١٩٦٩

رگه من العامية العراقية ، مع علمه بكلمة سـلحفاة .

وحدي في القفص

فتحت الباب واقتربت من شجرة التفاح ، لقد طلع الورد الابيض ! وتلفت حولي . الى متى سيستمر هـذا الانفراد .. ورفعت وجهي الى الاعلى . الى الله .. ان هذا الصباح لا يختلف عن الصباح الذي مضى! القطار وخط الحديد ، والاليـاف تتراكم في مجرى الـدم فتبرز تجعيدة أخرى .. باطل وقبض الريـح .. لقد فهم سـليمان الحكيـم المحتوى التافـه لقضيتنا ..!!

وحط زرزور على السياج ولم يستقر فقد كان خائفا ولو عـرف أي ـ علائي ـ أنا لوضع منقاره على راحتي .. ولا تقلق حمائم وادعات . إن الوحـدة تسحن عقلي . فلم لا أرجـع الى المدينـة ! وماذا هناك ..؟ فلان وفلانة وحمولة بعير من الكلمات .. خداع .. ليست القضية بهـذا المقدار من الوضوح . فالوجه الذي يرسمه بيكاسو لا يمت الى الموديـل بصلـة ..

وأدرت المفتاح .. طقطق .. خمسمائة بندقية ضد فدائي واحـد ! ولكنه ابن عنق .. وانفتح الباب وفي المدخل كان المشجب يحمل عصـاي البلغارية ورباط عنق ايطالي .. ورأيت شبحي يتمخطر في ساحات روما .. قال صديقي الرحال قف لنشرب فهذه حنفية العبقرية .. وعلى اليمين جلس غليوني القديم الى جانب ابريق فارسي لماء الزهر وظبية من خشب أسـود جئت بها من سلانيك .. أحبك أيتها الظبية .. أحبك حبا لو تحبيني* مثله. .. ودلفت الى المطبخ .. الزواج .. لقد أهملت هـذه الكلمة الحلوة !

وها هي تقفز فوق الصحون وتقف متحدية على حافة المغسلة وتغمز للـرز الذي لم يغسل بعد •• هل كتب علي؟ أنا المملوء بالعناد أن أسـلم قيادي لذات المعاضد ! ان قلبي ليروح ويجيء فوق مستحد صلب •• لقطع القلم الملون فقد منحت حياتي كلها للورق •• ولكن ألا يحق لي أن ألعب قليلا مع الفرح ! وماذا ستخسر الدنيا لو اعتكفت على تقبيل ذلك المعصم !•

وخرجت الى البهو الصغير وخلعت سترتي ورميت بها على الحائط •• وحدقت باتجاه النسر الروسي •• هي تشبهني •• لانها تجيد الضحك على الرغم من حزنها الكامن ! شـبـاك مسدل الستائر • وأنا أغار عليها من الهواء ومن كل عابر سبيل ، فكيف بي اذا رأيت أحـدهم يقطع كفها •• انهـم ينظرون اليك كتحفة جميلة تستدر اللعاب !• أما عندي ، فأنت سـماوات من المـسرح الصبيـاني وصومعة تصوف !•

ومضيت الى المكتبة وتناولت مذكرات ونستون شرشل وقرأت عـدة فصول •• ودق جرس الباب •• فتركت الالمان يخططون لغزو الجـزيرة البريطانية • الثالثة بعد الظهر ! هل تحدث المعجزة فتأتي لزيارتي •• مـاذا تريد ؟ ان الكرة فوق سطح البيت •• تقصد بيتي ! ولكن كيف ؟ عليك أن تجـد طريقةللصعود •• يا للخيبة • لو كانت الطارقة لركعت عند أصابع قدميها •• هل سأبقى أرسـم على الرمـال •! وفتحت الراديو وأشـعلت سيكارة • وصحت بصوت مرتفع •• أرجو المعذرة ، فلن تصل اليك رائحة الجرود •• ودخل من النافذة صوت بكاء حزين •• فناديت جارتي •• انهم البنات يا أبا علي •• يندبون جوني •• ومن يكون جوني هذا ؟ هو كلبنا ألا تعرفه !• وشهقت •• آه لقد كان صديقي وتألمت •• كم أنا مشتاق الى كوب من الشاي •! وانطرحت ظلال العصر على الشارع الترابي •• خطوة

جديدة نحو المـوت . هل نهش الـدود شفة مارلين مونرو !! ان جهنـم لتغص الآن بالحسان !.

وأدرت المفتاح .. طاق .. خمسمائة بندقية ضد فدائي واحد ..

---

* لو تحبيني الصواب لو تحبينني

ص - ١٦ - العدد ٤٢ ، ٢٣ نيسـان ١٩٦٩

اختار « تسحن » لقوتها العامية . صحيح «ايطالي» : ايطاليا .

● قال لي صديقي بلند الحيدري أن أدونيس يرغب بالتعرف اليك ●● واجتمعنا في مكتب جريدة لسان الحـال وتحدثنا عن الشـعر والأدب ●● وفي المساء جلسنا في مقهى أنيق في الروشة ●● ولم أره بعد ذلك الى أن شاهدته في آشـور بانيبال ● جاء ليسـلم على صـديق لي ولم يعرفني ، وعندما قال له صاحبي انني فـلان صاح وهل تنسى النـار على العلم ●● وتصافحنا ● ثم استأذن على أن يعود ولكنه لم يعد فشطبت عليه !وعندما جاءني في اليـوم الثاني لم أهتم به ●●

● أمام قاعة المؤتمر وكنت واقفا لتناول القهوة أقبل نحوي رجل قصير مستدير الخدين واقتحم وجهي بقوله لقد سمعت أنك تأتي الى بيروت كثيرا ومع ذلك فلم أتشرف برؤياك ● أنا الدكتور سـهيل ادريس ودهشت ●● فالتواضع مع الابداع شيء مثير ●● وأبديت أسفي وقلت : لقد خطـر لي انك مشغول ● فرد وهو يتوثب حيوية لو جئت لتركنا كل أعمالنا من أجلك وهكذا استطاع سـهيل الرجل الذي لم أحبه يومـا أن يدخل الى قلبي ويبقى فيه ●

● كانت في ذهني قطعة قماش ملطخة بعدة ألوان لنزار قبـاني وعن طريق الصـدفة جلس بجانبي وعندما نطق أحدهم باسمي التفت نحـوي بلطف مما قلته في ديوانك قصائد عارية ●● ثم قضينا عدة سـاعات معا ● وأدركت أني قد ظلمت الرجل في الماضي ● كانت نظراتنا عن الشعر الحديث تلتقي عند نقطة واحدة ●● ان نزار لين القلب أكثر مما ينبغي ولعل هـذا هو السر الذي يجذب اليه النساء ● فهو رقيق كالماء والمرأة تعبد الرقة في كل شيء حتى في الرجال ●

● خبرت أن الشاعر محمود حسن اسماعيل يعتب عليّ لأننا لم تقطع معظم شوارع بغداد مسيرا على الاقدام كما كنا نفعل دائما . وقد حزنت لذلك وقلت له اني على استعداد لنقوم بمسيرة كبرى ولكننا لم نتفق على يوم أو موعد . وربما عاد الى القاهرة وفي قلبه ما فيه مني . أرجو المعذرة يا أبا أحمد ..

● في جلسة خاصة قال لي الشاعر السوري سليمان العيسى لقد غسلت قصيدتك مع أغنيات سلافة كل ما تراكم فوق صدورنا من كهارب العثمانيين ! وكنت أنظر الى هذا الاهاب الرقيق وكيف استطاع أن يقذف بكل ذلك الشواظ .. ووصل عقرب الساعة الى الثالثة بعد منتصف الليل دون أن نشعر بالملل . وفي لحظة الوداع قلت له انك لست بداية شاعر بل أنت منارة عالية في شعرنا الثوري ..

● احدى فوائد مؤتمر الادباء الكلمة الرائعة التي كتبتها سلوى عن نزار قباني . فقد كشفت عن موهبة مدهشة . وكان نزار يهيل الثناء على أسلوبها الأدبي عندما قاطعته لاقول لها مداعبا .. لم أكن أعرف أنك قد تطورت فوصلت الى هذا المستوى . فقالت ضاحكة ولكني لن أكتب عنك أبدا . وتذكرت المثل الذي يقول ــ ان المقامر الذي يربح دائما يفشل مع النساء .. تحية للدكتورة سلوى ..

● كنت أتحدث مع الشاعر اللبناني فؤاد الخشن عن استنبول فسألني أحمد عبدالمعطي حجازي : وهل تحب الغناء التركي يا أبا علي ؟. وذهبنا الى بيتي وكان برفقتنا الناقد أحمد أبو سعد ومحمد صالح بحر العلوم. واستمعنا الى زكي هوزان وبهية اوكسان ومظفر اكن . فعلق حجازي : لست أدري لم لا أقيم معك الى الأبد ! واتفقنا على اللقاء في استنبول في حزيران القادم ..

● كنت أنظر الى مكان ما وأنصت الى حديث الشاعر خليل حاوي

فهمس وهو يمسك كتفي ان ثوب هـذه المرأة في غاية الطول اذا ما قيس بالفساتين التي تلبسها اللبنانية • فقلت أعرف ذلك وقد وصلتنا حكاية نادرة عن هذا الموضوع ورويتها له فقفز من الضحك • وقال سنواصل الحديث عن بيروت • ودخلنا القاعة ••

في السطر الثالث من الفقرة الثالثة خلل لنقص في الكلام .

ص ـ ١٦ ـ العدد ٤٥ ، ١٤ـايار ١٩٦٩

لنحطم بيضة العنقاء

ان حروب التحرير لا تقرر بمعركة واحدة أو بعـدة معارك •• ولو عدنا الى أوراق الماضي منـذ تكون المجتمعات وبداية الصـراع من أجل الارض لرأينا جيوشا في منتهى القوة تصـاب بالانكسار وتكـرع شراب الهزيمة ، وهناك قادة حرب عظام تعرضوا للفرار في سوح الصدام •

فان مجرد اهمال نقطة قد تكون في غايـة الصغر تؤدي أحيـانا الى الخسران •• وتاريخ الشعوب مفعم بمثل هذه الشواهد •• والعار الحقيقي يجيء من التخلي نهائيا عن العودة الى الكفاح والمجالدة •• وفي رأيي ان التوقف لأخذ النفس يجب أن يصحبه التحضير ومراجعة الاخطاء التي أدت الى الهرب ، مع محاسبة كل يد تقاعست عن المساهمة الايجابية لتحقيـق النصـر •• أما بالنسبة لحالتنا الحاضرة فان الحساب وحده لا يكفي •• وكذلك المراجعة •• لاننا نهدف الى تحطيم بيضـة العنقاء ••! وعليه فان كافة حيل السندباد غير مجدية ••• فاذا لم نزود أنفسنا بكل جبروت الجن وانزال الرعد فوق العدو فسوف يبقى الـرخ يحملنا واحدا بعد الآخـر ليقـذف بنا في أرض الخراب ••

ان الخامس من حزيران لم يكن نكبة أو نكسة ! وانما هو « قضية كانت مطروحة حتى قبل سنة ١٩٤٨ ولكن طولها المخيف الذي يمتـد من الخليـج ومشارف حضرموت الى سواحل الاطلسي قد شل كل عمل ارادي لرفعها الى مستوى النظر الثوري على الرغـم من مطالبة الشعب العربي بذلك •• والقضية لا تتعلق بالقنبلة وبقية أدوات القتال فحسب بـل هي تلتصق بشدة بهذا النزاع النظري حول الشعارات المرفوعة من قبل الاحزاب والكتل السياسية داخل الوطن العربي ••

لقد صدرت الاشارة وها هي سـفن الخطر تقترب من مطلع الشمس فعلى كل صف يؤمن بالنضال من أجل ترابنا العزيز أن يرص عظامه ويعانق الصفوف الاخرى لتنهض قلعة الصمود أمام وجه الحوت الذي أخذ يثـير الموج في كل بحر يحيط بالدول العربية •• وما دام التيار القومي الذي يلف العرب ينبثق من ينبوع حلو ويسير بطريقة مستقيمة فان المجرى سيتوسـع ليفسح المجال لمياه كل نبع •• أجل ان هناك تناقضات جذرية لم تزل قائمة بين معظم النظم والحركات الوطنية •• وهناك أيضا من يرغب ويعمل على تعميق الاختلافات لنصاب بالهزال ثم يسهل افتراسنا دفعة واحدة ••

ان صوت الناقوس يرن فوق أفقنا المشـرق يهيب بالمناضلين للتحـرك والخروج لمواجهة ناب الصهيونية وكسره •• فان الاستمرار بالنقاش واطالة الحـوار قد يدفعنا الى السقوط تحت حوافر الخيول البربرية ••! وعندئذ سوف لن تنقذنا النظـريات والجمود على عتبة هذه العقيدة أو تلك ••

ان الشعب العربي اليوم يشق الدرب نحو سماوات جديدة فهو بحاجة الى كل سن والى كل كتف مشـدود العروق •• فعلى الذين يقفون الآن فوق الرابية الهبوط الى المعترك لجمع المواد للبناء والتفتيش عـن الثعابين السامة التي تندس بين جماهيرنا والقضاء على حشائش التردد التي لم تزل تنمو في نفوس البعض •• ان القصائد والمقالات لا تثلم الحديد ! والطريقة المثلى للتخلص من أمراضنا العتيقة وعلى رأسها داء التفرقة الوبيل •• هي في التلاحم الاصيل غير المشروط لكي تستطيع أصابعنا من لوي أسـياخ الفـولاذ التي توشك أن تخترق قلـوبنا •• والا فان حصان هولاكـو المصفح سيأخذنا على حين غرة ونصبح قشة في عصافة •• علينا أن ندرك أن الكلام غير المشبع بأنفاس الشعب سيظل بلا معنى ••

نحن الآن داخل ليلة القدر وقد فتحت كافة أبواب السماء فيجب أن نرمي بالشب في كل فنجان يحتوي على ماء عكر •• فالابتهـال وحده لن

ينفعنا اذا لم يرافق صفاء النية .. ان السلاء الواحدة قد تدمي ! ولكنها تقصم بسهولة وقد يقتل السبع من قبل النيص ..

ص ـ ١٦ ـ العدد ٤٨ ـ السنة الثانية ٤ حزيران ١٩٦٩

ص ١٦ ـ العدد ٤٨ ـ السنة الثانية ٤ حزيران ١٩٦٩

استخدم « من قبل » تأثرا بالترجمة ، وستتكرر . سوف لن : لن . كتف مشدود : مشدودة . لوي : لي . عصافة : لعله يريد عصفه وعاصفته . استخدم في المقالة الاسطورة بنجاح .

الثورة نوع من الجمال

قالوا .. انه يكتب كثيرا عن الجمال .. ونحن في عهد انتقال ثوري.. فما هي الثورة ! قطاع من الشعب يحمل مقصا من الذهب لقطع الاغصان اليابسة والعفنة في شجرة المجتمع ـ عملية لازالة القبح ـ ومنذ خمسة آلاف سنة والناس في كل مكان تعمل من أجل تغطية آثار الحروق والتشويهات في وجه الحضارة .. فالمريض انسان غير طبيعي ومختل التوازن ومر وعلى الطبيب أن يعيد الحلاوة الى فمه لينسجم مع ابتسامات الآخرين.. وأنا شاعر مهمته رفع الانقاض ورش برادة الفولاذ والخمر فوق مواد الاسس الجديدة .. لقد وضعت القوانين لحماية الجمال .. جمال المبادىء والطابوق والنظام الجمهوري .. والتكرار هو آفة الابداع .. وأنا لا أنكر جمال السياسة والاناشيد الوطنية ..

ولكني مسؤول أيضا عن الالتفات ومداعبة ألوان الجمال الاخرى .. جمال المرأة وجمال الصداقة وجمال الاطفال .. والذي يعاشر حياة البحر ولا يصف غير الاسماك الصالحة للاكل لم ير البحر أبدا ... فالشر عصابة لم نزل نجهل مقرها السري ومراقبة أفرادها ضرورة بوليسية .. وبتفتيش الحانات المشبوهة والشوارع الخلفية والغرف المعروضة للايجار تتوصل الى بعض أعشاش عناصر الفساد .. والفساد لا يحارب بالعقوبات فقط وانما بالفضيلة أيضا والتي هي شكل أمامي للجمال .. ثم أين هو جمال الحرية رفيقة الثورة اذا كنا نرسل المراكب والمسجلات والالسن الطويلة خلف الكاتب بل ونستثير الاجهزة الادارية لجر قلمه عن هذا الدرب الجميل أو ذاك ... لقد حاول ستالين أن يفعل ذلك فضرب خافق الادب السوفياتي

وجرحه .. ومع ذلك لم يستطع منع كتابة « ذوبان الجليد » .. ان الجمال حركة منتجة وليست مقيدة أو فارغة . وقد تتجه نحو رؤوس طرق متعددة وفي وقت واحد . وان تعيين شرطي مرور ينظم تموجاتها المسرفة في اللطف يعرضها للاصابة برد الفعل .

اننا يجب أن نزرع الاسنة والالغام في طريق الطيور التي اعتادت على التطواف حول الجثث المتفسخة .. فان العقعق سيبقى نظيفا على الرغم من ثرثرته .. وان الاديب أو الشاعر الذي يتحدث عن الضرام والزيت لا يحصل على حصانة الضمير اذا لم يكن صادقا الى حد الاستشهاد .. فالاسراف في الحديث عن الثورية والادب الثوري لمجرد الاثارة أو التظاهر قد يضر الثورة بالذات .. فقد أعرب لينين عن اعجابه وتأييده للشاعر مايكوفسكي لانه انتقد في احدى قصائده كثرة الاجتماعات والقاء الخطب .. فالثورة لها عدة نوافذ وأبواب والتغني باستمرار تحت نافذة واحدة أو باب واحد وبطريقة رتيبة قد يزعج حتى المعجبين بها ... فلو قلنا لفتاة ما انك في منتهى العفة لتمايلت من الطرب .. ولكن لو مضينا نعيد لها قول هذه الصفة كل يوم لاصبحت تشك في عفتها وفي قيمة العفاف كذلك .. ان المشعوذين ومرتزقة الحرف هم وحدهم الذين يفصلون بين الثورة والجمال .. فالثورة المدعمة بنظرية لها واقعها التاريخي لا تخدع بقوارير العسل المكدسة على الورق ، لان لها من تجاربها ما يجعلها داخل قلعة من النفاق والتزلف .. وان باستطاعة عيونها التي تعودت على رؤية المادة الفسفورية في ذيل اليراعة في الليالي المقمرة أن تكتشف الابر المغروسة في قطعة اللحم .

نعم ان الثورة بحاجة الى الاقلام الموجهة . الاقلام التي يمسك بها

السائرون الى القتال فعلا وليس القلم الذي يمسك به ضارب الطبل .. اننا لسنا بحاجة الى مثيري الحماس لان الحماس معنا في كل لحظة ..

ص ١٦ – العدد ٥٧ ، السنة الثانية ، ١٣ آب ١٩٦٩

جمع بين حرفي عطف «بل» و«الواو» متابعة للغة الجرائد . وستتكرر

قصــة قصيرة

الرجل الذي كان يحب الريف

هو لن يحتمل كل هذا .. أضوية النيون والسيارات والناس الذين يسيرون متكتلين على الارصفــة الضيقة . لا . ان هذا الضجيج يشــق رأسه ! ويخنق أحلامه .. وقرر السيد عبدالرزاق أن يكتب عريضة أخرى يطلب فيها نقلــه الى مكان آخــر .. الى أي مكان ، في الشــمال أو في الجنوب .. ــ اني أضيق بحياة المــدن وخاصة هذه المدينة التي تســمن باستمرار .. أنا بحاجة الى رؤية النجوم وغناء الطيور ولون الغروب فوق قمم الاشــجار . لا . لا بد أن أنقــذ نفســي من هذا الجحيم ! وســأفعل المستحيل ..

وتمر الاعوام ويظل ينقش العرائض الطويلة دون جدوى حتى استسلم في النهاية بعد أن مات كل ما في خياله من أمل .. ثم جاءت تلك الفكــرة الخضراء .. فكرة العمل على جلب الريف اليه ! وكان يحتفظ بمقدار كبير من المال . لانه كان يعيش بلا هواية عصرية . فهو لا يميل الى الســينما ولا يحتسي الخمر وليس له غير عدد ضئيل من الاصدقاء .. راح يبحث عن قطعة من الارض تصلح لمشروعه الكبير وأصبح يقضي معظم ســاعات العصر في حوانيت الدلالين وأصحاب الاراضي حتى ظفر بها أخيرا ...

رقعة مربعة تقع في الجانب الغربي من بغداد وكانت عرصة فاستأجرها لمدة ثلاثين سنة .وعندما اعترضت زوجته لان الارض غير مسجلة بالطابو.. قال لها وهو يبتسم : ان أبي لم يترك لي شيئا وكذلك جدي فلم تريدين مني أن أشذ عن القاعدة !.. يجب أن أعمل لنفسي ذلك . أما أولادنــا

فعليهم أن يعملوا لا نفسهم ثم من يدري ماذا سيحدث غدا فالمستقبل أحلى من الحاضر . وان مديرية الاوقاف لن تعمر الى الابد .. كانت زوجته تعرف الغرض من شراء الارض فلم تدخل معه في نزاع طويل . وفي خلال شهر واحد نهض بيت صغير يحتوي على ثلاث غرف يمتد أمامهن ليوان مستطيل يعلوه سقف من الصفيح صبغ باللون الازرق وصار السيد عبدالرزاق لا يكاد يخرج من الدائرة حتى يهرول مسرعا الى داره .

وبعد أن يتناول طعامه ويرتدي دشداشته الفضفاضة ينكب على أرضه الخصبة يفتت الاحجار ويحفر السواقي ويرفس الاماكن الصلبة . وعند مجيء الربيع كانت أشجار الصفصاف والليمون قد ارتفعت فوق مستوى السياج وأقبلت العصافير تلعب وتبني أعشاشها في المناطق الكثيفة. وكانت الاقفاص المصنوعة من سعف النخيل قد امتلأت بمختلف أنواع الطيور الاليفة .. لقد بدأ السيد عبدالرزاق يبتسم بل ويضحك أحيانا . ولكن الشيء الوحيد الذي كان يضايقه هو أنه لا يستطيع أن يشاهد طيوره العزيزة محلقة في الجو ..! فمن أجل هذا المنظر الساحر كان يطالب بنقله الى الريف . لقد كان والده أيضا من محبي الطيور وهو ما زال يذكر أن أباه كان يعشق بصورة خاصة ـ النوع الرمادي ـ لشهرتها بالطيران الطويل وتغلغلها في أعماق الفضاء حتى لتكاد أن تمسح بمناقيرها قطرات المطر في داخل السحب ..

ولكن زوجته كانت دائما تمنعه من الصعود الى سطح البيت ليمارس عادته القديمة فكان يؤلمه أن يرى حواصل طيوره تتهدل يوما بعد آخر ويزداد وزنها حتى أصبحت أجنحتها المعطلة تجد صعوبة كبيرة في الطيران.. وأصبح يشعر أن هذه الطيور الجميلة ستتحول بمرور الايام الى نوع جديد من الدجاج .. وقد دفعه ذلك الى أن يقسم برأس ابنه البكر أن يسمح لفراخها بمزاولة التحليق مهما كانت النتائج . وهكذا راح يراقب نموها حتى

جاء اليوم الذي بدأت فيه الطيور الصغيرة تحرك أجنحتها وترفرف بها وهي واقفة على الارض . وكان يحس بقلبه وبكل ما في جوفه من أمعاء تقفز من مواضعها عندما يشاهدها تشب بخفة وتهبط فوق سياج الحديقة الحجري .. مما جعله يسرع بوضع خطته وقد اختار لتنفيذها يوم الجمعة.

وقبل أن يرسل الفجر أشعته . وكان ذلك في شهر أيلول ، الوقت الذي يطيب فيه النوم في صحن الدار ، نهض من فراشه وبعد أن تطلع نحو السماء فتح باب القفص الكبير فانطلقت الطيور الشابة فزعة وحطت على حافة السطح . كانت عيونها المستديرة القلقة فرحة الى أقصى حد . فدبت نشوة النصر في دمه . فتناول منديله وارتقى الدرج بهدوء وحذر ثم قذف بالمنديل وهو يخرج من بلعومه صوتا خاصا ما كادت تسمعه الطيور حتى صفقت بأجنحتها وارتفعت في الجو . وقد هالها الفراغ الواسع الذي تراه لاول مرة فاضطربت فبعد أن اندفعت بطريقة مستقيمة الى الاعلى توجهت مسرعة نحو الغرب ثم استدارت الى جهة الشرق واختفت عن الانظار .. ولكن السيد عبدالرزاق كان على يقين تام من عودتها . لذلك ظل واقفا يتطلع الى الافق ويمد بعنقه نحو الجهة التي توارت فيها طيوره الناشئة . وطال انتظاره وبزغ قرص الشمس الاحمر من وراء الغيوم البيضاء . فتلفت حواليه . وفجأة استقرت نظراته على ... كان هناك ساق رجل بجانب امرأة .. وحملت اليه الريح صوت آهة ناعمة فأسدل أجفانه واتجه الى الدرج .. وفي صباح اليوم الثاني شاهد الموظفون السيد عبدالرزاق يكتب عريضة جديدة ..

ص ١٦ ــ العدد ٥٨ ، ٢٠ آب ١٩٦٩

ليوان من العامية العراقية لا مفر من استعماله . كان ساق : كانت

حسين مردان يكتب من استنبول

طاحونة الشرق

عند نهاية الدرج الاول سمعتها تبكي •• امرأة فرنسية فارقت بستان الشباب منذ عهد طويل •• قالت اني هنا منذ ثمانية وعشرين سنة! وحيدة الشفاه •• وتناولت الكأس بأصابع مرتعشة لتعب جرعة كبيرة من الكونياك التركي •• لا أصدقاء لي ! لقد هجرني •• ولن استطيع العودة الى باريس، لكم أشتهي رؤية البيت الذي ولدت فيه ! ايه باريس •• وعادت الى البكاء • ومضيت ارتقي الدرج الثاني بتثاقل فقد كانت بغداد كلها في أحشائي • ان روعة السفر والاكتشاف لن توقف جريان نهر الحنين الى الوطن • لقد تحولت الاصوات الاليفة التي أسمعها مساء كل يوم من راديو بغداد الى جبال مغناطيسية تجلب اليها دمي وتشد مهجتي الى طاحونة شوق حزين•• ذلك الشوق الغريب الذي يولد وينمو في ظل الفراق •• آه ليأتي* كل الهواء الحار الذي يملأ العراق الآن ويدخل في صدري !! فمنذ وصولي الى استنبول وأنا لا أنقطع عن زيارة القنصلية العراقية ، فان مجرد ملامسة الصحف ومشاهدة أسماء الاصدقاء يسبغ على خيالي الاطمئنان ولقد كدت أبكي من الفرح لصدور قانون تقاعد العمال لانني أؤمن بضرورة اتحاد الناس وأرى أن من الحكمة للسلطة أن تعمل على الاقتراب من محبة وخدمة الطبقة العاملة • فان اليد التي تلوي الحديد وتعانق توهج الافران لترش الليونة في طرق الحياة ، يجب أن لا تذبل بسبب الاهمال أو النسيان •

فالعامل هو القوة المقدسة التي تمنح المجتمع البشري ديمومة التطور لتحقيق حلم الانسانية عن المدينة الفاضلة •• فالى أصدقاء العمال تحية حب

مخلص .. والى المزيد من الكفاح الثوري العنيد من أجل بناء قصر الاشتراكية ورفع راية النصر لكل الكادحين ..

● في شارع الاستقلال وعند واجهة حانوت لبيع معاطف « الشاموا » وقفت أتخيل الالوان المعروضة ومدى انسجامها مع وجه المرأة التي أحملها دائما في رأسي .. وفجأة رأيته واقفا في الداخل ، وتصافحنا وكان كل منا يبتسم للآخر بطريقة خاصة . وتحدثنا عن العراق وعن مجلة ألف باء . ثم أخبرني أنه في طريقه الى صوفيا . فقلت انها حديقة اوربا وسوف يجد في شوارعها نوعا من الهدوء لا يوجد مثله في أي مكان آخر . فرد وهو يضحك بلطف .. هل لانها دولة اشتراكية ! وأدركت ما يرمي اليه..فأجبت انك تعرف رشدي جيدا فهو شاعر ومخدر أيضا بالاضافة الى حبه الشديد لي .. وأنا لم أقل ذلك بالضبط .. على الرغم من اختلافاتنا . ولكن صاحبنا يحب الدعابة كما انه يجيد الدفاع عن المغدورين . وهنا ضحكنا سوية وانتهى لقائي مع أبي محمد ..

● لقد أصبحت لا أحسد القنصل العراقي المقيم في استنبول لان معظم المسافرين العراقيين لم يصلوا بعد الى مستوى السواح الحقيقيين فهم مثل الاطفال يريدون كل شيء وفي اليوم الاول من وصولهم .. ولذلك يتعرض عدد منهم لمشاكل غريبة ومضحكة في نفس الوقت . وأذكر أن صحفيا عراقيا قد أكل قطعة صغيرة من الجبن الدانماركي بمبلغ ثلاثة دنانير لمجرد أن هذه القطعة قد حملت اليه فوق ماعون من مواعين كازينو «جمهوريت» .

● يشعر الفرد التركي بالحزن العميق تجاه القضية الفلسطينية ويتمنى أكثرهم التطوع للقتال ضد سرطان الصهيونية . وقد قال لي شيخ في الثمانين من العمر سبق له ان حارب الانكليز عندما كان في العراق أثناء الحرب العالمية الاولى .. ان اسرائيل هي الوجه الكبير للاستعمار في الشرق العربي

وهو وجـه مكشوف فاذا أراد العرب أن يتخلصوا من هـذه القسمات الشريرة والمصابة بالبرص أن يعمـدوا الى معرفة الوجـوه الخفية الاخرى للاستعمار والقضاء عليها . وعند ذاك يسهل الامر بالنسبة لمسـح الوجود الصهيوني من الارض العربيـة .

استنبول في ٢١ آب

ص ـ ١٦ ـ العدد ٦١ ، ١٠ أيلول ١٩٦٩ .
سـوية : معا .

* ليأتي : الصواب ليأت .

بعيدا عن اللعب مع الدمى

عندما قلت في مقالي السابق اني سأتوجه نحو ساحة الحرب .. أي الى درب لا يؤدي الى أي مخـدع أو معبد .. كنت أهدف الى المـروق من سـحر الخرافات العاطفية وتقبيل اللحم الحي لحياة الشعب .. لان هذا الدوران الغبي حول خصلة شعر كستنائي أو ثغر ملموم بطريقة اصطناعية سوف يستنزف كثافة الوعي في ارهاصات رخيصة بالنسبة للظـرف الثوري الذي يمر به الأدب العربي الحديث . وأنا لا أريد أن أضع العصـا بين أكتاف الادباء للسير في هذا الطريق الجاف والخالي من كل ظل .. لانني ما زلت أؤمن بحرية الاتجاه .. فالكاتب أو الشاعر الذي لم يبلغ الدرجة الاخيرة في سلم التكامل لا يستطيع رؤية الاتسـاع الموجود في الآفـاق القريبة من القمم .. وأرى ان الطريقة الوحيدة للفرار من خيـال التوقف أو الاكتفاء بتجربة واحدة أو عدة تجارب . فالخطر الذي يمنعنا من الفوز بالحرية يكمن في قصـورنا عن القفز عن حلاوة الاخيلـة التي نجدها في الحب . وان تفضيل البقاء عند أقدام المتع الحسية هو الذي يشـل قدرتنا على التجاوز ... وعلى الاديب المعاصر أن يحمل قلبه ويغادر المكان الذي تبدأ فيه التجربة بالهبوط . لان الضوء سيخفت تدريجيا ثم يحل الانطفاء التام .. ولعل التعلق بالمغامرة هو الذي ينقذنا من الجمود ويمـد عالمنـا الداخلي بحيوية متجددة .. وأعني بالمغامرة هنا الانطلاق قبل السقوط في بركة العواطف .. فالاستمرار في التقدم يخلق للفنان رؤى جـديدة تزيد في رصيده النفسي وتبعده عن الاجترار وعن الاستهلاك بسرعة .. وأنا لا أنكر أن هناك حواجز ونتوءات صعبة تعترض مسيرتنا هذه نحو الحقيقـة الاصيلة لوجود الانسان . ولذلك فضلت الاختيار الذاتي فأنا شخصيا كنت

ـ والى أمـد قريب ـ أرفض التحرك أو هجـر الآثار الحلوة لتجـاربي الخاصة • ولم أزل حتى هذه اللحظة أقوم بالالتفات نحو العطـر المتخلف هنا وهناك •• فليس من السهل انتزاع السكين من الجرح وبأيدينا نحن !• ولكن المقارنة وحدها هي التي تهبنا القوة وتساعدنا على النفاذ من خـلال حائط المبكى للجمال •• المقارنة بين الاخلاص لطفل بائس وفقير لا يجـد القوت وبين التلذذ بتفسير الغنج في كلمات امرأة جميلة نحبها !• ان الاول يستدر دموعي ويزجني في حومة النضال من أجل السعادة لكل البؤساء في العـالم •• والمنظـر الثاني ينيم جسمي فوق تيـار من المشاعر الهزيلـة وشتان ما بين التحفز والتهافت ••

فكان لا بد لي من الميل نهائيا الى الجانب الذي يشد ارادتي كانسان للعمل في سبيل الخير العام •• فعلى كل من ينوي الدخول في هذا المعراج أن يقوم بتصفية جذرية وحادة لكافة الرواسب الروحية والفكرية المشبوهة والمثالية التي تنام في اللاوعي • وعليه كذلك أن يعصر نفسه دائما لتفريـغ الاسفنج في الذهن من كحول المطالعات المتنوعة وأهواء القلب المعسـولة فالافكار الشريرة أو الضعيفة تستعمل خفـة اللص وقدميه للتسـرب الى عقولنا • خاصة وان معظم رجـال الادب عندنا يجهلون أصول السـباحة وراء التعبير أو الرمز الفلسفي ويعجـزون عن الغوص الى القـاع الخفية لمفكري عصـرنا •• وقد يهتز من الدهشة أكثرهم ذكاءً اذا ما قلت له ان الماركسية والوجودية والسريالية تلتقي مع بعضها من حيث الهـدف لمعالجة الشوائب التي تصد الناس عن فهم الحياة والحرية •• أما الحب فهو المرض الجميل الذي لا نطلب الشفاء منه •• وهو العلة في هذا الجرب الذي نراه في أكثر نتاجنا الادبي ••• حيث لم تزل المرأة تمثل في أدبنا دور الجاريـة أو الربة القديمة • في الوقت الذي جردها الفكر الاوربي من هاتين الصفتـين لتبدو في وضعها الطبيعي •• وتبعا لذلك سحبت الاقنعة السرية السبعة عن

وجه الغرام فلم يعد يشغل العمر ويأخذ كل هذا الاستغراق الذي نعرفه في مجتمعاتنا .. فالحب هناك قد يولد ويموت خلال ساعة واحدة .. أما عندنا فهو لا يذبل الا في حالات نادرة .. لاننا لا نبني علاقاتنا مع المرأة كرفيقة حرة وانما نحن نلوذ بها هربا من التوحد . ولذا نمقتها عندما تأبى أن تكون ملجأ للسأم .. ولقد ثبت لي أن المرأة تأتي بالضجيج دائما الى عزلتي .! وبما انني على يقين لا يتزحزح بأن الوحدة للشاعر هي المصفاة الذهبية للابداع . لهذا اخترت فراقها وانحزت عن طواعية مطلقة الى حملة المشعل لارفع من قدرتي على الخلق وتكريس كل القوى التي في حوزتي لخدمة المضطهدين في كل مكان ..

ص ١٦ ـ العدد ٦٥ ، ٨ تشرين الاول ١٩٦٩ .

الموت والفعل الخارق

لقـد رأيت ودخلت بل ومارست الكثير من المهازل • ولكني لـم أر مهزلة أكثر سخفا وأشد إيلاما من مهزلـة انتظار الانسان للموت •• هذا الانتظار الممض الذي يختصـر من قبل بعض الرجال بصورة فذة عن طريق البطولـة ••

فالبطولة هي التي ترفع هذا الطوق الثقيل بواسطة الاعمال المجيدة •• ولو انها كثيرا ما تؤدي الى تقليص أو محو هذا الانتظار فجأة • ولكـن الخسارة لا تساوي أبدا ذلك الشعور العظيم المرافق لروحنا أثناء القيـام بعمل كبير ••• وعقارب الساعة تعدو والنهار يختفي ليأتي الليل ثم يمضي•• وانها لخطوات طويلة وسريعة نحو ظلمة اللحد •! ونحن الأمناء على الجمود سنظل نستقبل الشفق دون أن نفكر بالانتفاض ••! لقد تحول جيفارا الى أسطورة ورمز مقدس للقتال لأنه لم يقنع أو يكتفي بفعل بارز واحـد •• ولانه أدرك بثاقب فكره المضاء الى أقصى حد أن مركز الدائرة نفسه الذي وضعته الثورة فيه الثورة الكوبية سـوف لن يحميه من التعرض للالتقـاء بالثلج كثائر محترف • فالحركة التي تقتصر على النشاط الاعتيادي ــ وحتى المفيد منه ــ لن تفلق البذرة أي لا تساعد على حدوث الطفرة التي تشـق وجه الارض وتفتح الدرب أمام الزهـرة الجديدة •• وأنا أعرف جيدا أن الخوف من الفشل • الخوف بكل معانيه وبكل نتائجه هو الذي ينيم ارادتنا على طلب الحرية كشرط أول لقص اللجام والاندفاع الى قهر القمـم •• فاذا لم يكن الانسـان حرا فانه يصعب عليه معرفة الأزقـة المتشابكة التي تأخذه الى صناديق الطاقة المقفلة في داخله • والتي لن يستطيع بدونها تحقيق أي عمل مثير •• فالشجاعة التي نحتاجها في مثل هذه المواقف لا تكتسب

من الخارج وإنما هي تنبع من عمق الاعماق فينا • من حريتنا •• من أجل هذا ذهب الشاعر الانكليزي بايرون ليدافع عن حرية الشعب اليوناني ، وهكذا اختزل مستقبله الذي كان يشمئز منه بالاتجاه الى الموت كبطل •• وعندما اكتشف الكاتب الامريكي همنغواي أنه لم يعد يصلح لصداقة الخارق قتل نفسه ليقتل الموت فيه وليثبت استهانته بالترقب والانتظار •• مع ان همنغواي هو من القلائل الذين لا توجه اليهم تهمة الركون الى لذة الهدوء • فقد حارب الى جانب الشعب الاسباني ضد الطغيان وصور بقلمه ما يوازي الافعال التي تقلب الموازين •

لقد فسر الخليفة عمر بن الخطاب كل هذا بقوله : « أحبكم الينا قبل أن نراكم أحسنكم سيرة • فاذا تكلمتم فأبينكم منطقا • فاذا اختبرناكم فأحسنكم فعلا •• » ولم ينس عمر ما للجرأة من دور مهم في كشف الحق ـ والذي هو الهدف الأسمى ـ لكل عمل أو فعل باهر فابتسم بسعادة حقيقية عندما رد عليه أحدهم « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيف » •• وأرى أن كل انسان سليم يملك الاستعداد الفطري للنهوض بجلائل الاعمال اذا ما وجد أو أوجد هو الفرصة لذلك •• فالمناضلة اليوغسلافية المسلمة (سيدا كفارا) كانت في الثانية عشرة من عمرها عندما استفز أعماقها منظر الجنود الالمان وهم يهدمون بالقنابل اليدوية مئذنة مسجد قديم ، فانطلقت كالزوبعة من جبل الى جبل ومن مدينة الى أخرى تحمل في سراويلها الاسلحة وتعطي التوجيهات لجيش المقاومة وتخدم في سرية الدبابات ثم المدرعات وأخيرا ترفض البقاء في المستشفى وهي مصابة بجروح خطيرة لتلتحق برفاقها الى ميادين الكفاح •• في الوقت الذي نرى المتنبيء يظل طيلة حياته يتمنى القيام بعمل يهز الدنيا فلم يستطع • لأن المتنبيء كان يحلم بمثل هذا العمل ولا يسعى اليه ، فعلى الرغم من نفسه الكبيرة كان يخشى عاقبة الإخفاق •! لما يريد تحقيقه من قيادة وضرب رقاب

الملوك ، حتى قتل على يد جربوع .. فالمهمة وحدها اذن لا تكفي اذا لم تدعم بايمان مطلق كالايمان الذي كانت تحمله جان دارك وغيرها من الابطال الشهداء .

ومن خلال كل هذا ، أعود فأنظر الى جسمي الملقى أمامي فأشعر بالتقزز والنفور . فمتى تتحرك لوالب الماكنة الباردة في أعماقي .! متى أخرج من هذا الطين الذي يكفن وجهي . متى أمد بقامتي عبر العالم كله فأقدم لشعبي وللانسانية مثل تلك الخدمات التي قدمها جيفارا وسيدا وبايرون .. متى .!

ص ١٨ ـ العدد ٦٦ ، السنة الثانية ١٥ تشرين الاول ١٩٦٩ .
جمع بين «بل» و«الواو» ، و « سوف ولن » . المضاء : المضي . واستخدم «والتي» استخدام جريدة .

جسدي الذي يتحول الى دموع

● لقد فكرت بالذهاب الى أحد المشاريع الشعبية والمساهمة مع الآخرين في البناء ، إلا اني لم أفعل خشية أن يقال إنه تطوع لغرض الشهرة والمباهاة • وعندما حاولت التمرد على مثل هذه الافكار شعرت بالعجز فعرفت أني لم أزل أسيرا بيد التردد فبكيت ••

● لو كنت أعلم أني سألتقي بمثل هذا الموقف لما جئت لمشاهدة هذا الفلم !! وكان صديقي (وهو مناضل قديم) ينظر الى الستارة الصفراء بعينين جامدتين ويكاد ينفطر من الأسى • يا لها من خسة !•• هل رأيتهم ؟ كانت الطلقة الاخيرة كأنها موجهة الى قلبي أنا •• ولم أجب ، فقد كنت أحس بانفصالي عن هذا العالم ، هل تصل قوة النضال الى مثل هذا •• رجل واحد يقلق كل هذه الوسائد التي ينام عليها قادة الامبريالية العتاة •• ولكن هل نظرت الى قدميه وهو يقطع الغابات مع رفاقه ؟ لقد كان يلبس ما يشبه الصندل وقد كانت سيوره مقطوعة وممزقة وفوق أصابعه وساقيه يتجمد الوحل والتراب •

دكتور وأديب ووزير سابق وذو زوجة وطفلين ، وفوق ذلك كان في الخامسة والثلاثين !•

● قالت أمي إنها لا تستطيع العيش بدون تلفزيون ــ وكان قد سرق منها قبل عدة أشهر ــ ورفعت الى شفتي ابتسامة متفائلة وأنا أقول لها بثقة : لا تحزني يا محبوبتي العزيزة فأسشتري لك واحدا في أقرب فرصة! وفي الليل جلست مع قلمي كما هي عادتي دائما فوجدت أن كل ما معي من مال لا يكفي لتحقيق هذا الطلب •• فارتديت ملابسي وذهبت الى أحد النوادي •• لا بد من المغامرة ! وعندما أخذت مكاني حول المنضدة مرت

بخيالي كل كلمة في قصة ـ المقامر ـ لدستوفسكي • وجازفت • وكانت النتيجة غير حسنة : فقد كنت متوتر الاعصاب • ومع الفجـر أوصلني أحد الاصدقاء الى البيت • فاستلقيت على الارض وأطلقت العنان لدموعي •

● وفي المساء ذهبت الى دار خالي فاستقبلتني معركة حزينة وطريفة •

كانت الأم تصرخ بانفعال •• ولماذا يمنع الكعب العالي ؟ وتكشف الموضوع كله • فابنة خالي لم تزل طالبة في الثانوية فليس من حقها أن تصبح امرأة •• ومن يدري لعلها استغلت هذه الحجة للحصول على حذاء جديد •• ونسيت قصة التلفزيون ـ مؤقتا ـ وضحكت فصاحت الفتاة •• وتضحك !

لست أدري كيف أصبحت شاعرا • واصطحبتها الى السـوق وعندما رأيت فرحتها أمام المخزن ترقرقت الدموع في عيني ••

● دعه أيها المغفل فلو شاهده صاحبنا لبكى ولكني بحاجـة الى علبة سكائر • ثم إني أبغي مساعدته فهو طفل وأظنه في السادسة من عمـره !• وهنا تكمن المصيبة فهو يحب الاطفال الى حد الجنون و•• واقترب البـائع الصغير ورأيته •• كانت الساعة الثامنة والنصف ولم يزل يطوف في المقاهي•• ونزت الدموع • فقال أحدهم ولكنه يكافح يا أبا علي ! فقلت فعلا •• غير أن عيوني لا تفهـم ذلك •

● وفكرت بزيارتها •• صـديقة قديمة أقرب إليَّ من أمي وأبي وهي تفهمني أكثر من نفسي وتعتقد أنها مسؤولة عن كـل همومي ومشاكلي •• ورفعت رأسها الأنيق وضحكت •• آه •• هذا أنت •• وجلست كتلميـذ مطيع •• اي • ولم أخرج من صمتي •• فتمتمت وأناملها تجمـع الاوراق التي أمامها •• مـاذا •• هل هناك ما يحزنك ؟ هـل وقعت في الحب من جديد ! فصحت بغضب • ليذهب الحب الى الجحيم • إنما •• وسكت •• ايه أخشى أنك تفكر بالسفر ! لا •• اني أفكر بكثرة الدموع •! انك لن

تتغير أبدا .. أعرف أني طفل كبير السن أليس كذلك ! كلا إنك مفكر من طراز جيد ولكنك طيب القلب الى حد مؤلم .. فقد جئت اليك لنقوم بجولة في شوارع بغداد .. ماذا .؟ هذه هي الوسيلة الوحيدة لتشتيت الهموم.. لو طرت لما خرجت معك فأنا مشغولة هل تفهم .. وكانت تعرف أني سأبكي في مثل هذه الحالة . فأرسلت الى عيني ابتسامة صغيرة وخرجنا معا ..

ص ١٨ ، العدد ٦٧ ، السنة الثانية ٢٢ تشرين أول ١٩٦٩ .
الرجل سهل الدمع ، كثير الاعتراف بالبكاء ، رقة وطفولة ، ينظر ال
ذلك لدى دراسته .

الرجوع الى الشرفة العالية

قال لي أحد الأدباء الالمان ـ إن الشعب العراقي يملك ثورية ذات ميزة خاصة ـ ولقد دهش العالم كله من الاستقبال الشعبي العظيم لثورة ١٤ تموز •

ولكن الغريب ان الفرد العراقي لم يزل باردا وسلبيا من حيث المبادرة الذاتية والتحفز الشخصي للمساهمة في التنظيم والبناء •• فالنخوة قد تدفعه أحيانا للمشاركة في الاعمال الجماعية الا أنه يبدو في منتهى التقاعس والجمود بالنسبة للأفعال الصغيرة التي تعبر عن خصال الانسان المتحفز •• فنحن مثلا ، نهتم الى حد الهوس بحدائق بيوتنا الخاصة ونهمل كل مايحيط بالسياج لمجرد شعورنا ان تلك الاشياء من الارض هي ملك للدولة •• وعلى الدولة أن تهتم بها وحدها • ومثل هذا الشعور البدائي هو الذي جعل عاصمتنا تقع خارج الأطار الذي يضم المدن النظيفة •• ولعل المثل نفسه ينطبق على أصحاب المخازن والحوانيت فاذا عمد بعضهم ـ لغرض الاغراء فقط ـ الى الاعتناء بمحله من الداخل فهو يتناسى وببلادة المظهر الخارجي لحانوته أو مخزنه •• ولم يخطر على بال واحد من هؤلاء أن يقوم بزرع شجرة واحدة أمام دكانه ، مع علمه أنه ليس هناك ما يمنعه من ذلك ••

ان الحكومات الاوربية لم تفرض أية ضريبة لوضع صناديق الزهور على نوافذ البيوت • ولكن الذوق والحس الجمالي عند المرأة الاوربية المتطورة هو الذي يحول كل شباك مقفر الى حديقة معلقة •• واني لمتأكد جدا لو شاهد سكان هذا الشارع أو ذاك أحد الدور وقد تدلت أغصان الورد على نوافذه لنهض الجميع الى مجاراته وتقليده ! لاننا لم نزل ننصاع لوساوس الغيرة والتبجح • ولكن الكسل القديم •• الكسل الحريمي لم

يفارق المرأة العراقية من هذه الناحية . في الوقت الذي تراها سباقة الى نقل الموديلات الجديدة وسياقة السيارات وحفظ أسماء كافة ممثلي السينما في العالم .. والخوف كل الخوف أن تظل النساء العراقيات أسيرات هذا الولع بالخارج .. أي باهتمام الناس ، كل الناس بهن !

لا شك ان الوعي الثوري أو السياسي كعاطفة وطنية مجردة لن يصل بنا الى ما نطمح اليه من رقي وسعادة .. فاذا كان العراقي كفرد يقفز كالأسد لكل عمل نضالي ـ وهو ما أشار اليه الكاتب الالماني ـ نجده يغط فوق وسادة الخمول بل ويمتنع بعناد وصلابة عن الاستجابة لتجميل حياته وحياة الآخرين ! فهو مجتهد ومشرع بارع في علم السياسة وجاهل الى أقصى حدود الجهل بالنسبة لخلق الفرح لنفسه وللناس ..

ان الشعور بالمسؤولية الوطنية عند الفرد يجب أن يلتحم بنوع من التمرين على التقيد بالانضباط ، فيما يخص المصلحة العامة ، ـ كما يحدث الآن في مشروع الدوّاية ـ ولكننا نلاحظ من الجهة الثانية أن أكثر طلاب الوظائف عندنا ينظرون الى الوظيفة كضرع يدر المال فحسب .. ولذلك فهم في حالة استعداد جنوني لتقبل أية وظيفة حتى لو كانت بعيدة كل البعد عن اختصاصهم المدرسي أو مؤهلاتهم ! فخدمة الشعب التي تبرز بوضوح ونكران ذات في الكفاح السياسي تكاد تتلاشى أثناء الوظيفة ! فالموظف الذي يجد غضاضة في خدمة المراجعين من وراء المكتب ، هو نفسه الذي يقتحم الرصاص في المظاهرات من أجلهم .! فما هو مصدر هذا التناقض العجيب !؟ هنا نرجع الى الطبيعة الفردية للانسان العراقي .

ففي الشارع يفقد ذاته تماما فيبلغ أعلى أشكال التشابك مع الآخرين. ولكنه سرعان ما يعود الى انعزاليته سواء في البيت أو المحلة أو الوظيفة . وأنا على يقين أن هذه العودة ليست قائمة أو مبنية على تصميم إرادي مسبق . ولكنها وليدة ترسبات كثيرة ومتنوعة ، وعلى رأسها جميعا

الإحساس الخفي بعدم الجدوى .. الذي هو نتيجة تراكمات طويلة خلقت من قبل الحكومات السابقة التي لم تحترم الشعب أبدا .. فأصبحنا نهيم بالتمرد على كل قانون . فسائق السيارة الذي يخرق أنظمة المرور يشعر بلذة النصر حتى ولو أدّى مثل هذا الموقف الى عرقلة النظام .. فالنظام لم يزل عند الفرد العراقي يمثل ـ ضغط ـ السلطة لا غير !

ولعل كلمة النظام هي الكلمة الوحيدة التي لم نستطع فهمها كما ينبغي من الناحية الادارية .. ولا بأس من الاستعانة برجل من المانية الغربية ـ في هذا المجال ـ فعندما خسرت المانية الحرب اختل التوازن عند الناس فأصبحوا على باصات النقل كما هو الحال عندنا اليوم ! فأطلق أحد الجباة كلمته المشهورة « لقد خسرنا الحرب . ولكن يجب أن لا نخسر النظام » .

ونحن لا تعوزنا الكفاءة ولا المقدرة للسير نحو قمة الهرم فقد كنا هناك سابقا . وعلينا أن نرجع الى شرفتنا العالية ..

ص ١٨ ـ العدد ٦٨ ، ٢٩ تشرين الاول ١٩٦٩ .

الانعزالية : العزلة . الكفاءة : الكفاية واستعماله شائع .

حتى في النوم

في غرفة لم أعد أذكر معالمها .. ومن شـباك مدور كفوهة المسدس كنت أتطلع نحو شجرة بعيدة ، كأنها تقف على حافة الأفق . ودخل صديقي عبدالخالق . أبيض العينين يضع على رأسه بقية طربوش قديم .. نظر إلي ثم خرج .. يبدو انه في غاية الحزن . وتبعته .. ورأيت نفسي في مدخل شبه معتـم . وتقدمت من زر الجرس ولكني لم أضغط عليه .. هنـاك صوت امرأة .. امرأة تتحدث من داخل زر الكهرباء ! ويرد عليها رجل من الخارج .. ربما كان في نفس المكان الذي أقف أنا فيه ، ووقفت أنصت بدهشة .. الحوار في منتهى الرقة .

يا ذات القلب الباسل .. تقول لقد استشهد .. وانطلقت آهة سوداء . لقـد كان يحب الناس . انه ابني الذي مات .. القضيـة أقرب الينا من أطفالنا ، أليس كذلك ..

ـ وانتهى الكلام .. وشعرت بحركة خافتة . من أين جئت ؟ فرد الكهل الذي كان يجلس فوق صندوق قديم وعلى صدره بطانية بيضاء وكأنه قـد خرج من عالم ممطر .. ومن أنت أيها الخفاش المريض ! لقد أزعجت صمتي الخاص .. وهنا تذكرت عبدالخالق .. لقد لمحت وجهه في غرفة جانبية .. لقد سقط شعره وها هو بلا ملابس يـدور بين أكوام من الكتـب وعلب الكارتون الفارغة . فابتسمت له فتراجع وهو يرتجف من الخوف ...

وذهبت الى مكان ما .. وعدت لابحث عن صديقي من جـديد .. ووقفت أمام باب من الحـديد . كنت أحمل خرطوما من المطاط الاخضـر ورحت أرش الرصيف المقابل . ومرت عربة محملة بأقفاص من سعف النخيل

ويقودها غلام يرتدي بدلة مشجرة .. يا له من عمل سخيف ! غسل الا طهر بالماء .. لتأتي معي فأنا في طريقي الى الجبهة ..

وعدت الى الباب .. ووجدت امرأة تبكي بحرقة .. انه بيتك ويجب أن نقوم باصلاحه .. ثم هو يعذبني وعليك أن تؤدبه .. فتلفت بهدوء .. لقد كان يقف على العتبة .. ايه .. انه عبدالخالق ! ولكنه لم يعرفني .. وظل يردد وهو مطرق الرأس . لا .. أنا لا أستطيع أن أعمل شيئا من أجلك لاني ميت .. وضحكت بخفوت مصطنع .. ونظرت الى المرأة .. كانت حزينة الى حد مفجع .. ولملمت ثوبها الممزق وذهبت .. ولاح كتفها كدرقة من فضة . وارتج قلبي من الالم .. واتجهت الى الدهليز .. لقد مات إذن .. واصطدمت بوجهي فراشة كبيرة .. أنا خائف .. يا عبدالخالق .. وجاء الصـدى .. ما .. ها وتراجعت !

وفجأة اختفى الدهليز .. وشاهدت سلما من الخشب وركضت نحوه ولكنه كان يقفز مبتعدا ويقهقه .. أنا سلم المشنقة .. المشنقة للصهيونية ..

وأقبلت من الجدار خمسة وجوه مقنعة .. كان الصمت مبتلا بالرعب .. ها أنت أيها العربي . لقد أتيت لقتلنا .. ولكنكم قتلى فعلا ..

ص ١٨ ــ العدد ٧٢ ، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٩ .

انه بيتك : لعلها انه ابنك . لاح كتفها : لاحت وهو يتابع العامية في تذكير كتف . المقالة تأخذ من القصة ومن الشعر والسريالية .

المدارس الفنية

ـ الكلاسيكية

قبل أن ننظر الى المنضدة يجب أن نتخيل أن هناك سلسلة من العمليات الطويلة قد سبقت وجود هذا الشكل المتكامل ٠ وليس باستطاعتنا أن نعرف بالضبط التواريخ المتفرعة لحياة هذه المنضدة ٠٠ فالبذرة قد زرعت في مكان ما ٠ ثم أصبحت شجرة وقطعت من قبل شخص مجهول ٠ ونقلت الى المصنع لتحول الى ألواح صالحة للعمل ٠

وهكذا تبدأ كل مدرسة أو مذهب فني ٠٠ والمدرسة الكلاسيكية أكثرها سعة وأطولها عمرا وتأثيرا ٠ ومع ان ميلادها يؤرخ عادة بمطلع القرن الثامن عشر غير أن جذورها تمتد الى أبعد من ذلك ٠٠ انها تخترق عصر النهضة وما قبله وتضرب بماضيها الى عهود الاغريق والرومان ٠ وربما تصل الى زمن الفن البدائي عندما كانت مجرد نطفة ٠٠

ولعل سقراط هو أول من أشار الى التقليد والمحاكاة في الادب والفن٠ « ان الشعر والموسيقى والرسم والرقص كلها أنواع من التقليد ٠٠ » وتوسع افلاطون فأخضع حتى أصحاب الحرف اليدوية لهذا المفهوم ٠ وكان ارسطاليس أكثر وضوحا في موقفه ٠ فالمحاكاة عنده ذات نزعة مثالية وهي التي تحاول عرض «الشيء» كما يريد له الفنان أن يكون ٠٠ ومحاكاة واقعية تهدف الى تقديم الشيء أو تصويره كما هو ٠٠ ثم انتقل هذا الاصطلاح الى مجال النقد ٠٠ فقال يونج « المحاكاة نوعان : محاكاة للطبيعة ومحاكاة للمؤلفين الآخرين » ومن النوع الاول تنبثق أصالة الفنان ٠ ولكن الاضطراب كان يرافق هذه الآراء دائما ٠ وقد أراد بعضهم ربط الكلاسيكية بالمنفعة٠

ومن هنا دخل التعليم •• يقول ليوناردو « ان عقل الفنـان لا بد أن يكون كالمرآة تعكس وتمتلىء بالصور بمقدار ما يكون أمامها من أجسام » واستنادا الى هذه القاعدة يوصف الدكتور جونسون أدب شكسبير « انه يحمل لقرائه مرآة صادقة للحياة والطبيعة » ••

هذا بالنسبة للخط العـام •• أما التفرعات التي تنبت على الجـذع الرئيسي فقد كانت تبزغ باستمرار • فهناك من حاول التملص من هذا القيد بفتح نافذة صغيرة على حق الانتقاء • انتقاء الاشكال وبعض صفات الواقع وما يكمن خلفه •• ومعنى ذلك تحسين الطبيعة • وكان افلوطين قـد أقر هذا الانفتاح فأعطى للفنان حق الاضافة باعتبار أن الطبيعة ليست كاملة • ويعني هـذا الخـروج على ـ الكليـات ـ التي هي الاسـاس الاول للكلاسيكية •• الا أن أكثر هذه الافكار قد تعرضت للتكلس فأصبح تقليد الادب اليوناني والرومـاني هو المعيار لجـودة الانتاج •• وامتد ذلك الى المسرح والرواية والشعر وكافة الفنون الاخرى •

وفي سنة ١٦٦٤ وهي السـنة التي تأسست فيها الاكاديمية الفرنسـية أطلق على الفن الكلاسيكي اسم أكاديمي • أي الفن المدرسي أو الانشـائي أو الرسـمي •

وقد ازدهـرت الكلاسيكية في ظل الاقطـاع فاحتضنت كل تقاليـد الفروسية النبيلة والتصقت بالاخلاق حتى أصبحت آلة دعائيـة للكنيسـة والدولة • فهيمنت الصنعة على الفن وصار السرد هو الاسلوب السـائد والمفضـل •

وغدت الحقيقة ـ شـرحها أو تجسيمها ـ هو هدف الفنـان وذلك اعترافا بسلطة العقل ولغرض المحافظة على التوازن المتعلق بمنطق الواقع •• وقد أدى كل هـذا الاعتدال في مراعـاة الاوضاع الاجتماعيـة وتكثيف الالفاظ من أجل المعاني الى تجديد الخيـال وطعنه والتهرب من مواجهـة

النفس ..وعلى الرغم من الانفجار الكبير الذي أحدثته المدرسة الرومانتيكية في عالم الفن فلم تفقد الكلاسيكية سيطرتها أو احترامها بل مدت يدها الى هذا الوليد الجميل لتلعب معه ولتسخر منه في أحيان كثيرة .. ووجدت الكلاسيكية من يفلسف لها هذا الاتجاه .

فالناقد الايطالي كروتشه يحبذ للفنان الجمع بين الرومانتيكية والكلاسيكية . وقد صرح مكسيم غوركي « ان أعظم الفنانين تلتقي فيهم الواقعية والرومانتيكية » ويؤيد الفيلسوف هربرت ريد هذا النوع من الامتزاج بين المدرستين . وكذلك الكاتب اندريه جيد الذي كان يؤمن بلون من الصراع بين الكلاسيكية والرومانتيكية ذلك الصراع الذي يتكون منه العمل الفني .. ويقول لوكاس « ان الكلاسيكية تمثل الذات العليا التي تحدث عنها فرويد فهي رفيقة لاغنى عنها للصفة البدائية في الرومانتيكية .. ومع ان الرومانتيكية قد كسرت الكثير من أغصان الكلاسيكية القوية، الا انها سرعان ما عادت الى الانتعاش في كنف الطبقة البرجوازية ولكنها لم تقترب من المعارضة أبدا الا في حالات نادرة وفردية .. هذا ولم تزل الكلاسيكية تحظى الى اليوم بدعم كبير من الجماهير البسيطة ولم تزل أنفاسها القديمة تبدو في آثار هذا الفنان أو ذاك . ولربما عادت الى عزها في أجيال قابلة فهي لم تعجز من التسرب الى الواقعية الاشتراكية الحديثة وقد لا تعجز في المستقبل عن التغلغل في المدارس الفنية الآتية ..

ص ١٨ ـ العدد ٧٣، ٣ كانون الاول ١٩٦٩ .

الثامن عشر : السابع عشر ، يوصف : يصف ، ١٦٦٤ : ١٦٣٤ ، في ظل الاقطاع : الملكية . تجديد لعلها تجميد . الحقيقة هو : هي .

ـ الرومانتيكية

يقول جـوته « ان قسمة الشـعر الى كلاسيكي ورومانتيكي ٠ تلك القسمة التي شاعت في العالم كله وسببت هذه الكثرة من الجدل والخلاف جاءت أولا مني ومن شللر ٠ كانت قاعدتي في الشعر أن أؤلف موضوعيا ٠ أما شـللر فانه على العكس مني لم يكتب الا ما هو ذاتي ٠ وكان يرى ان طريقته جيدة فكتب للدفاع عنها مقالة في الشعر الساذج العاطفي ٠ وعندئذ تعلق شليجل وتلامذته بهذه الفكرة وطوروها فانتشرت في أنحـاء العـالم » ٠

لا شك أن جوته يشير هنا الى مصدر التسمية فقط ٠لان الرومانتيكية ليست بدعة فردية ٠ وانما هي انتفاضة لها موجباتها الموضوعية ٠ فهي دعوة الى تحرير الانسان من ربقة التقاليـد والمناهج الموروثة الاجتماعية منهـا والفنيـة ٠

وقبل أن تنبثق كنافـورة عطر وسط جـو خانق من صرامة العقـل والمنطق ، كانت تدور تحت السطح تنتظر الوقت المناسب للفوران ٠٠ وكما يقول جورج كوبلر « ان كل شيء يصنعه الانسان قد نشأ عن مشكلة وانه يعبر عن حل هـادف لهذه المشكلة ٠ » فالرومانتيكية هي اصبع الديناميت لنسف التابوت واسقاط ذلك العلق النابت فوق شفة المدرسة الكلاسيكية٠٠ وان تلك المعانقة الشديدة ٠ معانقة الرومانتيكية للبدائية تمثل رد الفعل المعاكس لما في الكلاسيكية من خضوع وتمجيد للاصول ٠٠ بل هي ثـورة ضد تعاليم تلك العجوز التي لـم تستطع الخروج على قانون الاوضـاع

القديمة ، والتي لم تعد تنسجم مع تطور الفكر .. حتى أصبحت مجموعة من الاقمطة تلتف حول حرية الفنان وأحاسيسه الخاصة .

فالرومانتيكية نزوع جارف الى التخلص من أسار الارض والهيمان بالافق والطيران نحو عالم آخر ، ولكن نقطة الضعف فيها هو رفضها العنيف لكل ما جاءت به الصناعة .

فالهروب من دخان المعامل دفع بالرومانتيكية الى الاغراق في الخيال بحيث صارت عبدة للتناقض فساهمت بذلك في « تشويه الحقائق الخاصة بالخبرة الانسانية » كما ان رعايتها المفرطة للمضمون قد أضعف قابليتها على النمو الطبيعي ... الا انها حاولت من الجانب الآخر اعطاء الاستقلال للفنان بتحطيم كافة ارتباطاته النفعية بالطبقات الحاكمة ، ووقفت في صف المعارضة ، واتخذت من العمل السياسي مرتكزا لهدم كل المفاهيم والانظمة المستهلكة ..

لقد ظهرت الوردة الاولى للمدرسة الرومانتيكية في المانيا ، وقد ساعد الناقد لسنج على تفتحها ، ثم جاء هردر فطالب بصداقة الطبيعة ، ثم بتعادل الشكل والمحتوى في الميزان الفني ، وهو الذي دعا الى التقرب من الموسيقى والابتعاذ عن التأثر بالرسم .. ولعل الرومانتيكية هي المدرسة الوحيدة التي اقتصرت على الأدب ، وعلى الشعر بصورة خاصة ، حيث كان ظلها خفيفا بالنسبة للفنون التشكيلية مع انها الجدة الحقيقية للسريالية ولمنطقة اللاشعور.. فعلى يد الرومانتيكية تم الانتقال من الخارج الى الداخل .. يقول نوفالس « الشعر نقل للنفس أو للعالم الداخلي بكليته » ويقول كولردج « على الفنان أن يعزل نفسه عن الطبيعة وبقوة النفس اللاواعية يولد ما تعبر عنه الطبيعة الخارجية » ..

وبذلك أصبح الشيء المرئي ناقص القيمة من الناحية الفنية اذا لم يغرف

من عواطف الفنان ونبضه .. « فكل عين ترى غير ما تراه العين الاخرى وبحسب العين يكون المرئي . » هذا ما صرح به وليم بلايك ..

ولكن المكائن لم تتوقف أبدا . بل أخذت تغمز لعقول الناس وتقدم لهم شيئا من السرور .. ومن هنا كان نقيض الرومانتيكية في طريقه الى الظهور . وهو الطبيعة .. وهكذا بدأ البطل الرومانتيكي المغلف بالجمال المطلق ومسحة الحزن الرائعة يفقد سحره العظيم . ذلك ان دوي الآلة قد مزق داتنيل الاحلام والقلائد المذهبة للذات الرومانتيكية .

بالاضافة الى أفكار كارل ماركس التي أخذت تدق وجه القارة الاوروبية وتفرض آلية الطبقة العاملة لمجابهة البرجوازية التي أصبحت متخمة بعوامل الانهيار ..

وبهذا انتهت فترة الاغماء للكلاسيكية فعادت وقد ارتدت بدلة جديدة لتتنزه في هذه المرة مع طفل صارم التقاطيع .. الا أن الرومانتيكية ـ لانها هي أيضا انعطفت الى درب جانبي لتسلم العلم الى المدرسة الرمزية ..

ص ١٨ ـ العدد ٧٥ ، ٢٤ كانون الاول ١٩٦٩ .
لم تقتصر الرومانتيكية على الأدب . بالاضافة : زيادة على .

الطبيعية

لقد كانت الطبيعية هي البدايـة لكل الاشياء • وليس باستطاعتنا أن نعرف الى متى سيستمر هذا الابتعاد في الادب والفن عن الطبيعـة •• اذ التطور الحضاري والكشوف العلمية ستؤدي في المستقبل الى كشط وتفريغ كل خفـايا الكون الداخلي للانسـان • فيضطر في النهـاية الى الرجوع للعناصـر والمواد الاوليـة ••

وحتى الفلسفة الماركسية تؤمن بمثل هذه العودة عن طريق الصراع مع الطبيعة •• فعالمنا نفسه ـ عالـم الباطن ـ هو في الحقيقة مجموعـة من الصور لمشاهد وحوادث سبق أن مرت بنا عندما كنا نسـكن في الغـابات والكهوف • فالانسان ليس سوى جزء من ذلك الكل الذي هو الطبيعـة • ومهما حاول الفنان الغياب أو التغيب عن الطبيعة فسوف يلتقي بها دائما •• ولهذا لم يستطع السحر الرومانتيكي أن يشبع متطلبات الحياة الجديدة التي بدأت بالتوسع من خلال المكـائن •• فلا بد من مسرب جـديد يستوعب المـد الفكري الحـديث !

وقد جاءت اللفحة الاولى على يد العـالم دارون فتمزق ذلك الغلاف الجميل الذي كان يبرقع الانسان ! فاذا به مجرد ذرة ضائعـة • وانه مهما حـاول التحليق والصعود للهـروب من واقعـه فسيبقى يحمل معه ماضيه المشدود الى الوراثة والمحيط الذي نشأ فيه •• وكانت قوة التفجير لنظرية التطور من العنف بحيث وصلت الى العـالم العربي بعد أن هزت العـالم الاوربي كله ••

وقد احتضن الكاتب الفرنسي ـ زولا ـ هذا الاتجاه الذي أطلق عليه اسم «الطبيعية» وهنا ـ كما قلت سابقا ـ نلتقي بوجه آخر للكلاسيكية . وتقدم من الموجة كل من فلوبير وبلزاك ودي موبسان . وانطلق الناقد (تين) يفلسف المفاهيم لجماعة الطبيعيين فقال « ان من واجب الفنان دراسة المناخ والاحوال الطبيعيـة التي تحيط به » . وهكذا عادت للدقة الموضوعية أهميتها القديمة وتقلص الحـلم الرومانتيكي .

لقد صبت الاختراعات الحديثة في منتصف القرن التاسع عشر مزن الماء فوق الشوق العتيق الى الحقيقة . وكان كذلك لتبلور الفكر الثوري أثره المباشر في هذا المجال . ففي هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الادب الاوربي توضحت طبيعة الصـراع الطبقي الذي مهـد لضـرورة التشبث بالارض والالتجاء الى الواقع .. ومن الناحية الاخرى سيق الفرد الى المختبر لفحصه وتحليل كل ما فيه من مشـاعر وغرائز حيوانية . وامتدت المباضع والاقلام في وقت واحد لمسح البريق الحلو عن وجه الوحش الصغير . وبذلك انفتح الباب لدخول الفوتوغرافية الى الادب . ولكنها فوتوغرافية جديدة تختلف الى حد ما عن صاحبتها التي كانت تعيش مع المحاكاة .. وهبط الحب من عشه الاخضر ليجد نفسه عـاريا من قلنسـوته المقدسة بعد أن ذابت عنه جميع أغشية الموسـلين .

فقد عمدت الطبيعيـة الى الصراحة في وصف العواطف والعـلاقات الانسانية . ولم تعد ملفوفة بالرفعة والسـمو . وأصبح السلوك هو الذي يفرز بين الشر والخير . وانتقلت البطولة من النبلاء والفرسان الى الرجـل العادي البسيط المنبعث من الغمار . وتوجه المنظـار الى توضيح وتقريب الحوادث الصغيرة فلم يبق أي فرق في نظر الطبيعيين بين الموضوع الضخم والتافه .. ان مجرى الحياة البشرية بكل ما فيه من تناقض هو الذي يجب أن ينقل الى الناس . وان عمليات التجميل يجب أن تتوقف فوراء الشاشة

الفضية للجمال يوجد القبح وهو حقيقة على الادب عرضها وتقديسها بكل صدق . فقد انتهى زمن الانسان الملاك . ولكن هـذا الاسراف في التعلق بالحياة الواقعية وعـدم الاهتمام بالجوانب الانسانية الاخرى قد حـد من تغلغل الطبيعية في بقية الفنون وعاملها الشعراء بمودة مصطنعة .

وفي هذا الوقت بدأت الانطباعية تفرض نفسها بقوة كما كانت هنـاك شبه مدرسـة صغيرة هي البرناسية .. وفي المانيـا بزغت التعبيرية كفجـر شـديد الاضواء ..

ص ١٨ ـ العدد ٧٧ ، ٧ كانون الثاني ١٩٧٠ .

من يفرك الصدأ

كان الصبح يعدو الى المغيب ، ولم أكن فرحا أو مهموما •• هناك قصيدة ومقال وقصة •• وابتسمت ، أسراب الموظفين والطلبة يركضون نحو بطن الحوت الاحمر • لقد ذهب العيد • وسرت على حافة الشارع • سكين وحبل رمادي • وفي الافق الابيض غيمة سمراء على شكل وعل • لقد بدأت الغابة تتثاءب في أعماقي • وحوش ومحاربون وببغاء على غصن طويل ، والليل ينتظر وراء قلبي ، الليل ينتظرني • ليلي الخاص • ومرت امرأة من العهد القديم •• والهلال الاسود فوق الحاجب •••!

دكان تفاح وليمون ، هذه المخلوقة الطيبة • انها تهرول الى السوق • في زمن ما بعت سروالي لكي أسكر بثمنه • كان معي غائب طعمة فرمان وعبدالمجيد الونداوي •• هكذا شربنا البنطلون في كازينو بلقيس •• ايه•• والتف الحبل الرمادي على قدمي •• من أي مكان جئت ؟ ان جبيني يلمس أرجل الوعل •• الوعل الموجود في الغيمة السوداء ••• اني لعلى مجد كبير ! وأقبل عامل صغير •• انه يلهث •• لقد تأخر قليلا • هو يحمل وجه شقيقي •• حبي لك يا عباس •• ومضيت أزحف بين أحلامي •• بدلتي الرصاصية في استنبول وصورة وجهي داخل اطار في موسكو وأنا هنا في حي البلديات ومعي نصف اوقية من الرز وعلبة سكاير •• ها •• والصبح يركض نحو المغيب •• والقصيدة لم تكتمل بعد •• لو أعرف من هذا الذي يمشي على السكين ؟ الموجة تسير والبحر في مكانه •• لو غسلت القميص لذهبت لرؤية أصدقائي في مؤسسة الصحافة ! ولكنها ملعونة تلك الطفلة المسؤولة عن نظافة ملابسي • وما فائدة العتاب • ووصلت الى الرابية •كان عمود التلفون يغني •• أغنية بلا كلمات تسافر الى انسان مجهول • وفي

الجانب الأيسر مسـحاة تنقل التراب الى مؤخرة سيارة . قال الفـلاح ان أرض حديقتي منخفضة . ووقفت أنظر الى الشتاء في السماء . لقد تحول الوعل الى سفينة وبقايا قرية خالية . وتقلص ظلي من الاعلى . أنا ذرة رمل في قاع هاوية .. وبعد لحظة سيختفي المسرح والممثل . فالليل ينتظرني . والزمن يحملق بي ويطرح أسماله على عيني .. يا لي من أعمى يتحدث عن الالوان . بالامس رأيت مؤلفات بلـزاك في العربة ! عربة الكتب البائرة ! مهزلة عمرها عشرة آلاف سنة . وانقلب الطريق الى كأس من السم . ليتني أستطيع أن أذبح التاريخ وكل اللغات . في القمر محطة وعند خط الاستواء هندي يلاعب أفعى . وفي مجلس النواب التشيلي يجلس الشـاعر بابلـو نيرودا .. عندما التقيت به في الكرملين كان ساهم العينين .. كلنا في قافلة واحدة المرأة القديمة والعامل الصغير والقمر والمسحاة وأنا وبابلو والافعى الهنـدية .. واقتربت من البيت .. من قبري المؤقت .. التـين والصبار وعلى السطح زقزقة عصفور .. من يسحب الماء من البئر ؟. ألف حنفية مقفلة في صدري . فيا إلهي متى تعود الكف التي تفرك الصدأ ... ودخلت.. الطيف يملأ الكرسي والشذى* على الستائر .. والخلاص فأرة لا تعرف درب المصيدة .. حفنة من السماق هي تسليتي . وتكومت بجانب النافـذة صرة من الهواء ترقص في الصالون .

ص ١٨ ـ العدد ٧٨ ، ١٤ كانون الثاني ١٩٧٠ .

المقالة مزيج من القصة والشـعر والسريالية والنثر المركز .

* الشذى : الصواب الشذا .

ـ الرمزية

ان القوة الثالثة ـ قوة النفس ـ التي وردت في المبدأ الشعري للشاعر الامريكي (ادجار الن بو) هي جناح الفراشة الذي سال منه المسحوق الناعم لبداية الرمز •• فعندما فصل (بو) الجمال عن الحق والاخلاق حدثت احدى الطفرات المهمة في تاريخ الشعر الحديث •• وقد أعجب ذلك شارل بودلير فقال « ما العالم المرئي كله الا مخزن للصور والرموز التي يخلع عليها الخيال مكانا ويكسبها قيمة نسبية فانه أشبه ما يكون بغذاء ينبغي على الخيال أن يهضمه ويتمثله • ولا بد أن تكون جميع قوى النفس الانسانية تابعة للخيال يسخرها جميعها في آن واحد » •

وهكذا أصبحت المرحلة الاخيرة المتطرفة من الرومانتيكية نقطة الانطلاق للمدرسة الرمزية • ويدل ذلك على امتزاج وتداخل المذاهب الفنية والادبية مع بعضها ، على الرغم من نقاط الافتراق بين مذهب وآخر • فالحركة الفنية كما يرى ـ ارنولد هاوزر ـ « لا تتطور بمنطقها الداخلي الخاص » فلا بد من الربط بين الفن و ـ العامل الاجتماعي ـ الذي هو الأس المشترك لانتشار المؤثرات الادبية والفنية نحو بعضها البعض • الا ان هذا لا ينفي وجود تيارات واتجاهات أدبية أو فكرية تعجز عن ملامسة الفنون التشكيلية • كما توجد مدارس فنية تبقى محصورة في مجال الرسم أو النحت فقط •• ولكن التموجات الخفية لا تنقطع بين العالمين • أما الموسيقى فقد تبدو معزولة متوحدة دائما • ولكنها لا تكف عن ارسال موحياتها سواء الى الادب أو الفن •• غير أن الرسم ظل هو سيد الموقف

باستمرار . فالبرناسية مثلا لم تمت تماما على الرغم من تعلقها الجامد بالرسم . ولم يزل الشعراء الى اليوم وخاصة العرب يهيمون بنحت الكلمات وتلوينها ، الا أن الموسيقى التي أخذت منذ المرحلة الاولى للرومانتيكية في منافسة الاصباغ ، قد أصبحت الهدف الذي يسعى اليه الشعر الرمزي . يقول بول فاليري « ان مهمة الشعر أن يسترد من الموسيقى ما سلبته منه » ويستطرد « ان الكشوف المهمة وكل البدع الفنية في الشعر منذ عهد بودلير سببها الاتجاه نحو الاعمال الموسيقية العظيمة وخاصة أعمال فاكنر وما احدثته في أذهان الادباء . لقد كانت تخيفنا وتقلقنا تلك المقارنة بين ما في طاقة الاوركسترا أن تقوم به وبين فقر المصادر اللغوية .. ولم يكن من سبيل للشعراء الا أن يحاكوا بكل جهدهم هذا المنافس الخطير .

وبما ان النغم الموسيقي لا يوجد في المعنى وانما في اللفظ فقد وجه الرمزيون كل عنايتهم الى الالفاظ .. يقول بريموند « وليس من الضروري أن نحصل من القصيدة على معنى لان هناك سحرا منفصلا عن المعنى » وقد أدى ذلك الى سيادة الغموض حتى أصبح العنصر الرئيس – بعد الموسيقى – في الشعر الرمزي . ثم تحول الى مشكلة كبرى بالنسبة للشعر المعاصر برمته .. وكان لاعتماد المدرسة الرمزية على الإيحاء والحدس السبب المباشر في هجرها العتيد للافكار – أي صارت ضد وجود الفكرة في القصيدة – . وبذلك ابتعدت الرمزية عن الحياة وحبست نفسها داخل غرفة مقفلة هي ذات الشاعر .فهي دعوة الى اللاانتماء والسلبية .فالاحتباس مع النفس والتشبث بالمطلق واللامحدود أبعدها عن الجمهور ، ولم يكن ربحها من الجمال ليساوي خسارتها من المجتمع . يقول فاليري « القصيدة حمل يرفعه الشاعر الى السقف جزءا جزءا والقارىء هو العابر الذي يقع الحمل على رأسه دفعة واحدة ومن ثم يحس – في لحظة – تأثيرا جماليا كاملا لم يعرفه الشاعر أثناء ابداعه للقصيدة . » .. ولكن الرمزية لم تبق

في الاطار الذي وضعها فيه مالارميه لأن سلخ الكلمات من معانيها الى حدّ التجريد كما هو حاصل في النغمة الموسيقية لا يمكن الوصول اليه • ولذلك فشلت أكثر المحاولات للحصول على « الشعر الصرف » فاضطر بعض الرمزيين الى الهروب من الانفراد والعودة الى المجتمع ، دون أن يتخلوا عن نظرتهم في التعبير عن الخارج من خلال وجودهم الخاص •• وكان للاجتهاد الشخصي أثره في توسع وتعدد الاساليب في المدرسة الرمزية • ففي المانيا كان الشاعر ريلكه يتجه الى ما يشبه التصوف واضفاء شكل الوجود على الموت • ورجع الشاعر الانكليزي بتلر الى عالم المحسوس بعد ان كان سادرا بين الخيال والاساطير وقد بذل الكثير لكي يتملص من الاغراب • وقد قاومت نظريات برادلي التي تدعم الرمزية مع اختلافه معها من حيث اعطاء الاهمية الاولى للسحر أو للجمال •• ولكنها لم تصمد أمام منطق العلاقة (غير الظاهرة) بين الشعر والحياة ••

ومع ان الرمزية قد ضمرت الا أن الرمز سيظل من عناصر الشعر الجديد•

ص ١٨ ـ العدد ٧٩ ، ٢١ كانون الثاني ١٩٧٠ ـ ولم ترد على الزاوية العليا: « المدارس الفنية » .
في هذه المقالة عدد من مصادره . بالرسم: بالشكل . بريمونْ : بريمون .

محاورة.. في باص المصلحة

السماء افريقية اللون .. وتوقف الباص .. وصعدت اعرابية طويلة تأرجحت قليلا ثم جلست وكأنها كوم من الصوف .. بيوت صغار التجار وجسر القناة وانحدرنا الى منطقة الغدير .. سرب من الفتيات .. باقات ورد ومزهريات . سأضع احداهن في رأسي . تلك البيضاء المفروكة بالزنبق كمفرش عرس .. انها .. ونزلت غيمة صغيرة ومسحت ذيلها على زجاج النافذة .. ألواح لحم نائم . هؤلاء الركاب ، ونظرت الى أحدهم .. انه ساهم العينين . ربما كان يسبح الآن في البحر مثلي .! أو لعله لم يذهب الى أي مكان . وانه مازال في بيته أو في الدائرة ! هو سعيد لأنه لا يجيد السفر وهو فوق المقعد .. أنا الوحيد الذي يتجول خارج السيارة ..

هذه هي محطة حيدر باشا .. وسهرت مع حنجرة بهية اوكساي .. وتناولت الفطور في مقهى من الزجاج في الجانب الآسيوي .. وعدت الى الباص .. كان أحد الشباب يأكل وجه امرأة في الاربعين . مسكين لا يعرف شيئا عن النصل المدفون في علبة العسل .. واستأنفت السياحة .

كانت الطائرة ترفرف فوق مدينة كوبنهاغن . وفي المطار استقبلتني موجة من الثلج .. وبعد أن طفت في «التيفولي» ضعت داخل كأس من الكريستال المرصع . وعندما رجعت الى الفندق وجدت السأم يتثاءب على الوسادة ! وفي الصباح قفزت الى براغ .. انها تمطر ! وتنبهت .. حديقة الاوبرا تضحك للمزنة .. وانطلقت التعليقات .. ما هذا ؟ لقد انشق بحر القدرة ..

ومضى اسرافيل يضرب السحب .. وتذكرت ذلك الطائر الاسود الصغير الذي التقيت به في احدى حدائق فينا . أسرع نحوي بفرح ومودة

ودس منقاره الابيض في راحتي • انه يبحث عن لب الصموت •• وتخيلته وقد تجرد من ريشه واستقر فوق ماعـون من الرز الحار •• يا لصـدره السمين !! والتفت اليه ! كان يقف بجانبي وفي عينيه المدورتين بداية سؤال وحنان • فقلت له بهمس : أنا لم أر مثلك من قبل ومع ذلك فان منظـرك يستفز أسناني ، لأني من قوم لا يلعبون مع الطيور • ونسيت أنه لم يتعلم الخوف أبدا • وطفر ليجلس في حضني •• ها •• وضحكت •• ومر فوق كتفي سيل من العطاس • انه لمريض ! ومرات من الرعب •• ان لويز[1] لم

تمت ! وقد دفنت أمامي ! انها بحاجة الى شيء من النقـود ! لقد وصلتني منها رسالة بذلك ! وأرسلت عيني اليمنى الى الخارج •• انها سينما النصر• ـ أبي فوق الشجرة ـ وابتسمت بحزن •• قيل لي إن فيه مائة قبلـة •! ان مثل هذه الافلام تقتل روح الفروسية • اننا بحاجة الى أفلام تحـول لحمنا الرخيص الى حديد •• تحية للرجـال المسربلين بالنار •• الى الـذين يقفون بعيدا عن الاشجار للحصول على قبلة المجد في جبهات القتال ••

وسافرت الى روما •• كانت هناك سيدة امريكية تغسل أناملها بمـاء حنفية العبقرية • وعلى بعد خطوات البيت الذي كان يعيش فيه ماركـوني تمتم خالد الرحال لكم هي طويلة هذه الامريكية الشهباء ! والشمس تسير في الشوارع المدورة ، وعبرت الفضاء الى اليونان •• سيقان النحاس تلمع قرب البحر الابيض • ودخلت مخزنا لبيع التحف واللوحات الفنية • ورأيتها تقف خلف تمثال ديك من الخزف الملون وعلى وجنتها المستطيلة تلك الصفرة الاثينية الخفيفة : وهمست بفرح انك عربي ولكم أحب العرب • لقد ولدت في أسيوط ونشأت في القاهرة ثم حملني أبي الى أثينا •• وتعارفنا ••

وفي الباب الشـرقي كانت بغـداد كلها ترقص تحت الغمـام والناس

ينظرون الى شعري الطويل ومع ذلك فأنا أحبكم يا أبناء وطني . أحبكم أيها العراقيون .

ص ١٨ ـ العدد ٨٠ ، ٢٨ كانون الثاني ١٩٧٠ .

(١) لويز : بطلة قصة بعنوان الأموات لا يخرجون من قبورهم.. ل أدوارد . د. هوتش .

في المقالة سرد قصصي وأمثلة من استعاراته . وقدرة على لم المتباعدات .

ـ الانطباعية

يعتبر المصور كوربيه أول من دعا الى مصافحة النسيم في الفضاء . ومع ان قدمه اليمنى كانت مغروسة في المدرسة الواقعية وخاصة في لوحته المشهورة (كاسري الاحجار) التي صور فيها شقاء ومعاناة الطبقة العاملة.. فقد استطاع أن يدفع بقدمه اليسرى خارج المرسم حيث توجد الطبيعة عارية أمام الشمس . وبذلك بدأت الخطوة الاولى للانطباعية أي بمواجهة الضوء والالوان خلال حركة الهدوء ، ونقل المنظر من مكانه وأثناء لحظة معينة .. ثم قفزت الى انكار الموضوع في سبيل الشكل والاتجاه الى ـ الموسيقية ـ يقول شميدت « ان الانطباعية علمت فن التصوير على الغناء وجعلت من المصور موسيقيا ومغنيا » ولكن الاقتراب من الطبيعة أو الدخول فيها لا يعني ـ المحاكاة ـ أي ان المنظر يجب أن لا يكون نسخة طبق الاصل من الطبيعة فالمهم في رأي الانطباعيين هو ـ الانطباع ـ الحاصل من تجربة الفنان وطريقة الرؤية الخاصة به .. يقول كاندينسكي عن لوحة (أكوام التبن) لمونيه « انه لم يستطع أن يميز تلك الاكوام وان يهتدي فيها الى المصنوع . ولكنه وجدها تنطبع بعمق في ذاكرته . ثم ما تلبث أن تتشكل أمام عينه بأدق تفاصيلها » .

ولم تكن المهمة سهلة في البداية فقد سبق ذلك مناقشات وجدل لا نهاية له حول الفن والنظريات العلمية عن حقيقة اللون وتحليل الضوء . فقد كانت تفسيرات نيوتن لميكانيكية الرؤية وعن العلاقة بين شبكة العين وأشعة الضوء وآراء العالم شفربل عن تركيب الالوان تفرض نفسها بقوة على رواد

المدرسة الانطباعية • فقد ثبت ان الالـوان البنفسـجي والأزرق والنيلي والاخضر والاصفر والاحمر والبرتقالي هي أصل كل الالوان الموجـودة في الاشياء •• وان الاحمـر والاصفر والازرق هي الالوان الجوهريـة التي لا يمكن تركيبها بواسطة المزج كما هو حاصل بالنسبة لبقية الالوان الاخرى غير الجوهرية • اذ يمكن الحصول على اللـون البنفسجي مثلا من خلط اللونين الازرق والاحمر •• وقد بلغ الحماس بالمصور سيرا الى حـد عدم الوثوق بالحس في اختيار أو استعمال اللون • فأدى ذلك الى ما يسـمى بالانطباعية العلمية بعد أن ظهرت ـ طريقـة التنقيط ـ والتي تدعـو الى الاستعاضة عن مزج الالوان • فالاخضر الذي يتكون من الازرق والاصفر يمكن التوصل اليه بوضع البقع أو النقط الزرقاء والصفراء منفصـلة فوق القماش حيث يتم امتزاجهما بواسطة الرؤية •

وقد لعبت الرسـوم اليابانية المطبوعة على الاقمشة والمراوح والتحف الشرقية دورا كبيرا وحاسما في اعطاء الالوان تلك الرقة المتناهية • ويقول فان كوخ (عندما انحط الفن الياباني في بلاده ولد من جديد بفرنسـا بين جماعته الانطباعيين) • وقد ملأ مونيه آذان الفنانين بأحاديثه المدهشـة عن الالوان المضيئة في الشرق بعد عودته من الجزائر • وهكذا أصبح المصور الانطباعي لا يكتفي برؤية الضوء بل يبحث عنه في الاماكن الجميلة كالحقول والموانيء والسماء فجاءت صوره عذبة ومشعة وذات شفافية أشبه بالشـعر يقول مونيه « انني أصـور كما يغرد عصفور » ومونيه هـذا هو أحـد المجتهدين البارزين في المدرسة الانطباعية ومن لوحة له أطلق عليهـا اسـم ـ انطباع ـ أخذت الانطباعية اسمها ••

ان طرد الموضوع من صدور الانطباعيين والدعوة الى مشاهدة العالـم من خلال اللون المضاء وصياغة الشكل بالكتل اللونية قد عرض الانطباعية الى حملة واسعة وعنيفة من النقد والاحتقار وقد كتب أحد النقاد الفرنسيين

(اننا تتسلى برؤية تلك البراري البنفسجية والانهار الحمراء والجداول السوداء والنساء الصفراوات والاطفال الزرق) ذلك لان الالوان لم تعد توضع بنفس الاسلوب التقليدي القديم •

ويقول رينوار « ان الانطباعية قد ولدت في اللحظة التي استعمل فيها أحد المصورين اللون الازرق ـ لتأكيد عتمة الظل ـ لعدم عثوره على أنبوبة اللون الأسود . فكان هذا الخروج على القواعد يحتل قمة التمرد على الخط الفكري السائد حينذاك ولكن القضية كما يقول ديلاكروا « ان العيون ليست كلها قادرة على تذوق رقة التصوير » ولكن الانطباعية كانت مخلصة في محاولتها في التجديد فاستمرت في رفع راية التحدي حتى انتصرت على رد الفعل الذي أحدثته عند المعارضين من رسامين وأدباء ومشاهدين • قال سيزان « على الفنان أن يحذر الفكر الادبي الذي يبعده عن طريقه الحقيقي ويدخله في تأملات لا صلة لها بالدراسة الموضوعية للطبيعة » •

ص ١٨ ـ العدد ٨١ ، ٤ شباط ١٩٧٠ .

يعد كورن رأس المدرسة الواقعية . مونه : مون . في المقال دليل على أنه ينقل عن مصادر مترجمة .

المستقبلية

ان الثورة على التقاليد الادبية والفنية القديمة منذ عصر النهضة قد تبلورت في بداية القرن العشرين وقد تمخض هذا الصراع الطويل عن فورات هائلة ثم تركز في عدد قليل من المدارس الفنية . تلك المدارس التي استطاعت أن تستجيب لمتطلبات العصر الحديث ولو انها لم تنسجم بعد مع الذوق العام ..

والمستقبلية هي من أهم هذه المذاهب على الرغم من كل ما جاءت به من شذوذ وتطرف .. فقد فتحت شباكها الاول بالدعوة الى بتر كافة الخيوط التي تشد الفنان الى الماضي . ومعنى ذلك التخلي عن جميع الآثار الأدبية والفنية السابقة ، بحجة أنها لم تعد تتلائم* مع زمن الآلة .. وكان الشاعر الايطالي مارينتي هو أول من طالب بدينامية الشعر الحديث والبحث عن الجديد الذي لم يكتشف من قبل ، فاتجه الى وصف البنادق والطائرات والسكك الحديد وكل ما له علاقة بتطور الفكر ..

ولكن الشعراء الروس قد ذهبوا الى أبعد من ذلك فأصدروا سنة ١٩١٢ منشورا بعنوان (صفعة في وجه الذوق العام) وقد جاء فيه « ان من حق شاعر المستقبل أن يوسع اللغة الى أقصى ما يمكن باشتقاقات وابتكارات لفظية جديدة » وأراد بعضهم نسف اللغة الروسية كلها والعمل على خلق لغة أخرى .

وقد وصل بهم الاسراف في التجديد الى حد اختنقت فيه المعاني من قصائدهم . ولكن اهتمامهم الفائق بالانجازات العلمية جعلهم يبتعدون عن

سـحر المدرسة الرمزية • ومع انهم ولدوا في ظل المذهب الانطباعي إلا أن حبهم الكبير لعالم الغـد أنقذهم من التردي في القوقعة •• وكان الشـاعر ماياكوفسكي وهو أحد قادة المستقبلية في روسيا يحاول زحزحـة الغموض عن شعره « الى الشـوارع يا مؤمنين بالمستقبل • يا قارعي الطبول ويا أيها الشعراء » وقد صرح في محاضرة له « ان قصائـده التي نظمها سنة ١٩١٢ كانت أكثر شعره اضطرابا وانها هي نفسها التي أثارت مسألة الغموض في شـعره ••ولهذا وضعت قضية الغموض أمامي في كتاباتي التالية واجتهدت أن أكتب بطريقة يفهمها أكبر عـدد ممكن من المستمعين » وهكذا أخـذ ماياكوفسكي يتحول عن المستقبلية وعندما نشر البيان البروليتاري في عـام ١٩٢١ والذي اعتبر المدرسة المستقبلية ممثلة لرواسب الثقافة البرجوازيـة كان ماياكوفسكي قد أصبح بلبل الثورة الاشتراكية ••

لقد كانت المستقبلية منذ بدايتها وعلى الرغم من عدم ودهـا للآخرين تؤمن بالمساواة الاجتماعية ولم يمنعها حبها الشديد للموسيقى وغنائيةالكلمة من الالتفات الى الحيـاة العصرية •• قال الشاعر الدنجتون « إن المستقبلية أقوى قوة فنية •• » وقـد لفت في حضنها أبرز الفنانين والشعراء ومنهـم ازرا باوند فقد سار في ركابها فترة ثم مال عنها ليدعو الى ما أطلـق عليه اسم (الدوامية) وهي تهدف الى احتقار آداب السلوك والقضاء على الروح الاكاديمية والغوص في أعماق الحاضـر ••

إن أبرز نقاط الضعف في المدرسـة المستقبلية هي وقوفها الدائـم في الخارج ورفضها للعواطف وفكرة الحب المرتبط بالمشاعر • ولو انها انحنت نحو العـالم الداخلي للانسان لاستطاعت الهيمنة على الفكر الاوربي كله• يقول لورنس « انه يحب المستقبلية ـ ولو انه لا يؤمن بها ـ لما فيها من تطهير للعواطف ونسف للاشكال القديمة والضعف العاطفي » •

أما في مجال الفن التشكيلي فقد التقت المستقبلية بالمدرسة التكعيبية

من حيث تفكيك الشكل ثم اعادة تركيبه من نفس عناصره ومواده السابقة بصورة جديدة • وقد اعتمد الرسام المستقبلي على الحركة وعلاقتها بالزمن. وقد طبق المصور بوتشوني ذلك في لوحته (القالب الديني للجسم البشري) ولعل هذه المحاولات هي التي جعلت النقاد يربطون بين المستقبلية ونظرية انشتاين في النسبية وبصورة خاصة – البعد الرابع – (الزمن) ••

ويفسر الاستاذ حسن محمد حسن ذلك بقوله « ان حادثة ما تحتل مكانا • كما أنها في نفس الوقت تحتل زمنا • مثل ذلك ان انسانا ما ان هو في حد ذاته إلا حادثة •• وان هذا الانسان بطبيعة تكوينه المادي – أي بجسده – يحتل فراغا • وان هذا الفراغ هو ما نعنيه بالمكان •• وان هذا الانسان منذ ميلاده الى أن يفنى يحتل زمنا • وهذا الزمن هو مدة عمره بأكمله •

ثم ان هذا الانسان في المدة التي عاشها ليس جسدا ثابتا بل متحركا. وان هذه الحركة تشغل المدة التي عاشها • أي أنها تشغل زمنا • كما أن هذا الجسد في المدة عينها يحتل مكانا • وفي هذه الحالة نرى أن الزمن مع ملازمته لحركة هذا الانسان ملازم أيضا للمكان الذي يشغله وحينئذ يكون كل من الزمان والمكان شيئين غير منفصلين ، بل يرتبط كل منهما بالآخر ••

ص ١٨ – العدد ٨٢ ، السنة الثانية ١١ شباط ١٩٧٠ .
تتلائم : تتلاءم ، وفي المقال اشارة الى مصادر ينقل عنها « علمة » .

التعبيرية

قال أحد التعبيريين « هناك العالم ومن السخف أن نعيد تصويره كما هو ، ان مهمة الفن هي في البحث عن جوهره الذاتي واعادة خلقه من جديد » ومعنى هذا هو ضرورة تجاوز المظهر الخارجي للاشياء واختراق الشكل للتوصل الى الحقيقة الكامنة في الباطن • فان اعطاء أي اهتمام لمظاهر الشيء أو الاطار يخفف من سرعة النفاذ الى الداخل حيث السر المختفي وراء القشور • وفي هذه النقطة بالذات يحصل الاقتراب بين التعبيرية والتجريد في اللغة • فمثلا ان كلمة انسان هي تجريد لكل الاجناس البشرية• وان كلمة مريض في التعبيرية تعني المرض نفسه أكثر مما تعني المصاب بالمرض — وعليه يجب رسم المرض لا المريض — • لان الفرد هنا يقف خلف الفكرة التي يمثلها الانسان •• — هذا مع اختلاف بواعث وطرق البحث عن جوهر الاشكال — ••

ان التعبيرية على العكس من الواقعية والطبيعية تعتمد على احساس الفنان والتحليل النفسي ومدى ارتباط ذلك بالمجتمع لفهم وكشف قواعد الوجود • وقد كانت نظريات فرويد في علم النفس هي المنبع الدافق الذي غرفت منه التعبيرية معظم أفكارها عن أعماق الانسان •• كما كان لآراء الكاتب دستوفسكي أثرها المباشر في الرسامين الروس التعبيريين • واذا كانت التعبيرية قد تأثرت في بدايتها بالطابع البدائي لما فيه من عفوية • وبالفن الزنجي المترع بالانفعال الداخلي ، الا أنها انتقلت بسرعة الى مرحلة التغلغل في حياة الناس والتعبير عن مشاكلهم وأحزانهم لدفعهم الى الثورة •• وقد

كان معظم الكتاب والأدباء التعبيريين في المانيا من عشاق الاشتراكية . وكانت مؤلفاتهم ومقالاتهم مفعمة بالتهجم على الطبقة الحاكمة والبرجوازية الغارقة في الزيف والنفاق وقد حفظت هذه الاقلام الثائرة أبشع الصور وأقبحها لرجال الاحتكار من المستغلين والرأسماليين .. وكانت مجلة ـ العاصفة ـ التي يشرف على تحريرها جماعة من التعبيريين والتي كانت تصدر في مدينة ـ ميونيخ ـ تعكس نشاطهم الثوري والفني على السواء .. ولذلك عمدت النازية وبأمر من هتلر نفسه بمطاردتهم واضطهادهم . ولكن التعبيرية كانت قد نمت وتفرعت في أماكن بعيدة . فقد عمل الفنان الروسي ـ فيبر ـ على نشرها في امريكا وساعد بكمان على نقلها الى فناني اوربا وقد استغلها المصورون المكسيكيون في الدفاع عن الافكار الثورية ضد طبقة الاقطاع والمحتكرين .. أما باريس فكانت كالعادة ترحب بكل الفنانين المجددين الوافدين اليها . فاحتضنت أمثال سويتي وشاجال وفيبر..وبما أن التعبيرية كانت تستجيب لمؤثرات المحيط الثقافي لكل بلد وتميل لنوازع الفكر فقد تأقلمت في أكثر من مكان واحد كما حدث لها فيهولندا وبلجيكا والمكسيك.

وللتعبيرية جذورها التي تمتد الى ما قبل عصر النهضة . أي منذ بدأ الانسان ينظر الى داخله ويحاول معرفة حقيقته ! ومن الفنانين المحدثين الذين لعبت انتاجاتهم الفنية في توجيه الرسامين التعبيريين كل من سيزان وفان كوخ . وقد كان الفنان السويدي (مونخ) يقتفي آراء المفكر الوجودي ـ كيركيجارد ـ ومبادراته لكشف مشاكل ومآسي الآخرين ..

هذا وقد ساهمت المدرسة التعبيرية بصورة جدية في الوقوف ضد الحرب وما تجلبه من ويلات وخراب .

أما من الناحية الفنية فقد كانت التعبيرية تهدف الى تبسيط الخطوط مع الاكثار من استعمال الالوان المثيرة والتهويل في تشويه الشكل الطبيعي. ولم تزل طريقة التشويه للاجسام والملامح تعتبر من أهم ركائز الفن

الحديث ، وكانت أعمال ـ دوميبه ـ خير مثال لذلك •• وقد قوبل أول معرض للتعبيريين في سنة ١٩٠٦ بكثير من الاستهجان وعدم الاهتمام وخاصة من قبل المؤيدين للاسلوب الاكاديمي ••

ولعل أهم نقاط الضعف في التعبيرية هي مقتها للمدن الصناعية ومحاربتها لكل المنجزات العلمية •• ومن هنا سمحت للمثالية بصداقتها •

ص ١٨ ـ العدد ٨٤ • ٤ آذار ١٩٧٠ ـ ولم ترد على الزاوية العليا : المدارس الفنية .

برتقال.. وجائع.. ورأسمالي

الضحى يلعب فوق اسفلت الشارع والسماء زجاج أخضر والنسيم اللين لفة حرير بارد •• وفي أعماقي حوار لا نهاية له عن الحياة والقحط •• فقد أصبحت ثخين المزاج أهرب من المـرح وأميل الى العبوس • ورفعت الجريدة الى عيني • ثوار لاووس يحتلون سهل الجرار • اسـقاط طائـرة امريكية فوق هانوي • الشعب الفلبيني يتحرك ضد الدكتاتور • الفدائيون العرب ينسفون أحد المصانع الاسرائيلية •• وشاهدته يتلفت حوله بامتعاض ثم أخذ ينظر الى المارة وعلى شفتيه العريضتين ظل ابتسامة • ووضع راحة يده على حافة العربة وانحنى برقة • وفجـأة أطلق تلك العبارة الرهيبـة « الكفن بلا جيوب •• الكفن لا توجد به .. ب ! » وتناول برتقالة كبيرة كأنها فانوس أحمر مضاء •• وسال الماء البارد فوق قلبي •• وجاءت الاخيلة من كل مكـان •• وكانت غريبة فعلا ! فصاحب هـذه العمارة لا يستطيع أخذها معه الى القبر ! وعند سياج حديقة الأمة يقرص الشتاء أنامل الاطفال المشردين • وحملتني غمامة من العذاب • ترى متى يسقط عرش رأس المال! فيأخذ البؤس معطفه الاسود ويرحل الى قاع الهاوية ! ومع كل هـذا فلم يزل هناك من يمقت كلمة الاشتراكية ••

وتذكرت وجه صديق لي يملك مجموعـة كبيرة من الدور • كانت الزرقة تغطي قسماته الجميلة وهو يناقشني حول قانون تخفيض الايجارات! وعندما قلت له اني مع المساكين • تنر بلهجة موتـور حاقد •• يا لك من صديق مخلص ! فأجبته ضاحكا •• ان صداقتنا مجرد علاقة اجتماعيـة • لأننا أعداء في الحقيقة ! فأنا رجل مشدود من جميع الجوانب الى أقـدام الحفاة وعلى الرغم من شدة اقترابنا فان البحـر يفصل بيننا دائما •• فأنت

تشرب العسل من أفئدة اخوتي وتحول عرق الفقراء الى أرصدة .. لست أنكر أنك في غاية النظافة وانك قد عانيت الكثير لتجمع هذه المئات من الالوف . ولكنك لن تتزحزح من فوق الكنز إلا اذا نزلت عليك القنبلة.! لقد برهنت على أنك من خيرة التقدميين فعلا . وان الغبار لا يسقط فوق مواقفك السياسية ولكنك لا تستطيع مفارقة حرية تكديس الاموال ! فيا لك من وحش ديمقراطي ! لقد عشت مع الجوع في عهد ما .. فلماذا لا تساهم في ابعاد الفقر عن الآخرين !!

وتوقف أمام المقهى وراح يستعرض وجوه الجالسين . وزير سابق . صحفي .تاجر . متقاعد . مدير عام . شاعر . مهندس . كاتب مسرحيات. وصرخ باستهزاء .. برتقال .. لوز يا برتقال ! ولم ترتفع مقلة واحدة . وانما جاءت ضحكة صغيرة متقطعة واستقرت على طاولتي .. لقد بعت السيارة ! قال الوزير . وابتسمت له.. انك تنحدر نحونا بسرعة !

ان فكرة الموت تدفعك الى العناية بالأمل .. هذا حق فالموت هو الشيء الوحيد الذي يكشف لنا عن قيمة العمل الانساني .. انها حفنة من السنين ونختفي الى الابد ! والسعادة الاصيلة تولد في حومة التفاعل العاطفي مع الناس ..

برتقال برتقال وهرول الصباغ مجيد واشترى واحدة ..

ص ١٨ ـ العدد ٨٥ ـ السنة الثانية ١١ آذار ١٩٧١ .

تخين من العامية الفصيحة ، ومثلها نتر اختارهما لما لعاميتهما من قوة الدلالة ، وفي المقالة مثل على أسلوبه في جمع المتباعدات ، وفي الحاحه على « الموت » موضوعا .

التجريدية

لا شك ان أنقى أنواع التجريد يوجد في غناء الطيور وفي كافة الاصوات الاخرى . والموسيقى هي أقرب الفنون من المعنى الاصيل للفن التجريدي . ففي الموسيقى لا نجد حكاية أو حدثا أو أي صورة من الواقع. وكذلك الفن المعماري الذي لا نرى فيه أي شكل من معالم الطبيعة ، ومع ذلك فان النغم الموسيقي يجرنا الى أحضان نشوة فريدة خاصة . وتثير فينا العمارة الاحساس بنوع من الطرب .. ومعنى هذا أن هناك ـ شيئا ما ـ يهزنا ويحرك أعماقنا ويجذبنا اليه ! ولعل هذا الشيء هو الانسجام والتوافق بين النغمات والتناظر الهندسي الموجود في البناء .

وقد تنبه الى كل هذا الفيلسوف افلاطون قبل مئات السنين فقال « سأحاول الكلام عن جمال الاشكال . ولا أقصد كما يتخيله أكثر الناس، أشكال الوجوه الحية أو تقليدها في الصور ، بل أقصد الخطوط المستقيمة والاقواس والاشكال التي تصنع منها مبسطة أو جامدة بالمسطرة أو الزاوية اذا كنتم تعلمون ماذا أقصد . ليست هذه الاشياء جميلة لاي سبب كغيرها. وانما هي جميلة بطبيعتها وتشع سرورا لتحررها من الرغبة . وكذلك الالوان في هذا النوع جميلة وباعثة لسرور مماثل .. » .

وقد حاول الفنان الروسي كاندينسكي أن يستعمل اللون والشكل المجرد في التصوير كما تستعمل الاصوات في القطعة الموسيقية للتعبير عن الجمال المطلق . وهكذا قرر الغاء الطبيعة من رسومه وقد علق على أول لوحة من هذا النوع « ان هذا الوصف الشامل لهو بصفة خاصة عبارة عن تحليل

للصورة التي صورت تحت تأثير دوافع العقل الباطن • ومن شدة الشعور ببعض الاشكال أذكر أني كنت أصرخ وأنا أوجه الكلام الى نفسي ••ولكن يجب أن تكون الزوايا ثقيلة » •

وكلمة — يجب — هذه تؤكد على اهتمام فائق بوضع اللون في مكانه المناسب وكذلك بالنسبة للخط • فالتجريد عند كاندينسكي يخضع لنوع صارم من التصميم الموزون •• أما الرسام الهولندي موندريان فقد اتجه الى العمارة وما فيها من قوانين هندسية ولم يهمل الطبيعة تماما • وكان يعتمد على تناسق الخطوط وتقاسيم المربعات وما يحصل بينها من (اتصال جمال) • وقد كتب موندريان يقول « لقد وجدت ان الزاوية القائمة هي أفضل وصلة ، وان تناسق مسافتها قد يفضي الى حركة حية » •

وقد اتسعت الحركة التجريدية بحيث أصبحت ممثلة لروح العصر فنحن نلتقي بالفن التجريدي في كل مكان تقريبا ! في الاعلانات والمواعين والاثاث وفي المطبخ وعلى المائدة ••

ولكن الكلمة ذاتها ، أعني كلمة تجريد ستبقى بلا حدود لان لها أكثر من مجال أو فضاء واحد • فهي عند الفيلسوف تعني النتيجة الحاصلة من التأمل في جوهر الشيء • وترمز عند المتصوف الى التقشف • وهناك تجريد كامل حيث تخلق الاشكال من الذهن مباشرة وليست لها علاقة بالطبيعة أو أي مظهر عضوي وتجريد جزئي يستلهم حقيقة ذات الشيء بواسطة القوالب الهندسية •• يقول جورج فلانجان « وكما يقوم العالم الكيمياوي بتركيب أجزاء الذرة ، ويحللها الى عناصرها الاصلية ، كذلك يفعل الفنان التجريدي فهو يأخذ المنظر الطبيعي ويحلله حسب رغبته ويحوله الى أشكال وأوضاع خاصة • وكما يقوم باعادة تركيب الذرة ويحولها الى الكترونات، كذلك يعيد الفنان التجريدي تركيب أشكاله ويصنع تصميمات جديدة » •

بل إن الكتابة نفسها هي نوع من التجريد فقبل أن تتحول الى حروف

كانت مجموعة من الصور والرسوم كل صورة تعبر عن إشارة أو معنى ، ثم تطورت الصورة الى رمز مجرد لم يزل يعكس نفس الافكار والحقائق . فالكتابة المسمارية والخط الكوفي والحروف الصينية تؤكد هذه الحقيقة .

وبما أن الفن التجريدي لا موضوعي فانه لم يستقبل بالترحاب من قبل الناس . فان البحث داخل المربعات والدوائر والخطوط الحلزونية أو المستقيمة لم يصل بهم الى أية فكرة أو أساس مفهوم . فمن الصعوبة أن يصل الانسان الاعتيادي الى اكتشاف الجمال الخالص الذي لا يحتفظ له بسوابق معينة؛ ولكن اصطدامهم المستمر بالفن التجريدي في مختلف نشاطات الحياة سيجعلهم ـ تدريجيا ـ يشعرون بشيء من الالفة معه ، بعد أن يخفت نفورهم من جو الغرابة فيه .

ص ١٨ ـ العدد ٨٦ ، ١٨ آذار ١٩٧٠ ـ ولم ترد على الزاوية العليا المدارس الفنية .

تؤكد على : تؤكد ـ واستعماله شائع .

الادب والعمل اليدوي

ان الادب على رأس الفنون النظرية التي يجب أن تلتفت الى التغني بأمجاد الفنون الآلية • فالموسيقي الذي يستطيع أن يحتمي بالتجريد • والرسام الذي قد يحتج بعدم القدرة على التعبير المباشر باعتبار ان الخطوط والالوان تعجز عن الشرح كما هو الحال بالنسبة للكلمة • يجعل الاديب مرغما على استلام زمام المبادرة بل والقيادة • ومعنى ذلك أن ينزل الادباء مع بقية الفنانين الى الورش والمعامل لدراسة ومعرفة ما تقوم به الفنون اليدوية من انجازات باهرة • واستيعاب ما تقدمه اليد العاملة « بواسطة الصناعة » من خير وفوائد لاظهار أهمية الدور الذي ينهض به الانسان الذي يقف وراء المنول والمبارد وصهاريج الحديد ، لكي يأخذ حقه من الاحترام والتقدير كفنان ••

واذا كان مثل هذا الواجب قد خف عما كان عليه قبل مائة سنة ، لانه لم يبق الآن من ينكر فائدة السيارة أو ماكنة الخياطة ، كما فعل الفيلسوف (ديكارت) عندما اخترعت المرآة الخاصة بتجميع أشعة الشمس للحصول على الطاقة ، فاعتبر ذلك سخافة ! إلا أن القضية لم تزل مطروحة من ناحية التثقيف الشعبي ، وكذلك للحصول على براعم ومنطلقات جديدة تنقذ أدبنا العربي من هذا الانصراف الكلي الى التأمل النظري • وإدخال التجارب العملية في صميم المسؤولية الاجتماعية للأدب •• فنحن الادباء نتحدث اليوم عن الاشتراكية كمفاهيم وأفكار اجتماعية وفلسفية تتناغم مع روح العصر دون أن نكلف أنفسنا معرفة الاسس الاقتصادية ـ بكل تفرعاتها ـ لطبيعة النظام الاشتراكي والعمل على نقلها للجماهير • حيث إن توضيحها من الوجهة السياسية المجردة لن يؤدي الى ترسيخها وتثبيتها كحقيقة علمية ••

وان ايكال مثل هذه المسؤولية الى المختصين من رجال الاقتصاد والتخطيط وبعض المثقفين لا ينفي واجب الادباء في هذا المجال الحيوي .

ولهذا طلب ماوتسي تونغ من الفنانين والشعراء والكتاب الذهاب الى الناس في كل مكان . في المصانع والمقاهي والمزارع الجماعية لرؤيـة وتفهم مختلف أوجه النشاط الابداعي للفن التطبيقي .. وكان الادب في الاتحـاد السوفياتي قد فاز بقصب السبق في هذا المضمار فقدم للشعب السـوفيتي وللعالم مجموعة ضخمة ورائعة من النتاجات والاعمال الفنية والادبيـة ، مستوحاة من البذار ومكائن الحصاد والسدود ومحطات الكهرباء : وذلك لابراز قيمة الفنون اليدوية ، واعطـاء صورة مجسمة لعظمة الطبقة العاملـة وحقها في ممارسة دورها الطليعي ، كقوة نامية ومالكة لكل الطاقات لتحقيق المجتمع السـعيد .

ان للفكر وعليه ضريبة فادحة أشبه بالضريبة التي تحملها السيد المسيح وغيره من المبشرين بالمثل الانسانية النبيلة . ومن المؤسف أن عددا من الادباء عندنا لا يعترفون بشرعية هذه الضريبة المقدسة . وذلك لانها تحتـاج ليس الى الشجاعة الفائقة حسب ، وانما الى الاستعداد للتحدي ومقاتلة الباطـل والتضحية من أجل الآخرين . لقد طرد الفيلسوف الانكليزي برتراند رسل من جامعة كامبردج وفقد مقعده في مجلس اللوردات وجرد من لقبه وسـيق الى السـجن أكثر من مرة لاخلاصه الفكري .

وأرى أن السبب الذي يدفع بنا الى التردد عن اتخاذ مثل هذه المواقف الأدبية هو اننا لم نزل أسرى للثقافة البرجوازية .

واننا لم نستطع الخروج من دائرة السحر الاسود للرومانتيكيـة التي جاءت ــ في الاصل ــ من اجل الاحتجاج على حركة التصنيع ورفض احترام العلوم التطبيقية عن طريق المحافظة على شرف العلوم والفنون النظرية .

الا ان الشعوب كانت تجد دائما وفي كل العصور من يقف الى جانبها

ويشد من عضدها . فقد اعتبر المفكر الكبير (بيكون) الفنون اليدويـة أو الآلية « أثمن غصن في شجرة المعرفة والفلسفة الحقة » .. ويرى الكـاتب (كافكا) ان التأصل في العالم يأتي عن طريق الاخاء بين الناس بواسطة العمل اليدوي .. ويقول « العمل الذهني ينتزع الانسان من الجماعة الانسانية. أما الصنعة فهي تقوده على العكس نحو بقية البشر » .. وعندما سئل هل ترغب بترك وظيفتك من أجل ذلك ؟ أجاب .. « أترك كل شيء من أجـل الاحساس بأمان وجمال الحيـاة الخصبة الغنية بسعانيها .. » ومعنى ذلك سحب البردة الخضراء عن «العزلة» التي كانت احدى الصفات الاساسـية للفنان النظري . وعليه لا بد لنا من الامتزاج بالمجتمـع والنقل عنه . لأن التعلق بالتوحد ــ حرصا على حيوية الذات ــ قد يعرضنا في النهـاية الى الجفاف وعدم القـدرة على الاستجابة الاصيلـة لمتطلبات مرحلتنا الثورية الحاضـرة ..

ص ٣٨ ــ العدد ٩٣ ، ٦ أيار ١٩٧٠.

استـلام : تسلم ــ واستعماله شـائع .

الرواد في شعرنا الحديث

سألني أحد المولعين بحب الشعر الحديث : لماذا لم نسمع رأيك فيما يدور من حوار حول التطورات الجديدة في مسار حركة الشعر العراقي •• وقد أجبته مازحا : لانني من جيل ـ الخمسينات ـ ولانني أيضا لا أريد أن أتهم بالمعارضة أو أية صفة أخرى توحي بعدم تقبل لهذه القفزة الرائعة في نتاجات الشعراء الشباب • فأنا شخصيا قد أصبحت أميل دون تحفظ الى تشجيع هؤلاء بل والاندماج الكلي ضمن كل ما يتطلعون اليه من تطور وتجديد • فلقد خلقت ضد (المحافظة) في كل شيء وخاصة في الشعر ••

ولكن هذا لن يمنعني من تقديم صورة صغيرة وتقريبية الى حد ما عن الجيل الرائد •• جيل التشرد والعذاب والتمرد على كل قديم !

لا شك أن ـ عهدنا ـ كان يمثل أضخم وأطول انحناءة في جادة الشعر العراقي المعاصر •

فلقد ولدنا فوق حطام الحرب العالمية الاولى بين مشاعر الضياع والتمزق والاستهزاء من كافة التقاليد والقيم الموروثة •• ولم نكد نفترق عن نفوسنا وتتعرف الى كتاب (الجوع) لهامسن حتى استقبلتنا الغيوم مع طلائع الحرب العالمية الثانية •• وكان التراث الذي وضع بين أصابعنا هو عصارة تافهة ويابسة لفترة مظلمة طويلة تمتد من لحظة الكسوف التي بدأت تغطي أنوار الدولة العباسية الى اليوم الاول من ثورة العشرين • ولم نعثر خلال توغلنا الذي وصل الى زمن المعلقات على أي شيء خارق • فالمتنبي والبحتري وابن الرومي أشكال متشابهة لا تصلح كنموذج أو عتبة نقفز من فوقها الى داخل غرف ذات زخارف أو مناخ طازج •• وعلى الرغم من

استمرارنا في البداية على النهج العمودي القديم فقد فجرنا الكثير من أعماقنا لحقن تلك الجثة الباردة بشيء من الحرارة .

لقد كنا نسبح في نهرين متعرجين وفي وقت واحد . فنحن نعاني من النقص الهائل في وسائل التعبير . فالقوالب الجاهزة والكلمات القاموسية وسلطنة القافية الواحدة تحد من انطلاقاتنا الابداعية الخاصة للابتكار .. وتعرض من الجهة الاخرى لسيل جارف من الموجبات والمواضيع التي كان يزخر بها المجتمع العراقي في الاربعينات .. وكانت الاشباح العلاقة للرصافي والزهاوي والجواهري تدفعنا الى المزيد من الركض للبحث عن أفكار وأدوات جديدة . حتى وصل بنا التحدي الى الثورة والخروج على الاسلوب الاكاديمي .. فقد وقفنا أمام حائط صلد شيد من قبل مئات الشعراء والنقاد القدامى .. فنهضنا سوية وبوقت واحد لتوجيه الفؤوس نحو الطابوق الاسود . أما ما يقال من أن المتسرد الاول هو السياب أو عبدالوهاب أو نازك فشيء يدل على الغفلة والغباء . لان بذور حركتنا كانت تنمو منذ عهد بعيد ولو انها ولدت على أيدينا . وأعتقد أن سبب التعلق أو الفوز بلقب ــ الريادة ــ هو المنافسة العنيفة التي كانت قائمة بيننا على الرغم من كل عواطفنا وعلاقاتنا الصداقية .

ولقد ساعدتنا رياح الجدة الواردة من الادب الاوربي على رفع الانقاض من مفترق الطرق ، والسير في دروب مفتوحة . فاستطعنا أن نقدم لنهضتنا الشعرية بحرا واسعا وعميقا لم يزل يشرب منه الشعراء الى اليوم . وحتى هذه اللحظة لم تتوقف عن الغوص والاكتشاف . فنحن الذين خلقنا التجمعات الادبية في مقهى العجمي والزهاوي وكافيه سويس والبرازيلية وفي معهد الفنون الجميلة وكازينو (واق واق) .. وعلى أصابعنا حصلت التفعيلة على حريتها الجديدة وبواسطتها انتقل الشعر العراقي الى اللغة الفرنسية والروسية والانكليزية .. لقد كنا نركض في كل اتجاه ونذهب الى كل مكان .

نعاشر الرسامين ونكتب عن معارضهم . وكان للفنان جواد سليم أثره العميق في بلورة محاولاتنا الاولى في التجديد . كما كنا نصادق كل من له علاقة بالموسيقى كفريد ومنيرالله ويردي .. ولم نتعب من ارتياد الحفلات الموسيقية والفنية والنقاش الذي لم يكن لينقطع أبدا .

كنا نكتب ونقرأ الشعر في الباصات والحانات وفي الشوارع . لقد كنا قافلة مدججة بالقريض . يوم لم يكن لادونيس أو صلاح عبدالصبور أي وجود على لوحة الشعر الحديث . وأنا بالذات لا أحتكر لنفسي أي موقع خاص لانني لم أعد أؤمن بالامتياز الفني .. ولذلك أنصح أصدقائي من الشعراء الشباب أن يتركوا عملية الاختزال لجيلنا لاننا - في الواقع - أكبر من أن نبلع دفعة واحدة . واذا كان لا بد من أكلنا ! فيجب أن تؤكل على مهل وباعتناء أيضا !.

ص ٣٨ - العدد ٩٤ ، السنة الثانية ١٣ أيار ١٩٧٠ .
طازج من العامية والدخيل .
المقالة شاهد على الصراع بين الأجيال ، جيل حسين مردان والجيل التالي، وقد حاول أن يقف موقف الحكيم .

الغموض في الشعر الحديث

لقد ثبت لي أن العقدة الشيطانية في الشعر الحديث لم تنبثق من الخروج على القافية الواحدة وتقطيع التفاعيل • ولم تأت من تحول النغم الموسيقي من الخارج الى الداخل •ولا من معاملة الكلمة والنظر اليها بطريقة جديدة • ولم تظهر كذلك من الترابط العضوي بين الصور الشعرية والتي كانت شبه مستقلة في الشعر العمودي • هذا مع تجاوزنا للاسلوب الخطابي وفخامة الالفاظ والاعتياد على التلقي المباشر •• وذلك لان القارىء العربي لم يعلن نفوره بصراحة الا من ناحية الغموض ! فقط • ذلك الغموض يسربل بعض القصائد الى حد يبعث على الاشمئزاز ••! ويجب أن نعترف أن القارىء المثقف لم يتعب أبدا من بذل محاولاته الجادة والعنيدة في تمزيق ورفع الكتان الاصفر بحثا عن جسم المومياء ليحظى بقليل من الفرح •• فرح اللقاء بشيء ما •• ولكن ماذا سيحدث عندما لم يجد بين يديه غير حفنة من الفراشات السوداء تطير عبر ليل أسود !

لقد كان الغموض في شعرنا القديم يتركز ضمن اطار واحد فقط ، هو عدم فهمنا للمعنى القاموسي الذي تحمله الكلمة • وقد حلت هذه المشكـ بالنسبة للقراء بواسطة الشروح والتفاسير الضافية التي ترفق عـاد القصيدة •••

ولكن الحالة تختلف تماما فيما يخص الغموض الموجود . ـعر المعاصر • ويعتقد القارىء ـ بقناعة ـ ان العلة تكمن في الشاعر الحديث نفسه • في عدم قدرته على التعبير والايصال • فهو أما في حالة انخفاض أو في حالة ارتفاع عن مستوى الذوق العام • ويذهب بعضهم الى أن أكثر الشعراء الذين يمارسون هذا النوع من الشعر الحر لا يفكرون بالانسان

ولا يحترمونه على الرغم من وجوده الدائم فوق السنتهم •• ولعل السبب هو في خوفهم ـ غير الاصيل ـ من السقوط قرب القارىء الاعتيادي وملامسته • والذي قد يؤدي ـ من وجهة نظرهم ـ الى التبسيط الذي هو آفة الابداع •• وبالمقابل يرفض القارىء مثل هذا الموقف لانه يكون ـ تهمة ـ ضده ، تهمة ذات شعبتين هما الجهل والغباء ••!

والواقع ان الغموض « كقضية » قد طرحت على طاولة العمليات من قبل المنظرين والنقاد في الأدب الغربي ونوقشت بعمق وإسهاب • ومع ذلك فلم يتوصلوا الى الادانة أو الاعتراف • ادانة الغموض أو الاعتراف به كعنصر من عناصر الخلق الفني •• الا أن الجميع قد استجابوا وبلا تحفظ الى أهمية العمق في الشعر •• والعمق نفسه يكون مشكلة أخرى على درجة عالية من التعقيد أيضا • وسنحاول تفسيره في مقال خاص • وبما انه شقيق للغموض فلا بد لنا أن نصفه ولو بعبارة موجزة : ونستطيع أن نقول ان العمق هو كثافة الصورة الشعرية ووضع المعنى في نهاية خط حلزوني ! لندفع بالقارىء الى شيء من ممارسة التفكير من جهة • ولكي نتخلص من الوضوح الساذج الذي يرافق دائما التعبير بطريقة مستقيمة •• وهنا يجب أن نكون في غاية الحذر من الاستسلام للاغراب • اذ لا توجد بين الغموض والعمق غير شعرة رفيعة جدا • وهذا هو مصدر الخطر بالنسبة للشاعر العربي الذي تحول رأسه الى مخزن هائل للنظريات والمدارس الادبية والفنية الواردة من الخارج •• وأرى ان الشيء الوحيد الذي ينقذنا من الغرق هو التشبث بما حولنا ، بجذورنا السليمة لكي لا نقع في دوامة النقل والتقليد •• فالرمز مثلا : يختلف من مكان الى آخر • فهو في السريالية أداة كشف أو ربط لعالمنا الداخلي • وفي المدرسة الرمزية يعتبر من وسائل التجسيل والايحاء •

ومع ايماننا بعالمية الرموز ، فان من الافضل أن نلتفت الى رموزنا المحلية لنعطي لشعرنا نكهته الخاصة . ولنضع ذهن القارىء على وسادة يعرفها جيدا . كذلك يجب أن نعرف كيف ننتقل به من الخارج الى العالم الباطني . على أن يتم هذا الانتقال تدريجيا ، وبسكائن حديثة ولكنها ليست ـ نفاثة ـ وبذلك وحده نخفف طبقات الغموض الذي يوشك أن يصبح صنعة بحد ذاته .

ص ٣٨ ـ العدد ٩٨ ، ١٠ حزيران ١٩٧٠ .
هل عالج « العمق » في مقال خاص ؟

مكتوب لم يرسل

وبعد ...

لقد أطارت رسالتك جميع أغلفة التوابيت المكدسة في داخلي! فانطلقت أشباح الموتى تمزق صمتها البارد وتدفع بأصابعها نحو بلعومي الغارق بالدخان .. لقد أيقظتني من سباتي ، فماذا ستجد عند رجل لا يملك الا حزنه .. لقد غزت كلماتك جراحي الخفية فسال الدم من كل شلو . وتناولت القلم لأشق به أنف خوفي المرتعش .. وأرسم وجهك العزيز فوق أجنحة الطائرات .. ولكنني لم أفعل لانني أدركت في اللحظة الاخيرة ان صوتي سوف لن يزلزل الافق وان غضبي لن يجرح سوى قلبي .. لقد قلت لك أكثر من مرة انني لن أكون مجرد موجة في بحر ! وانني سأظل العاصفة التي تحرك الموج . وانك لتشبهني من هذه الناحية حيث تمسك بيدك المباركة سوط إسرافيل ، فأنت مرغم على إنزال المطر فوق كل شفة يابسة .. ولكننا سنبقى في العلاء الى الابد .. تأكلنا الوحدة ونرضع من لبن السأم الرباني .. ولعل الشيء المحزن حقا هو أن هؤلاء الصغار ليس لديهم الجرأة على اقتحام المدى الذي نعيش فيه لنهم ما نعانيه عندما نحول خيوط أفئدتنا الى درقة تمنع وهج الصواعق من الوصول الى عيونهم المعبودة .. وانه لمنطق لا أحتمله أحيانا .. لأنه يمنعني من التمرد ويسمرني باستمرار الى صليب من خشب عتيق . أنا أعرف انهم يملكون قوة القدر وانهم يستطيعون التصرف بخلودي ! ولكن أليس من الحماقة أن يؤمن مثلي بحياة الاشباح .. انها لمصيبة فعلا .. واننا لنساهم في تغذيتها عن وعي وبحماس على الرغم من العقم الذي نجده بين أيدينا في كل صباح .. تلك هي مأساة الفنان الخاصة التي تنبثق منها جميع عذاباته الغليظة ..

لكنني على ثقة من المستقبل لان رياح الثورة العربية بدأت تقلب الموازين القديمة .. وقد ظهرت في العراق النظرة الصحيحة في الفن . تلك النظرة التي ستبدل القيم البرجوازية المرتفعة في حركة الأدب الحديث ..

لا لن أفلسف القضية أكثر من هذا ، لانك تفهم حبي للعالم ، ولو انك تحدق نحو المشكلة بشكل آخر ، وتجس كل جانب من جوانبها متناسيا بعدها الرابع ، وهو المهم بالنسبة لفكرتنا عن التاريخ ..

على كل حال أنا أعرف متى سينتهي الاوكسجين .. وأعلم كذلك أن كرتنا الارضية لن تعمر الى الابد . واذا ما انتقلت الحياة الى كوكب آخر فلن تكون هناك أية ذكرى لاي اسم .. ومن هنا مصدر كراهيتي لكل دقيقة لا أخترع فيها لذة جديدة ...

ص ٣٨ ـ العدد ١٥٥ ، ٢٨ تموز ١٩٧١ .
في المقالة أمثلة من استعاراته . وبدت كلمة « شـلو » غريبة عليه .
سوف لن : لن .

ابو تمام شاعر له اكثر من وجه

التراث العربي غابة متشابكة وكثيفة ، لم يسلط عليها من الضوء ما يكفي لرؤية كل ما في أعماقها من ينابيع وفواكه نادرة . وقد فشلت معظم المحاولات الفردية للوصول الى مواطن الكنوز والكشف عنها . وعلى الرغم من أن بعض المنقبين قد مكث وعاش هناك مدة طويلة . فالشاعر عمر بن ربيعة – مثلا – موجود في كافة المكتبات العربية بكل ملامحه وسماته القديسة ، وهو وان مر بمختلف المطابع الحديثة وعرض داخل أغلفة مغرية وورق مصقول ، فقد ظل يحتفظ بشكله العام الذي كان عليه قبل مئات السنين . بحيث أصبحنا لا نستطيع أن نتعرف عليه ونتحدث معه بأسلوب معاصر ..

وينطبق هذا المثل على الكثير من الشخصيات الفكرية والادبية التي يغص بها تاريخنا الطويل . وتزداد – من هذا المنطلق – صعوبة التفاهم مع الشعراء ، ومع أبي تمام بصورة خاصة ، لأن قراءة هذا الشاعر واستيعابه كما هو في حالته الحاضرة يتطلب وقتا وجهدا يجعل الناس وحتى المثقفين وعشاق الشعر يتهربون من مواجهته والجلوس معه .. فقد كان أبو تمام مولعا بتغليف أفكاره وصوره بطبقة ثخينة من الصنعة التي تصل الى درجة التكلف . ومع ان عددا كبيرا من الشعراء المجددين قد سبق مجيء أبي تمام مثل بشار بن برد وعلي بن الجهم وأبي نواس وأبي العتاهية وديك الجن الا انه تميز بأنه أبرز المخترعين في مجال اللغة وغسس المعاني . ولكنه مع ذلك لا يخلو من مهارة مدهشة في الاستنباط والتوليد على الرغم من طريقته المعقدة في الصياغة والتركيب . ولو أجريت له عملية تجميل ناجحة من ناحية النقد الحديث لاصبح نديما لا يسكن الاستغناء عنه . فلو فرضنا

أن أبا تمام قد نظم مائة قصيدة ، فان الاختيار لا يسجل غير خمس قصائد فقط ، مع عدد قليل من الابيات المفـردة . أما الباقي فليس من الشـعر في شيء ، كما انه لا يصلح ولا يصح عرضه بالنسبة لهذا العصر . ولا شك ان عملية الجرد هذه ستظهر فن أبي تمام وعبقريته بوضوح يتفق مع أسـلوب جيلنا في التذوق والتفكير . وخير دليـل على صحة هـذا الرأي ما فعلـه أبو تمام نفسه في (ديوان الحماسة) فمثل هذه الغربلة الدقيقة للتراث تضع بين يدي القراء خلاصة ناضجة ومركزة لتلك الملايين الهائلة من الكلمات والقوالب التي لم تعد لها أية علاقة عضوية بمجتمعنا الجديد .

بالاضافة الى ان الصورة الجديدة التي نحصل عليها للشاعر بعد حلاقته ستكون قريبة من تعاطفنا فلا تهمل من قبلنا كما هو اليوم موقف أكثرنا من التراث بصورة عامة .. على أن لا يفوتنا في نفس الوقت تحليل طبيعة العصر الذي عاش فيه هذا الشاعر والجذور الخفية لدوافعه والموجبات التي رسمت شكله وطريقه . فأبو تمام بالذات له عدة وجوه مختلفة . ولكل وجه جهة معينة فهو مع السلطة وضدها . أي انه معارض ولكنه لا يجـد من القـوة ما يجعله يكشف عن هويته الثورية . وهو أثقف شعراء عصره ولكنه يتعامل مع اللغة باحترام محافظ . وتنقية هذه التناقضات وفرزها هو الذي يكشف لنا شخصية أبي تمام الحقيقية .

ص ٣٨ ـ العدد ١٧٥ ، ١٥ كانون الاول ١٩٧١ .
ثخينة من العاميـة الفصيحة .

مذكرات حسين مردان

المحاكمة الاولى

نشرت قبل سنة تقريبا عددا من المقالات عن المقاهي الأدبية في بغداد كجزء من مذكراتي الخاصة •• واليوم أعود لاكتب شيئا عن محاكماتي السياسية والادبية •• استجابة لرجاء أصدقائي في تسجيل أحداث حياتي لما لها من علاقة مباشرة بحركة تطور الأدب العراقي الحديث •

وأود أن أعترف هنا ، وبكل اخلاص ، انني لا أنظر الى نفسي كانسان ممتاز أو متفوق لانني أحمل لقب شاعر أو كاتب ، وانما أنا أنظر الى نفسي كمواطن اعتيادي شاءت له الايام أن ينظم عدة قصائد ومجموعة من المقالات ثم ينسحب بهدوء ليعود الى الرصيف محاولا نسيان ماضيه الفني لعله يجد قليلا من راحة القلب بين رفاقه من الناس البسطاء •

في عام ١٩٤٨ وهو العام الذي قبلت فيه السكاير فمي لاول مرة ، نهض الشعب العراقي ليرج الارض تحت أقدام الطغاة ليشطب على معاهدة « بورتسموث » بالدم ، وعندما اشتركت بالمظاهرات التي كانت تهدر في شوارع مدينة « بعقوبة » لم يكن يشدني في ذلك الوقت أي خيط عملي بأي شكل من أشكال السياسة • وكان معظم أهالي مدينتي يعتقدون بأنني نصف مخبول • فقد كان شعري الطويل الذي يشبه شعور الهيبيين اليوم محل نقمة وسخرية من قبل الكبار والصغار على السواء • ولست أدري ما الذي جعل بعضهم يطلب إلي أن ألقي كلمة في المتظاهرين • ربما لانه لم يكن بين الجموع من يوحي منظره بقدرته على القاء خطاب مناسب •ولكن خيل لي في تلك اللحظات المنعشة بالنسبة لاعصابي الباردة ، أنهم يريدون تجربة هذا المجنون الذي يدعي العبقرية ! وقد برهنت على جنوني فعلا ،

فمضيت أزرع الفضاء بجمل نارية لا ينطق بها الا من كان يحلم بشرف التفاف الحبل حول عنقه ... وهكذا أصبحت الخطيب الاول لمظاهرة ذلك اليوم . وأذكر أني لم أشعر بالخوف أبدا . وذلك لانني لم أكن أعرف المليون معنى للحياة . ولقد بقيت جاهلا قيمة العمل الذي قمت به حتى بعد مجيء الشرطة الى بيتنا والقاء القبض علي . ولقد تحيرت في الاجابة عندما سألني المفوض عن المكان الذي أضع فيه «المنشورات» لانه لم يسبق لي سماع مثل هذه الكلمة مطلقا . والشيء الوحيد الذي كنت متأكدا من معرفته هو كراهيتي للنازية ، واعجابي الكبير بتمثال (لينين) الذي كان يجلس في رازونة غرفتي . مع انني لم أقرأ له حرفا واحدا . ولقد ظل هذا التمثال المصنوع من الجبس يحتل مكانه من خيالي الى ان التقيت بصاحبه الحقيقي في ضريحه الاحمر أمام قصر الكرملين في سنة ١٩٦٢ .. ومن يدري ! فلو انني امتنعت عن الخطابة حينذاك لما مثلت أدباء العراق في أضخم مؤتمر عرفته البشرية ، وهو مؤتمر نزع السلاح العالمي في موسكو . ولما لامست القيود الحديدية معصمي ولما تعودت على رنينها بعد ذلك .

وبعد مدة لا أستطيع تقديرها ، لأنني لم أكن أهتم بالتاريخ في تلك الايام ، أرسلت مخفورا مع شابين هما محمود وحسن الى العاصمة . ولم أشعر بالخطر الا في الوقت الذي رأيت نفسي فيه في قاعة المجلس العرفي العسكري في معسكر الوشاش . وأمام قائمة من الاتهامات العجيبة قررت تحويل لساني الى هيئة دفاع بعد أن أعطتني الطريقة التي تطرح فيها الاسئلة قناعة تامة بذكائي وبمقدرتي على المحافظة على حريتي . فكنت أبتسم كالطفل وأنا أصف تلك التهم بالبطلان . وفجأة وجدت جسدي وحيدا في شارع الرشيد ..

ص ٢١ ، العدد ١٨١ ، ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٢ .
رازونة من العامي الدخيل .

مذكرات حسين مردان
المحاكمة الثانية

بعد محاكمتي الاولى في عام ١٩٤٨ بدأت انتبه الى حركة الموج من حولي • والى ما يلقى قربي من أحاديث ونقد لنظام الحكم ، وكنت أطرب لذلك • ولكنني لم أفكر بالاشتراك في « قلب الحكومة » • فقد كنت مهتما في ذلك الوقت بجسدي وحده • وكان عذابي الداخلي يمنعني من التحديق في هموم الآخرين • حيث كانت أحلامي تنبت في أرض أخرى • الا أنني لم أعد بمعزل عن الحقد •

بعد أن اكتشفت شكل الضفة التي يقف عليها العدو ، ونوع المعطف الذي يتدثر به ، والاسلحة الدنيئة التي يستعملها لتعميم السكوت ، باسم المحافظة على السكينة والاستقرار ، وعدم تعكير صفو الامن ، الامن الذي يرتع فيه رجال الحكم ومن يتعلق بأحذيتهم المصقولة ! هذه الحقيقةالبسيطة هي التي نثرت مسحوق الكبريت فوق آبار الحرمان الملتهبة التي كانت تملأ وجودي • ومن المؤسف انني لم أكن مزودا بثقافة سياسية تؤهلني لعبور نهر القلق ، والانحياز الى الصف المحارب • ومع ذلك فقد كان احساسي العميق بالظلم ، وهو احساس طبقي ، يتسرب من خلال شعري الصاعق في تعابير وصور ماحقة لكل القيم والمفاهيم الاخلاقية التي كانت تعتمد عليها البرجوازية الحاكمة وغلاة المفكرين الرجعيين ، ليظل المجتمع يلوب بين دفتي الجهل والتأخر •

وعندما صدر ديواني الشعري الاول « قصائد عارية » في أواخر عام ١٩٤٩ وكان أشبه بالزوبعة في التحدي والتمرد ، وجدت السلطة فيه السوط

الذي يحفر على جبيني ظل اللعنة . فأمرت بمصادرة الديوان من الاسواق وتقديمي الى القضاء بتهمة افساد أفكار الشباب . وقد ساعدت الصحافة العميلة المرتبطة بالبلاط وأجهزة القمع على اثارة الرأي العام ضدي . وأذكر أن صحيفة معينة قد طالبت باعدامي في « ساحة الميدان » وبحرق كتابي علنا في الشوارع . ولم أتزعزع . بل واصلت طريقي في زراعة الإبر ورفع علم العصيان . وكنت حينذاك أعمل مع صديقي الشاعر بلند الحيدري في تحرير مجلة الزراعة .

وفي صباح يوم غائم شاهدت مفرزة من الشرطة تتجه نحو الباب الرئيسي للمديرية . فهبطت مسرعا الى الطابق الارضي ، فالتقيت بهم في الرواق الضيق الذي يتصل بالسلم . فسألني المعاون عن السيد « حسين مردان » ! فأشرت الى احدى الغرف وانطلقت . وبعد أن قمت بدورة طويلة في أزقة بغداد الخلفية ركبت القطار الى (بعقوبة) وهناك استقبلتني أمي بزخة من الشتائم ثم رفعت محراث التنور ونزلت به فوق وجهي . لقد أصبح العالم كله ضدي ! ليكن .. وتحفز النمر في أعصابي . وقررت عندئذ تأديب الدولة والمجتمع معا . وعدت لمواجهة القضاة ، ولكي أجعل من جلسات المحكمة منبرا للدفاع عن حرية الفكر . وقد كانت أجوبتي أثناء المحاكمة أكثر حدة من قصائدي . ولولا وساطة صديقي الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري لقذف بي الى السجن . فعلى الرغم من وقوف الهيئة الادبية التي قررت تشكيلها المحكمة بجانبي ، كان الحاكم مصرا على اصدار حكمه بالسجن .

وقبل أن يصدر قرار الافراج عني ، نشرت قصيدتي «اللحن الأسود» وهكذا عدت الى السجن من جديد وبدأت محاكمتي الثالثة .

ص ٢١ ــ العدد ١٨٢ ، ٩ شباط ١٩٧٢

من تعبيراته الخاصة : يتعلق بأحذيتهم المصقولة .

مذكرات حسين مردان
المحاكمة الثالثة

اذا كانت المحاكمة الاولى قد طشت بذور الحقد في قلبي •• فان المحاكمة الثانية قد فجرت الغضب في دمي •• فأخذ الجنس في قصيدتي الطويلة « اللحن الاسود » صفة جديدة •• فلم تعد المرأة البغي محراب متعة أو لذة خالصة •• بل تحولت الى رمز لنقد النظام الاجتماعي القائم الذي كان يدفع بمثل هذا الكائن الجميل الى احتراف مهنة الفسق لاجل الحصول على الخبز •• وهكذا انقلبت بائعة اللحم الانساني الى شهيدة وضحية •• وشيئا فشيئا صارت مصدر ثأر وانتقام في شعري •

يستحقرونك يا بغي وانهم لأشد منك حقارة فتمردي
كم يدعي الشرف المقدس عصبة العار في أعصابهم لم يبرد
سموك عاهرة ولو عقلوا لما نادوك إلا بالملاك المجهد

وقد كان هذا التحول في مسار شعري الجنسي هو بداية التحرك من السلب الى الايجاب •• وهو تحول ذاتي ، لم يرتبط تماما بالضغط الشديد الذي كنت أتعرض له من قبل الحركة الوطنية التي كانت في الأوج بعد أن سجلت نصرها الحاسم باسقاط حكومة « صالح جبر ـ بيفن » •• ولقد شعر جهاز المراقبة لدى السلطة بأن « الشيطان الصغير » قد بدأ يميل تدريجيا الى الجبهة المناوئة • وهو دون شك يمثل علامة خطرة في الميدان الأدبي •• فلا بد من محاصرته وتوجيه فوهة البندقية نحوه قبل أن تنتفخ أوداجه بالحماس الوطني •• فانطلق البوليس يجمع الكراس الذي يحتوي على « لحني الأسود » من المكتبات • وعادت تهمة إفساد المجتمع إلي مرة ثانية !! وزج بي في «التوقيف» تمهيدا لارسالي الى « القفص الحديدي »

في محكمة أخرى •• ولعله لم يحدث لانسان قط أن يحاكم في يوم واحد من قبل محكمتين مختلفتين وبتهمة واحدة •• وكان ذلك يدل على تفسخ الجهاز الاداري وسريان الفساد في مسلك القضاء نفسه •• ولكن الشرفاء لم يفقدوا شجاعتهم أبدا •• فكانوا يعملون وهم في صميم العمل الحكومي على مساعدة الوطنيين وانقاذ كل صوت معارض يقدم للقصاص •• ومع اني لم أكن ثائرا حقيقيا ، من حيث المفهوم السياسي أو العقائدي ، الا أنني لم أفقد عطف بعض المناضلين ••

فقد كانت جرأتي في مواجهة المقصلة وحيدا مثار دهشة واعجاب عدد من الساسة ورجال الادب •• وكان حاكمي بالذات هو أحد هؤلاء المعجبين، ويؤسفني اني لم أعد أذكر اسمه •• وقد استقبلني برقة متناهية . وعندما توجهت الى المكان الخاص (بالمتهمين) •• ابتسم بمودة ثم أعلن ان الجلسة ستكون سرية •• وطلب من الحضور (وكان معظمهم من الادباء والصحفيين) مغادرة القاعة •• وبعدها أشار الى الحاجب أن يغلق الباب ويقف في الخارج •• ثم نزل من كرسيه وتقدم لمصافحتي •• ومضى يتحدث عن حبه للشعر •• وقال انه يود الحصول على نسخة من ديواني ، لانه لم يستطع العثور عليه قبل مصادرته •• فوعدته بذلك •• ثم أخبرني انه سيؤجل المحاكمة الى أن يصدر قرار الحاكم الاول الذي كان يحاكمني على « قصائد عارية » •• وقد صدر القرار بالافراج •• مما جعل ادارة البوليس السري تعمل على الايقاع بي من جديد ••

وهيأت انتفاضة الجماهير في سنة ١٩٥٢ الفرصة للانتقام من الحركة الوطنية •• وقد شملني الطوفان وزج بي في معتقل « أبي غريب » الرهيب ، بانتظار محاكمتي الرابعة ••

ص ٢١ ، العدد ١٨٣ ، ١٦ شباط ١٩٧٢ .
طشت من العامي الذي له أصل في المعجم .

مذكرات حسين مردان
في المحاكمة الرابعة

في أواخر سنة ١٩٥٢ عاد التوهج الى عيون الناس من جديد • فقد كانت انتفاضة (آل ازيرج) المسلحة في جنوب العراق تشير الى أن « الحصان الاخضر والجالس عليه الموت والذي تتبعه الهاوية »[١] يقترب بسرعة من الطغمة الحاكمة • فانطلقت فصائل البوليس السري تنشر غيوم الارهاب في كل مكان • ولكن المد الثوري كان حينذاك قد وصل الى درجة الغليان ، وتحولت المظاهرات الى انتفاضة عامة • فقدم مصطفى العمري الذي كان رئيسا للوزراء استقالته ، بعد أن عجزت حكومته عن صد رياح الغضب الشامل • فاستلم السلطة نوري الدين محمود ، الذي أعلن الاحكام العرفية؛ لضبط العاصفة ووضعها وراء القضبان الحديدية •

وكنت في ذلك الوقت أعمل في جريدة الاهالي لسان حال الحزب الوطني الديمقراطي • وعلى الرغم من أن بعض الافكار التقدمية قد استقرت في رأسي ، الا أنني لم أصل الى حد المجازفة •• ولذلك استغربت ما قام به رجال الامن من تطويق للمقهى الذي كنت أجلس فيه • حيث كنت العب الشطرنج مع صديقي الكاتب المسرحي صفاء مصطفى • وفي نفس اللحظة التي قلت فيها (كش ملك) جاءني أحدهم وطلب مني أن أرافقه الى مركز الشرطة • وفي المساء حملتني سيارة السجن الى معتقل « ابي غريب » • وفي شارع الرشيد شاهدت الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد يتهادى على الرصيف• وكما هي عادتي في مثل هذه المواقف الحرجة استسلمت للمرح فصحت به « ولك وين رزاق » • ولمح وجهي خلف شباك السيم فأخذته الدهشة •

وفي القاووش الطويل الذي كان مربطا للخيول التقيت بالعشرات من

مختلف الاتجاهات السياسية . وكانت الفرش ممدودة على الجانبين. وتقرر وضعي بجانب كل من نعيم بدوي وحسين عبدالعال . وقد امتعضت في البداية لهذا الاسلوب من النوم الاشتراكي . ولكني وجدت نفسي وبعد أسبوع واحد منسجما مع هذه الحياة الجماعية . ولكني لم أترك عادة التحدث مع نفسي . وحدث مرة أثناء « النزهة المسائية » التي كان يسمح لنا خلالها بالتجوال داخل الاسلاك الشائكة ان غصت مع روحي في مناجاة طويلة ، بحيث نسيت الموعد الذي تغلق فيه باب المعتقل . فوجدت نفسي وحيدا . ولم أشعر أن الشمس قد انطفأت تماما . وقد رفض الحارس المسلح أن يسمح لي بالعودة الى السجن . ـ ويا لها من مفارقة ـ ثم ذهب أحد الجنود وعاد بصحبة الضابط المسؤول . وما كاد يقع نظره علي حتى هتف بانفعال ظاهر انه (أبو علي) . وأخذني بين أحضانه . فقد كان هذا الضابط من زملائي في المدرسة .

وبعد شهرين تقريبا جاء دوري للمثول أمام المجلس العرفي العسكري. وقد كانت لائحة الاتهام التي ألقاها ممثل الامن ضدي مثقلة برائحة الانتقام والايحاء بضرورة حبسي . ولما كانت الادلة المادية غير كافية لاداتني ، فقد قرر المجلس ربطي بكفالة شخص ضامن بمبلغ مائة دينار . وعند عدم وجود الكفيل ، فالسجن لمدة سنة . والغريب أن الانسان الوحيد الذي جاء لانقاذي كان من غلاة الرجعية في بغداد . ولكن الكفالة رفضت من قبل السلطات المسؤولة . وهكذا شحنت مع عدد من السجناء الى سجن الكوت. وهناك بدأ التحول العظيم في حياتي عندما التقيت مع أول كتاب للماركسية.

---

(١) سفر الرؤيا . الاصحاح السادس . الآية الثامنة .
ص ٢١ ، العدد ١٨٤ ، ٢٣ شباط ١٩٧٢ .
السيم والقاووش من العامي الدخيل . استعمل «الباب» مؤنثة ـ وهو مذكر ـ تأثرا بالعامية .

مذكرات حسين مردان
في المحاكمة الخامسة

لكل انسان أسراره الخاصة . وليس من السهل الكشف أو التحدث عما يوجد في ذلك الركن المستور بواسطة الكلمات المتفق على احترامها من قبل المجتمع ـ أي مجتمع ـ .. فالحرية ترتبط دائما وبصورة شبه ميكانيكية بحركة التطور الحضاري .. وكتابة المذكرات الشخصية ذات البعد الواحد .. لا تنضوي تحت راية المفهوم العام لحرية الفرد ضمن منطق العصر .. فمثل هذه الحرية تظل وعلى الرغم من كل مقوماتها المقبولة والجذابة ، ناقصة اذا لم يرافقها ارتفاع متساو في الذوق الانساني .. حيث ينتهي مثل هذا (الارتفاع) حتما الى تحرير اللغة من قيودها الاخرى.. وبما أن الذوق يلتصق جذريا بالمسيرة الاخلاقية لجماهير الشعب .. فهو فرصتها للظهور مع أي وضع اقتصادي متقدم تقتنع به الاكثرية .. وذلك باعتباره صفة مرادفة للوضع الجديد . ولكن السماح للعواطف (بالتداول) لا يعني زوال الحواجز القديمة ضد استعمال (الكلمات المحرمة كتابيا) والتي يؤدي النظر اليها (كنضائح) الى خمول قوة التوثب لدى الفكر . ومن ثم منعه من التصريح بأهم مكنوناته عن طريق العري اللغوي الذي يمثل الدافع الاساسي في اغناء اللغة وتجددها . ولهذا كله لا يمكن نقل الحادثة بكل أعضائها الحساسة الى القارىء . ولم يسلم من الخنوع لهذه المجاملة حتى اندريه جيد وجان جاك روسو وكولن ولسن وغيرهم من كتاب المذكرات الشجعان .

أقول هذا كتمهيد لا بد منه لكتابة بقية محاكماتي التي حدثت كنتائج لمغامرات فردية لا صلة لها بواقع الآخرين الا من ناحية التشابك الذاتي فقط.

لقد كانت مرحلة التجارب في حياتي الخصوصية قاسية وعنيفة ،ومرعبة

أيضا •• لانني كنت أعمل على ادخال أصابعي في كل حفرة وزاوية •• وقد اضطرني ذلك الى التوغل عميقا في أحشاء الليل •• فكنت أتسلح بنشاطي العصبي منذ المساء لاخوض في الخلجان والشواطيء السرية لحياة الظلام •

وفي ليلة ما •• وكانت الساعة الرابعة قبل شروق الشمس •• غادرت احدى البؤر المضيئة وأنا أشعر ان كل شعرة في رأسي قد سمنت وانتفخت من الكحول •• وكنت أغط في أحد أحلامي الهمجية عندما طرق سمعي صوت رجل يحث الخطو نحوي •• انه حارس ليلي • فنظرت اليه بحنان لاحساسي بأنه زميلي في السهر •• ولكنه صوب ماسورة بندقيته باتجاه صدري •• وصاح بلهجة آمرة ومتحدية ••• أيها اللص الخبيث • أيها السارق ! قد وقعت •• وأردف ، وقد بان الانتصار في عينيه المتعبتين ••• سر أمامي الى المركز • ولم يقتنع بما أدليت له من أسباب لوجودي في هذا الزقاق •• بل لقد ازداد تهورا وبرزت شراسته مما أثار غضبي •• ولما كنت خبيرا بمعالجة مثل هذه المواقف الصعبة في تلك الفترة (الغضنفرية) من حياتي •• فقد قمت بحركة التفاف سريعة فصرت بجانبه •• وبحركة أخرى كانت البندقية بين يدي •• وهنا انطلق ينفخ في صفارته بهوس •• ففقدت السيطرة على أعصابي •• واندفعت اليه •• وكانت معركة انتهت بتحطيم البندقية •• وتجمع حولي عدد من الخفراء ورجال الشرطة ، فذهبوا بي الى التوقيف•• وفي الصباح حضر صديقي الشاعر بلند الحيدري ، وتكفل حضوري أمام محكمة الجزاء •• وقد جاء للدفاع عني صاحبي المحامي عبدالمجيد الونداوي ••• وبعد الاستماع الى الشهود أصدر الحاكم قراره بالافراج عني وتغريمي أجرة تصليح البندقية •• وقد دفع المبلغ بعد حين •• الموسيقار منيرالله ويردي ••

ص ٢١ • العدد ١٨٥ ، ٢١ آذار ١٩٧٢ .
من تعبيراته الخاصة : كل شعرة في راسي قد سمنت .

مذكرات حسين مردان
في المحاكمة السادسة

كانت منطقة «الميدان» في سنة ١٩٤٧ أشبه بحي «سوهو» في لندن .. ففي النهار كانت المقاهي والمطاعم الشعبية تغص بالمتعطلين وأنصاف السكارى والمشردين .. وعلى الارصفة الرصاصية يتربع مئات من العجزة والمشعوذين من قراء الكف وحاسبي النجوم .. أما في الاسواق والازقة الفرعية الضيقة . حيث يعلو ضجيج الباعة المتجولين وتجار الالبسة المستعملة..فهناك يلبد الملثمون من مهربي الحشيشة وأساتذة النشل .. وكل أنواع المرتزقة وطوائف الشحاذين .

وفي المساء يأخذ كل شيء لونه من البهجة واللمعان .. فيتسرب الى المسارب والحانات المطلة على شارع الرشيد طلاب اللهو ولصوص اللذة المحرمة .. وكانت موائد الخمر تمثل الخطوة الاولى للولوج في عالم الليل .. وما فيه من مغريات .. ولم تكن توجد في تلك الايام ــ مناطق نفوذ ــ ... خاصة بالارستقراطيين ورجال المال .. ومن يلوذ بهم من المتشبهين .. كان لكل حانة روادها من الوجوه البارزة .. من صحفيين ومحامين وأدباء وشقاة .. أما انا فكنت أكره الارتباط بمكان واحد . فكنت أتنقل من بار الى آخر ... حتى يحين موعد الاختفاء داخل «البيوت الحزينة» .. وبعدها أنهي ليلتي بسيرة طويلة على ساحل دجلة منتظرا مجيء الفجر .

وغالبا ما تنتهي مثل هذه الليالي بقصيدة أو مشروع أدبي يموت بعد مناقشته مع أصدقائي من الشعراء .. ولقد كنت معروفا في تلك الاجواء

الحمراء كفارس ليل لا يشق له غبار .. وكانت تحيط بي دائما كوكبة من الادباء والمثقفين .. وكان لكل واحد من هؤلاء بيته وأهله ، الا أنا ..ولكني كنت خاويا ــ في ذلك الزمان ــ من الحنين الى الاستقرار .. ومكهربا بفكرة البحث عن مختلف التجارب الحسية المرعبة .. ولذلك كنت أسخر من الذين يفكرون بالراحة أو بالنوم .. بل كنت أكره حتى مطالعة الكتب. لانني كنت أعتقد عن يقين ان الاشتراك في معارك الحياة وسبر أغوار الدنيا ، خير مادة للابداع الشعري .

وكانت طريقتي في معاشرة بنات الليل لا تتعدى التعارف الجسدي ، ولمرة واحدة فقط .. ولقد التقيت بعدد هائل منهن .!! مائة .. خمسمائة.. ألف ..! أظن ان الرقم الحقيقي يتجاوز ذلك .. ومنذ ذلك اليوم أصبت بذلك الداء الوبيل ... داء الملل والهرب من أي جسم جميل أقوم بخدشه.

وحدث مرة ، ان التحم أحد أصدقائي بمعركة ــ لم أعرف سببها الى اليوم ــ مع نزلاء دار من تلك الدور السرية .. مما اضطرني للدخول في العراك للدفاع عن صاحبي .. وكان الصياح قد اخترق الجدران فأقبل رجال الشرطة .. وحاولت الفرار من هذه المصيدة .. ولكني لم أستطع.. وانتهى بنا المطاف في موقف شرطة السراي .. وبعد أن أطلق سراحي بكفالة قررت الهرب من بغداد .. الا أن زميلي منعني من ذلك . وأقنعني بحضور المحاكمة .. ولم أشعر بالخجل والعار في حياتي كلها .. كما شعرت بهما في ذلك اليوم .. وقد قدم لي الحاكم درسا طويلا في الاخلاق .. وهذا الموقف المهين هو الذي جعلني ابتعد كليا عن هذا النوع من المغامرات ..

ص ٢١ ، العدد ١٨٦ ، ٨ آذار ١٩٧٢ .
عالم الليل موضوع في حياته .

عبر مدن العالم - ١
الكويت

السفر هواية واكتشاف ، وتبديل وجوه ومناظر • وهو معرفة وحنين غريزي لتوسيع دائرة الرؤيا للانسان • وكذلك هو دواء للشفاء المؤقت من الملل ! ولكنه أيضا مرض لا علاج له • وعادة مخيفة لا يمكـــن الخلاص من سحرها الاسود الا بالمـــوت • ولست أدري متى أصبت بهـــذا الدوار الدائم ؟ وكل الذي أعرفه هو اني كنت مولعا منذ العاشرة من عمري، بالبحث عن المدهش والجديد • ولقد كلفني هذا الهوس الملعون الشيء الكثـــير • ولم أزل أعاني من هذا العطش المزمن للتنقل والتجوال • فقد أصبحت مدمن رحيل لا يجـــد متعته الا في عـــدم الاستقرار • بل لقد صرت أحلـــم بمدن العـــالم أكثر مما أحلم بمعانقة النساء •!والى الآن وأنا أحتفل بذكرى اليوم الذي لمست فيه جواز الســـفر لاول مرة •

فبعد ثورة ١٤ تموز وتأسيس اتحـــاد الادباء في العراق انفتحت أمامي أول نافذة على الخارج وكانت السفرة الاولى الى الكويت • فقد كنت ضمن أعضاء الوفد الادبي الذي مثل العراق في مؤتمر الادباء العرب الرابع الذي عقد هناك في عام ١٩٥٨ • وقد أثبتت لي رؤية الكويت عـــدم الاعتماد على الصورة الذهنية • فالواقع لا يمكن تجسيده بواسطة السماع أو الخيال • فاللوحة السابقة كانت مجرد تخطيط غير واضح ، لرمـــال وبيوت من اللبن وشوارع عارية تســـبح في شواظ لا يطاق ويبـــاب يباع الماء فيه بعلب من صفيح ! هذا هو الافق البدائي الذي كنت أحمله عن الكويت • ولكـــن الحقيقة كانت غير ذلك تماما •

فالخضرة تشع في الساحات والطرق الحديثة . ومعظم العمارات من المرمر والطابوق الملون . أما دور السكن فقد شيد بعضها على شكل السيارات . كاديلاك ومرسيدس وبيوك . حقا ان المال الكثير يوحي بأشياء غريبة !! وكانت الاسواق تغص بكل منتوجات العالم . من المكانس الكهربائية الى الحلاوة التي تصنع في مدينة « مسقط » .

ولكن واجهات المخازن الاوربية تذبل بعد المساء بقليل . فالليل في الكويت مر المذاق للسائح . وهذا هو الجانب الكئيب الذي يعكس عناد البداوة وشدة تمسكها ببعض العادات التي لا تنسجم مع مظاهر الحضارة وتطور العصر . فليس هناك أي مرقص أو ملهى أو ما يشبه ذلك من وسائل التسلية . وأقرب حانة الى سكان الكويت توجد في البصرة . والسبب ان نسبة كبيرة من الكويتيين الاصلاء يملكون زهرة الجليترا[1] التي تحول كل شيء تقع عليه الى ذهب .. والذهب يأتي بالعجب العجاب .. ويجلب عناقيد العنب في فصل الشتاء . ولقد حدث ذلك فعلا . ولكن ذلك لا يحجب جمال بعض المشاهد الطبيعية التي لا ترى الا في أماكن قليلة ، وخاصة في ميناء «الاحمدي» وأروعها منظر التقاء البحر بالصحراء . وذيول أكوام الرمل الاشقر على حوافي الاسفلت .

ولما كان للزمن حكمه الذي لا يرد . فسوف يرى المسافر في الغد القريب ، أن كؤوس البلور المترعة بالشراب وقد انتقلت من وراء شبابيك الالمنيوم الناصع البياض الى قارعة الطريق . وعندئذ فقط ستدخل الكويت في مهرجان دائم من الغناء والالوان .

---

(۱) ورد ذكر هذه الزهرة الخرافية في احدى قصص الكاتب الفرنسي جورج سمنون .

ص۲۱ ـ العدد ۱۸۷ ، ۱٥ آذار ۱۹۷۲ ـ هي حلقة أولى لم يرد لها رقم في الاصل ، وقد ذيله الكاتب باسم : حسين مردان .

عبر مدن العالم ـ ٢
القاهرة

بعد عودتي من الكويت مباشرة قررت الهيئة الادارية لاتحـاد الادباء في العراق انتدابي لحضور المؤتمر الآسيوي الافريقي للشباب الذي تقرر عقده في القاهرة ... وعندما اجتمعت بصديقي الاستاذ قاسم حسن ، عضو اللجنة العراقية الدائمة للتضامن الآسيوي الافريقي ، وأخبرته بأنني سأذهب الى مصر بواسطة السيارة !! ابتسم ساخرا وقال : وهكذا ستصل الى هناك بعد انتهاء المؤتمر .. وأردف محذراً.. ان تفكيرك الدائم بالموت لن ينقذك منه .. وأورد لي قصة ذلك الرجل الذي التقى بعزرائيل في مدينة سمرقند، فهرب الى طاشقند .. فوجد ملاك الموت بانتظاره .

ولكني لم أشعر بالخوف من ركوب الطائرة . فقد كنت مشغولا بوضع النقاط الرئيسية للبحث الذي سأقدمه للمؤتمر..ولقد كانت القاهرة بالنسبة لعيني مثل انفجار ضوء أخضر .. النيل والاشرعة البيضاء (والعوامات) الخشبية ، والنسيم الرطب فوق الجسور المستقيمة .. وفي حـدائق القناطر الخيرية رأيت « ولاول مرة » بعض الاشجار الاستوائية الغريبة ... ولقد لفت نظري ذلك الحزن الرصين الذي يطل من قسمات بعض الاطفال..وهنا ادركت احدى الصعوبات الاساسية التي تجابه الاقتصاد المصري .. ولكن الشعب الذي رفع ثلاثة ملايين صخرة ليقيم هرم الجيزة ، الذي هو أعظـم الغاز العالم القديم .. لن يعجز عن بلوغ ما يصبو اليه في المستقبل القريب.

ولقد دعيت مرة الى حفلـة خاصـة للسيدة أم كلثوم ، أقيمت في دار

الاوبـرا ، التي احترقت مؤخرا •• وكان برفقتي القاص لطفي الخـولي والمخرج المعروف حمدي غيث •• وفي تلك الليلة السعيدة ، اكتشـفت أن صوت هذه المطربة ، يستطيع أن يقلب البحر أو يرتفع به الى الفضاء •• أما المفاجأة التي هزت وجودي كله فهي تلك البسمة الخارقة على شفتي « أبي الهول » •• ولست أدري لماذا شعرت أنني لست سوى ذبابة صغيرة ، جاءت لتعكر صمت الابد الذي يلف هذا الكائن القديم •• وتذكرت قول أحـد العلماء الفرنسيين « ان أحد أسرار الكون المهمة يكمن تحت أبي الهول •• وتحت قاعـدة الهرم الاكبر » ••

وفي المتحف المصري ، وأمام المومياء ، عرفت معنى الخوف من الزمن•• خمسة آلاف سنة ، وما زال الصبغ الازرق يلمع فوق الجفون !! وخيل إلي أنني في حضرة الكاهنة (عائشة) داخل كهوف افريقيا الوسطى •• وتمنيت لو تعود الحياة الى واحدة من هذه الاجسام الرّشيقة الموغلة في الموت •• فقد امتد سـحر تلك العيون المستطيلة الباردة الى أحشائي ••• وعندما شاهدت قصور الملك السابق فاروق ، تجلت لي عظمة القرآن •• « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها » ••• وتتميز القاهرة بليل لا مثيل له •• فالمرح يطبع أصابعه على عدد لا يحصى من الاندية والمقاهي الرائعة •• وخاصـة مقهى « الفيشاوي » ••

كما انني قمت بجولات طويلة في الاحيـاء الشعبية المشهورة •• مثل حي الحسين ، وخان الخليلي ، وباب زويلة •• والى الآن ، وعسل القاهرة يسـيل تحت لسـاني ••

ص ٢١ ، العدد ١٨٨ ، ٢٢ آذار ١٩٧٢ .
هي حلقة ثانية في ـ سلة لم يرد لها رقم في الاصل .

عبر مدن العالم - ٣
تبريز

الفجر ينشر جناحه الازرق على سفوح جبال « أرارات » الاسطورية .. والندى الربيعي يربت على وجهي برقة . فهتفت بمرح طفولي أين أنا ؟. ان عمق المدى يسكب في روحي بهجة بهيمية ! وكأنني في بداية الحياة .. هنا ترقد سفينة نوح !! وابتسم صاحبي .. ثم انطلق يغني (كلي يا حلو منين الله جابك) ..

وانحدرت بنا السيارة نحو مرج أسمر يشبه جلد السلحفاة .. آه .. كيف يموت الانسان ويترك بعده مثل هذا العالم الرائع .!! والتفت نحو صديقي وقلت له هامسا .. لماذا لا نمكث هنا الى الابد .. ليتني أستطيع أن أختار المكان الذي أموت فيه .. وأخذ مطر الحزن يهبط في قلبي .. ان الفرح عصفور لا يعمر طويلا ... فرد رفيقي باقتضاب وهو يحدق في الطريق الحلزوني بحذر شديد .. وفلانة ! ألم تعد تجذبك الى بغداد ؟ وغص الوادي كله بضحكة عراقية .. ومر فوق أهدابي طيف غزالة بيضاء .. اللعنة .. ان الحب يبدل حقيقة وضع الاشياء .. ودفنت فمي في حقيبة الصمت .. ومضينا نرتفع تدريجيا نحو الذرى .. حتى خيل الينا أننا أصبحنا على مقربة من السماء .. أنظر ! ان الغيوم تسبح تحتنا ..انها ترش الماء في الاسفل ونحن مع الشمس .! يا لها من لحظات لا توصف .. ولكنها كانت تجلس بجانبي وتردد بخفوت .. وهل تستطيع الهرب مني؟. قف .. أريد أن أمسك بالثلج .. كان الهواء خفيفا منعشا كمنديل من

حرير •• وخط الافق المضاء يكاد يلامس سيكارتي •• وفي الشمال تلـوح سلسلة جبال القفقاس مغطاة بطبقة ثخينة من السحب الرمادية • وعند عودتنا الى السيارة عثرت على عدد من الاصداف البحرية • هل وصل الطوفان حقا الى هذا المكان ؟• أم ان هذه الهضبة كانت قبل ملايين السنين في قاع بحر اختفى من الوجـود •؟

وبعد مسيرة ساعتين وصلنا الى قرية صغيرة تبدو من بعيد وكأنها معلقة في الفضـاء • وعثرنا على مقهى داخل مغارة واسـعة محفورة في أعمـاق الصخر ••• فتناولنا الشاي والبيض المسلوق • ثم استأنفنا السير •• وقبل مجيء المساء بقليل ، اقتربنا من «تبريز» •• فصرخ رفيقي بانفعال : انهـا عاصمة اذربيجان الذهبية •• كانت التلال المنخفضة على جانبي الشارع أشبه بأكـوام الصوف الاخضر •• وانعطفنا الى اليمين ، فبرزت المدينة أمامنـا فجأة •• جميلة ومثيرة •• مثل امرأة فضائية مطروحة فوق حقل أسـمر •• كانت البيوت والعمارات ، وحتى الاشجار في مستوى متقارب من الارتفاع كأنما قصت من الاعلى بسكين •• ورحنا نتسكع هنا وهناك ، بحثنا عـن مطعم مناسب •• الى أن التقينا به •• ولقد دهشت لكل ما رأيت فيه••كان حجم كأس الماء من الضخامة بحيث لا يمكن حمله بيد واحدة !• كذلك كان شكل (الكباب) الذي قدم لنا •• فان طول الشيش يتجاوز طول مسـطرة الكتابة !• أما رغيف الخبز المرصع •• فشيء يلفت النظر !• فليس بالمستطاع الوصول الى طرفه الآخر الا اذا مد الانسان كل ذراعه !• ولكن الطامـة الكبرى كانت تنتظرنا في عيون النسـاء •• فعين المـرأة التبريزية واسعة ومستطيلة ، كأنها حوض مملوء بمـداد أسود •• ويمنحها بياض الوجـه الناصع ، جمال التناقض بين اللونين •• ولا بد للرجل من كثافة الحس •• مع مقدار من البـلادة كبير ، لكي ينجو بنفسه من جاذبيـة تلك الرموش

المغنطة بنوع غريب من السلطة والسحر ، وبقينا نخوض في أحشاء المدينة الى أن هدنا التعب ، ومع الضحى توجهنا الى ولاية قزوين ..

ص ٢١ ، العدد ١٩٠ ، ٥ نيسان ١٩٧٢ .

هي الحلقة الثالثة من السلسلة ، يرد فيها رقم للحلقات أول مرة .
وهو مثال على [illegible] النثري بشخصيته الخاصة وتعبيراته الأصيلة ذات الصور [illegible] السر [illegible] انه قطعة فنية لا تمت الى تقارير السياح بصلة . لقد استولت عليه [illegible] ة وطغى سلطان الطفولة وثار حرمان معتق بنشوة لم يحلم بها .

آراء ادبية
حركة الشعر الحديث الشابة

لقد امتاز الجيل الذي أعقب الحرب العالمية الاولى بفهمه العميق للتنظيم . وقد برهنت بعض الحركات الثورية على صحة هذا الاتجاه في الضبط والتوجيه ، فحققت انتصارات كبيرة ورائعة في ميدان السياسة والفكر . وقد انعكس كل ذلك في الادب العالمي وفي الشعر بصورة خاصة.

وعلى الرغم من نزوع أكثر المدارس والمذاهب الفنية حينذاك الى رفض العقل والاستهزاء بالواقع الخارجي للانسان . الا انها لم تستطع التخلص كليا من النظام في التعبير .

وحتى المدرسة الدادية ، وفي أوج تطرفها خضعت لنوع من هندسة الخطوط والكلمات . وقد حاولت السريالية الخروج على سلطة الوعي بمنح الكلمة حريتها الكاملة في الحركة .. فحصلت على نماذج أدبية في غاية البريق ، ولكنها لم تكن - أي هذه النماذج - ذات تأثير مهم من حيث نبش النار في أعماق المجتمع الاوربي ، وهكذا سقطت الحركة الادبية العالمية في بحران واسع من التخبط من أجل البحث عن أساليب تتفق مع أصوات الزلزال الثوري الذي بدأ يخترق طبقات الصخور ويهز القشرة الارضية . وقد ساعدت الحرب العالمية الثانية على فلق البحر الرأسمالي وبان القاع الخفي بكل ما فيه من رواسب وأسمال قذرة . وعند ذاك أخذ التململ العظيم يعلن عن نفسه . وأدرك كل انسان انه لن يبلغ ما يريد دون مساعدة الآخرين . وصار الالتصاق صفة الفعل الاساسية . بل ان الكتل الكبيرة نفسها لجأت الى التقارب من بعضها للالتحام وتكوين جبهات قوية وثقيلة لا يمكن زحزحتها وتفريقها بسهولة .

وهنا كان لا بد للشعر في كل مكان ان يمارس دوره في الغناء أثناء عملية الزحف العام المقدس • فارتفعت القصائد شلالات هائلة من الغضب المتوقد • وقد وصل صدى هذه الرجات الشعرية الى أرض المشرق العربي فوجد في الصحارى التي يحملها الشعراء العرب في نفوسهم حرارة ترحيب مطلق • فالارض العربية كانت ولم تزل مصابة بالحمى ، فكل جمرة جديدة تجد لها مكانا لمواصلة الالتهاب • خاصة بعد أن عمدت الصهيونية بدعم من الامبريالية العالمية الى زيادة الحرائق لتفريغ الوقود العربي دفعة واحدة ، واطفاء البركان قبل أن تصل الهزة الى أعماقه فيتفجر الشرق كله • وقد فات دهاقنة الرياضيات ، أن الشعب العربي لم يعد معزولا وان كل الروافد الثورية في العالم تتجه اليه وتصب فيه وتدفع به الى الهياج الذي سيعصف بالاستعمار وبكل ركائزه المثبتة بالرصاص والطائرات •

وبما ان الثورة العربية المعاصرة قد فتحت عيونها الالف ، فهي لن تهمل استغلال أي سلاح لكسب المعركة ، والشعر هو أحد هذه الاسلحة الذي تنظر اليه الثورة باهتمام وتقدير • ولذلك فان من حقها أن تبرز عينها الحمراء لكل شاعر لا يلتزم بمنطق الشعب • فالثورة لم تكن في أية مرحلة من مراحلها عفوية ، بل هي تحمل قوانينها الخاصة معها • وقوانين الثورة ليست ضد النقد أو الفضح ••

فضح العفن الكامن في الجذور •• ولكنها ترغب في رؤية الحلول الايجابية لمكافحة الاورام الخبيثة في جسم المجتمع • وهي ترى في المبالغة آفة يجب أن تمنع من الاقتراب من أي عمل ثوري •• ويشمل ذلك الشعر وكل من يساهم في تصعيد الشعور القومي لمواكبة الانفجار • ومعنى هذا ان التجديد في الشعر الحديث لا بد له من تفحص شكل النطاق العريض للثورة ••

ص ٤٦–٤٧ ؛ العدد ١٩٢ ؛ السنة الرابعة ؛ ١٩ نيسان ١٩٧٢ .

عبر مدن العالم ـ ٤
بودابست

قبل أن نطل على مشارف عاصمة المجر ، قفزت عبر الشارع غزالة وديعة . ثم وقفت بين سيقان القمح وبعينيها الواسعتين فكرة ذعر طفولي. وكان الاصيل بكل أشعته وألوانه يسبح فوق جلدها البرتقالي فتبدو وكأنها اسطوانة متوهجة . انها فاتحة مغرية لباريس العالم الاشتراكي ! والتفت فلم أرها ! لقد امتزجت بالخضرة وضوء السماء . فهي لم تعد موجودة بالنسبة لي . ولو انها ظلت ظاهرة حقيقية أمام سنبلة واحدة على الاقل. وفجأة انبثقت مجموعة هائلة من المصابيح الوردية . هذه هي المدينة التي كنت أحلم بمعانقتها منذ سنوات طويلة . ولكن الشهد لا يخلو من ابر النحل أحيانا ، فقد التقيت بموقف لم أكن أعلم انه يشكل مشكلة على درجة عالية من التعقيد . وذلك انني جئت الى الاراضي الهنغارية دون أن أحصل على تأشيرة الدخول . وانتهت كل محاولاتي لاقناع مدير الفندق بقبولي ليلة واحدة بالفشل .

وتذكرت صديقي الاستاذ دارا توفيق ممثل العراق الدائم في منظمة الشبيبة الديمقراطية ، وكان مقره حينذاك في بودابست . ولكنني لم أتصل به لانني أدركت أن الامر يتعلق بالسياسة العليا للدولة . ولقد أخبرني دارا نفسه بعد ذلك انني الانسان الوحيد الذي سمح له بالبقاء بلا (فيزا) واعتبر ذلك احدى المعجزات . وهكذا توجهت الى فندق المطار على ان لا أغادره الا بعد اذن من سلطات الامن المختصة . وكنت قد قابلت قبل

الذهاب الى هناك نقيب الصحفيين المجريين ورئيس اتحاد الادباء فرحبا بي ببرودة بالغة وأعربا عن استعدادهما على انهاء الموضوع بسرعة • وفي اليوم الثاني وكانت الساعة العاشرة والنصف مساء رن جرس الهاتف في غرفتي وسمعت صوت امرأة يردد اسمي • وبعد أن اعتذرت لما حدث من ملابسات طلبت إلي النزول الى الطابق الارضي حيث ينتظرني أحد المسؤولين لمرافقتي الى وزارة الخارجية • وفي تلك اللحظة فقط نسيت قهري ، وسألتها عما اذا كانت قد درست اللغة العربية في العراق ! ولم تجب • انما أرسلت ضحكة غجرية غسلت كل ما تعلق في عيني من غضب • وبذلك تحررت من حبسي الاختياري لاحتضن بودابست بكل ما فيها من ماء وزهور •

أمضيت السهرة الاولى في تلك الجزيرة السحرية التي تقع وسط نهر الدانوب وكانت على فمي حسرة طويلة لان شبح جزيرتنا ـ أم الخنازير ـ كان يجلس في خيالي • واستعرضت في النهار معظم الحدائق والشوارع الرئيسية • وعبرت الجسور الحديدية • ووقفت طويلا أمام آثار الرصاص التي خلفتها الثورة المضادة •• وزرت عدة محلات لبيع المصنوعات الشعبية ، واشتريت (زمزمية) من الفافون الابيض • وقمت بسفرة رائعة الى بحيرة ـ بلاتون ـ واجتمعت بعدد من الطلاب العرب والعراقيين الذين يدرسون في جامعة بودابست • وتنشقت ذلك العطر الذي ينبعث من خصلات الشعر الاحمر ، حتى شعرت بعودة الشباب الى قلبي المتعب • ثم توجهت الى (فينا) مرافقا شواطىء الدانوب •

ص ٢١ ، العدد ١٩٣ ، ٢٦ نيسان ١٩٧٢ .

عبر مدن العالم - ٥
بيروت

جناح الطائرة الايمن يميل نحو البحر •• وتدور بخفة فيكـــاد بوزها يصطدم بالجبل •• هذه بيروت •• دمية من عاج وطين •• لا ترفع ســـاقها الاملس الا بواسطة خيط من ذهب ! شرفة مفتوحة لكل الوجوه ، ولكنهـــا لا تلين للحفـــاة أو للشعر •• غابة ليمون ترضع صفاء الينابيع وترشه خدرا وفضة • كنا في عام ١٩٥٨ وكانت هذه هي زيارتي الاولى لطبق العســـل •• ولذلك لم اســـتطع رفع معطفها وملاحظـــة كتفها الثمين •• لانني لم أعرف الموصل الى ســـاحة العطور بين نهديها •

ورأيتها في المرة الثانية مستلقية عند حافـــة البحر ، مكشـــوفة الابط والذراعين •• فشربت رائحة التفاح عن بعد ! ولم أقترب من أي عنقـــود شهي •• وخلفتها وفي دمائي حرقة ورغبة عارمـــة لتطويقها والنـــوم تحت أهدابها •• وعدت اليها مرة ثالثة ورابعة •• حتى أصبحت مدمنا بها، وعاشقا لكل فساتينها المختلفة الالـــوان •• فلم أترك جيبا قبل أن أقبل (بطانته) الحريرية •• ولم أدع ثنية صغيرة بلا قرصة أو لمسة جريئة •• وقد نزعـــت أمام جمالاتها المدهشة كل وقاري السخيف ! ومضيت أعدو كالمجنون بين خصلات شعرها الاخضر •• وكأنني غلام في العاشرة من عمره ، لم يكـــرع خمر الزنود بعد •• فطبعت في كل مكان منها ظلا لحركة أو رنة لضحكـــة مرحـــة ••

في ملاهي الزيتونة ومقاهي البرج ، وحانات الروشة البحرية • وان

الأغاني التي كانت تولد في كل لحظة في قدمي ، ترف الآن دافئـة في بـاب ادريس ومحلة المنارة وحول عمارة ستاركو •• وقرب كل مرقص وزاغور•• ولن أنسى أبـدا ذلك الخط الليلي لمسيرتي الرائعـة التي تمتد من شـارع الحمراء الى مشارب العرق الابيض ، في عين المريسة التي تظل متوهجـة الجفون ، الى أن يسقط عليها نسيم الفجر •• فهناك حيث تختلط الموسيقى بحفيف القبل الصامتة •• وحيث يفقد السأم أسنانه النارية ، انسـدح مع عواطفي المتوثبة ، وكأنني أعيش في بلاد (دلمون)* المقدسة •

ولقد كان لقائي الاخير مع بيروت في غاية الحنان •• لانني كنت خالي الفؤاد •• ولان الشاعر العراقي المعروف ، فوزي كريم ، كان نديسي الذي لا يمل •• كان يرسم لي بعينيه المخدرتين دائما ، صورتي الاولى التي لن تعود ••• ومع ذلك فقد كنت أفر منه أحيـانا •• وخاصة عندما تصـل الساعة الى الثانية بعد منتصف الليل •• ففي مثل هـذا الوقت يبرز قلـب المدينة الدموي ويشتعل الكبريت في الاصابع •• فأشعر بضرورة الالتفـاف حول دمي ، للاستماع الى ضجة أضلاع الذئب في عزلته القاتلة مع الاشتهاء والجوع ••• وفي بيروت لا أحس بالوحشة ، أو بذلك الخوف الغامض من النعاس •• ربما لانني لا أنام قبل الساعة الخامسة صباحا !• أو لأنني لا أصطدم بذلك اللون القاتم من الانفعال الفارغ ••

(*) بلاد دلمون : هي جنة عدن التي ورد ذكرها في قصيدة سومرية .. وتوصف بالمكان الذي لا يوجد فيه مرض أو موت .. أو حزن .

ص ٢١ ، العدد ١٩٤ ، ٣ أيار ١٩٧٢ .

كتفها الثمين : الثمينة .

مدمنا بها : مدمنها .

عبر مدن العالم - ٦
القدس

كانت قصة ـ المعراج ـ قد رسخت في أعماق ذهني مثل أي شيء خارق لا يغطس في النسيان • ومع أن معظم التفاصيل قد فقدت خطوطها الواضحة • الا أن الصورة العجائبية لاحشاء السماء ظلت محتفظة بذلك البريق الذي لا يمكن العثور عليه الا في عالم السحر أو الخيال• لذلك كانت القدح تلوح لي دائما ملفوفة بوشاح من الخضرة والغموض ، وان مجرد ذكرها يستفز روح المغامرة والشوق لمتابعة ولمس الطيف المدهش الذي لم يزل يسكن حول بعض المدن الاسطورية مثل «تمبتكو» و «لاسا» وغيرهما من البقاع المحاطة بالغرابة والاسرار • ومن العجب أن مدينة القدس التي تنام في خافق العالم العربي تبدو ـ أحيانا ـ بعيدة ، بل موغلة في البعد ، كأنها احدى حكايات السندباد • وأعتقد أن مصدر هذا الايحاء بالمسافة والعتق يعود الى عمقها التاريخي • فهي مرتبطة بطريقة شبه ملائكية بحوادث الزمن القديم • بمجيء القبائل العربية اليها قبل خمسة آلاف سنة • وبعمامة صلاح الدين والحروب الصليبية • انها دائرة من النور لم تزل تطوف عند قدميها مراكب الفينيقيين ، وصهيل الخيل الممزوج بصليل سيوف العرب والفرنج ••

كنت استعرض كل ذلك وأنا أتتبع مقدمة الباص الذي كنت أجلس في بطنه !! وكانت تضاريس الارض نفسها تظهر وكأنها تعود لكوكب آخر •ففي الاعالي ، وفوق جرف من الصخر تنتصب شجرة بلون الكحل • شجرة

عريقة ووحيدة كأنسا جيء بها مــن الماضي السحيق • وعلى هذا السفح أو ذاك يتبختر ظل بدوي • ولست أدري لماذا كان ينتابني شعور انسان مجنــع يستطيع أن يتحدث بسهولة مع الريح • لا شك ان لشكل التراب وتكويناته اضافة الى طبيعة المناخ وتقلباته أثرهما الفعال في النسو الوجداني للشعوب •

وهمس أحد المســافرين : تلك هي القــدس •• ياه •• ووقفت على رصيف الشارع ، وتلفت مبهور العينين • ان لكل شيء هنا جاذبية من نــوع خاص ، وتوجهت الى السور الذي ترقد خلفه مدينة القدس القديمة • وبعد أن غربلت الحوانيت الصغيرة المبثوثة بهدوء في الحلم الذي تحول الى واقع لا يكف عن سرد الذكــريات • ووصلت الى « قبة الصخــرة » وغرقت في الصمت ! كنت أحاول العودة الى بداية النســيج • للاحساس بتلك الهمــة العربيــة القعساء • ورؤيــة ذراع العملاق الذي امتد يومــا الى ضواحي باريس •• وعند المساء خرجت القدس الجديدة • النيون والمخازن الاوربية والزيتون •• ولكن سروري كان ناقصا • لانني كنت أعلم أن عبدة (التلمود) على بعد خطوات • وانهم لا ينقطعون عــن تغذية النــار في موقــد الحقد الاسود • ذلك الحقد الذي نشأ معهم منذ عهد «أخناتون» •• فلا بد لهذه الابرة التي تغمس كل يوم بالسم من الانتقــام ، لانها صنعت لهذا الغرض بالذات ••• ونظرت الى وجــوه الناس • هيهات ، ان كبرياء الصحراء لــن يموت أبدا • وسيأتي اليوم الذي لا ينفع فيه الحديد ••

ص٢١ ، العدد ١٩٥ ، ١٠ أيار ١٩٧٢ •

عبر مدن العالم - ٧
موسكو

وبعد نقاش طويل وممل ، قررت الهيئة الادارية لاتحاد الادباء العراقيين اختياري لتمثيل الاتحاد في مؤتمر السلم العالمي لنزع السلاح الذي عقد في موسكو سنة ١٩٦٢ . ولما كانت ميزانية الاتحاد المالية في حالة اعياء تـام ، فقد وافقت على السفر على نفقتي الخاصة .. وشاورت كبريائي وأنا أبتسم باكتئاب .. ان الاستجداء أهون علي من عدم الذهاب الى هناك .. وهكذا تحولت الى شـحاذ من الطـراز الاول ..

وبعد أسبوع واحد ، كنت في عربات الدرجة الرابعة من قطار طوروس. ولاول مرة يفشل سحر استنبول في اغـرائي .. فلم أمكث فيها غير ليلـة واحدة .. وأخذت القطار السريع الى اوربا . وعندما توقف القطار في محطة صوفيا ، والفجر لم يفتح عينه الثانية بعد ، شاهدت على الرصيف الساكن امرأة طويلة ململومة الكتفين ، تستعرض النوافذ ، وعلى شـفتيها ابتسـامة قلقة .. وأخيرا فهمت انها تسأل عني .. وحملتني سيارة « الزم » السوداء الى قصر السـلام .. وفي صباح اليوم الثاني كنت على متن طائرة من نوع ـ ١٨ اليوشن ـ .. وبعد أن عبرنا جبال الالب هبطنا في مطار بخارست.. ومن هناك الى (كييف) ثم موسـكو .

واستقبلتني امـرأة أخرى .. وذهبت بي الى فندق ـ بكين ـ لانها ظنت أنني أحد أعضاء وفد السـلم الايراني .. كانت غرفتي شبه خرافية ، بما فيها من اثاث أنيق ودانتيل مطرز ، وتطل على شارع « غوركي » .. وقبل أن استسلم لمخاطبة وسادتي الناعمة ، غمرتني موجة من النعاس المريح.

وفي الساعة العاشرة صباحا نقلت الى فندق « بخارست » حيث شـاهدت في طريقي نصب الشـاعر « مايكوفسكي » •• وكان بانتظاري صديقي القاص العراقي غائب طعمة فرمان •• ثم حضرت المرأة الثالثة •• وأخبرني غـائب انها سترافقني الى قاعة الاجتماع في «الكرملين» •• كانت « لينا » ، وهذا هو اسمها تحمل فما لا يكف عن الابتسـام ، وتجيد اللغة العربيـة بصورة مدهشـة ••

وعبرنا السور الاحمر •• وبالقرب من قاعدة الجرس المكسور تناولتني سورة من الافكار السعيدة •• واحتوتنا القاعـة • ولم أتصور قط انني سألتقي بذلك العـدد من الوجوه العالميـة •• الفيلسوف برنال وسـارتر وكاكارين وبابلو نيرودا وسيمون دي بوفوار وناظم حكمت وخروشوف • و•• وبدأت الاحلام تتحقق بسـرعة •• ففي المساء دعينا الى « بولشـوي تيأتر » لرؤية باليه ـ بحيرة البجع ـ و ـ الحسناء النائمة ـ • وأمضينا أنا والجواهري عصرية رائعة في بارك غوركي •• وذهبت الى «الكوم»••أكبر الاسواق في موسـكو •• وقمنا بزيارة لمعرض الشـاعر بوشكين ومتحف لينين •• واصطحبني غائب في جولة ممتعة في نهر موسكو •• وشربت الفودكا على مائـدة الأدباء القرغيـز في مقر اتحـاد الكتاب السوفيات •• وركبت «المترو» الذي يسير تحت الارض • ولكني لم أشم الجمال الروسي!! لانني كنت داخل دوامة من الفرح الصوفي ، الذي ينيم الصوت في الدم •

وبعد انتهاء المؤتمـر وعودة الوفـد العراقي ، تم نقلي الى فنـدق « أوكراايينا » •• وكانت غرفتي في الطابق الثامن والعشرين •• ومن ذلك المكان الشـاهق والمخضب بضياء النجوم ، التحمت بمدينة موسكو التحاما لم أزل أشـعر بعذوبته ، حتى اليـوم •••

ص ٢١ ، العدد ١٩٦ ، ١٧ أيار ١٩٧٢
كانت القدح : كان

عبر مدن العالم - ٨
دمشق

الفواكه والغصون وبردى •• لفائف عطر ونسيم •• أول مدينة تحت الشمس •• دمشق ، اللون الخالـد والبريق الاخضر ، وفصول الغناء التي لم تنقطع •• وهي من المدن التي تكشف كل فتنتها من النظرة الاولى •• ولذلك فان المسافر العابر لا يستطيع مغادرتها وفراقها الا على مهل •• وربما ظل يحمل ظلها الضاحك الى النهاية •• انها طفلة الزمان التي لا تهرم ••

ولقد نمت على أردانها أياما طويلة ، فلم أشبع من رائحـة ونعومـة حريرها أبدا •• ولم يزل اسمها الجميل يغزل الشوق في أعـاقي للعـودة الى ربوعهـا الفيحـاء ••

وصلت اليها وعلى وجهي كل عطش البادية وغبارها •• فاسـتقبلتني عباءات الزيتون ورطوبة الثلـج فوق ذرى (قاسيون) •• وغسلت أطـرافي المتعبة بقوالب الهيل وعصير الكروم •• وكان الضحى يهلهل على صدرهـا الاشقر العالي ، وينحدر متموجا نحو «الغوطة» وبساتين الليمون ••فشعرت بالطبيعة تقرأحولي قصيدة لا نهاية لها عن الفرح وسلال التوت والموسلين• ونهلت السكر من السماء وأشجار اللبلاب •• ولم أعـد ألوب فوق دولاب السأم ••• ففي الشام وحدها يولد الانسان مرة ثانية ••

ورحت اتبختر بين حوانيت «المرجة» وكأني أحد سلاطين ألف ليلة وليلة .. أنظر الى أكوام الفستق والتفاح المحفوظ في علب «السليفون».. وأتنشق ضجيج الشوارع المزدحمة ، لاجد جسدي ضائعا في سوق «الحميدية» .. وعند الباب القديم للجامع الاموي ، أستيقظ على صوت رنين خفي ، لاتناول كأسا من الحليب الفائر .. وأعود أرتفع خطوة بعد أخرى الى أن أصل الى مقهى « الكمال » الصيفي .. حيث يفقد الهواء كثيرا من وزنه .. ويمد المساء مفرشا من الاطلس البارد ، فأتمنى لو طال الليل الى الابد .

ليل دمشق الخالي من الاشباح .. وفي ركن هادىء أشاهد وجه الشاعر العراقي ، أحمد الصافي النجفي .. فنغيب ساعة في حديث عن الشعر .. ثم نفترق في التاسعة ، لكي أختلي مع نفسي في حان غريب من نوعه ، يقع فوق سطح عمارة عالية .. وهناك أخاطب النجوم .. ماذا سيحدث بعدألف عام .! وابتسم وأنا أحدق نحو الاثر الذي تركه «الكبش» الذي أرسل من أجل اسماعيل . ان هذا الدرب يحتوي على عشرة بلايين نجمة !! من أين أحصل على تلك السذاجة القديمة ..؟ وبأي شيء أستنجد للحصول على نعمة الجهل ..؟ أواه .. وأرجع الى دمشق .

ان الفهم الحقيقي للعالم لا يتم الا من خلال اعتناقه بلا انقطاع. وأتسرب الى قرارة الكأس ، وأنطلق مع شرارة لينة الى مكان آخر .. ان الحزن لا يوجد في الخارج .. انه ينبع من نقطة ما ، في الرأس .. واستسلمت للعطر الذي كان ينتشر حولي .. فنوبات الكآبة لا تعمر طويلا في أرض العسل والتفاح ..

ومنذ ذلك اليوم وأنا أهيم بدمشق .. وكثيرا ما أضطر الى سرقة الايام والساعات من مخصصات المدن الاخرى من أجل رؤيتها .. كما

أقوم أحيانا بدراسة وتبديل خطط السفر للمرور بها ولو لمجرد التطلع الى ألوانها فقط ..

ص ٢١ ، العدد ١٩٧ ، السنة الخامسة ، ٢٤ أيار ١٩٧٢ .

انها المقالة ـ الشعر ، أو قصيدة النثر الحقيقية عاطفة وخيالا ، ولكن لا يكتبها الا حسين مردان بهذه الروح وهذه الفرحة ... وهذا الانطلاق من أعماق حرمان في العيش وضيق في المكان الى عوالم تفوق أحلامه .. شأنه في المدن كلها على اختلاف في النسب .

ومقالاته ـ عبر مدن العالم خاصة ـ مادة لدراسة الشاعر في روحه فيما كان وما يريد أن يكون ، وفي أفكاره العامة والخاصة ، ناهيك عن فنه في استعاراته وتشبيهاته وصوره لدى فيض صوفي يحتويه .

وسيظهر حسين مردان ـ مرة أخرى أعمق مما يرى عاطفة وفكرة وانسانية، وان على الباحثين أن يأخذوه مأخذ الجد .

عبر مدن العالم - ٩
ميونيخ

كان الشتاء يطبق بأسنانه الجليدية على سماء العراق ، وكنت أجلس وراء زجاج المقهى وفي رأسي عدة أنغام محبوسة • لا بد من مشاهدة الثلوج في اوربا • وفي المساء قطعت تذكرة الى استنبول • وهناك في المشرب الذي تعودت قضاء الليل فيه التقيت بصديق في طريقه الى « فينا » واقترح الذهاب معا •• ادرنه وسلانيك ثم بلغراد وزكرب • وبعد أن قضينا عدة أيام في مدينة «كراز» الرائعة توجهنا الى النمسا • ولما كنت قد عشت في « فينا » فترة طويلة في عام سابق •• فقد أقنعت صاحبي بالتحرك الى المانيا •• ومررنا « بسالزبورج » ومع العصر كنا في الساحة الرئيسية « لميونيخ » ووقفت استعرض بعض ما قرأت عن هذه المدينة التي اشتهرت باحتضانها أولى بوادر التفكير الديمقراطي الحر ، قبيل انتشار ــ النازية ــ وامتداد ظلها البغيض فوق المانيا • ووصلت الى «الكافتريا» التي يلتقي فيها الطلاب العرب • ولكني تجاوزتها بهدوء •

واتخذت خط ــ الترام ــ دليلا للمكان الذي كنت أبحث عنه • وفي الوقت الذي كانت نظراتي فيه تنتقل من عمارة الى أخرى ، كان ذهني يستعيد رواية « أنياب التنين » وخاصة الفصل الذي يتحدث فيه المؤلف عن تلك الليلة الموحشة التي قام بها هتلر بالهجوم على مقر قائد قوات الصاعقة والقضاء عليه رميا بالرصاص • وسألت نفسي : ترى أين يقع ذلك السجن

الرهيب الذي كان يذبح في سراديبه الرهيبة الرجال الشرفاء من معارضي الحكم المجرم ..

وارتفعت الارض قليلا . انها علامة على أنني أسير في الطريق الصحيح. وبعد مئات من الامتار التقيت بالعنوان المنشود .. « المطعم العراقي » وما كدت أضع قدمي فيه حتى ارتجت الصالة بالتهليل . وقفز الشاب السمين الذي جئت لرؤيته . وتعانقنا . وقال وهو يرسم ابتسامة دائرية ، ما دمت قد نفذت وعدك بالمجيء ، فان مطعمي كله في خدمة فمك الشره . وفي الساعة التاسعة اكتمل نصاب كافة الاصدقاء من العراقيين فذهبوا بي الى حانة البيرة التي كان الهر هتلر يسهر فيها دائما .. وبدأت السهرة ــ كالعادة ــ بالسياسة ، وانتهت بالسياسة أيضا . ورغم أنني قد خبرت الحياة في عدد كبير من المدن الاوربية المشهورة الا أنني لم أحلم أبدا بمثل ذلك «الكرنفال» العجيب الذي يأتي اليه الناس في مختلف أقطار القارة الاوربية . وهو عبارة عن مجموعة متلاحقة من الحفلات التنكرية الراقصة . والواقع أن كلمة رقص لا يمكن أن تعطي اطلاقا الصورة الحقيقية لتلك المهرجانات غير الطبيعية . فهي طقوس شاذة للحب والجنس . وقد شعرت في البداية وكأنني أدور في احدى قاعات الجحيم ، فالتجأت الى كؤوس النبيذ الاحمر ومع ذلك فلم أستطع الخروج من خجلي الشرقي . ولكني كنت مصمما على تذوق ذلك النوع من الانطلاق الهمجي ! والذي كنت أدعو اليه في يوم ما . وخطر لي أن أستعين بكل ما دونت من قصائد في ديواني الاول ، ونجحت فعلا باجتذاب كل ماضي الثوري ضد مخلفات وجذور التقاليد والقيم التي لم تعد تستطيع التنفس في ماء عصرنا الحاضر . وكان ما كان ..

ص ٢١ ، العدد ١٩٨ ، ٣١ أيار ١٩٧٢ .
تخف الشاعرية أحيانا وتكاد «المقالة» تستحيل مذكرات فقط .

عبر مدن العالم - ١٠
هلسنكي

وراح قطار ـ السلام ـ يعدو بخيلاء نحو ـ لينينكراد ـ وعبر نهر (النيفا) ، ولاحت العاصمة القديمة من خلال ضباب الفجر الازرق وكأنها مرسومة على السماء •• وفي داخل المقاصير كان الغناء يرتفع ويتسرب من النوافذ المفتوحة ، ليتساقط على أرض الروسيا ، فيتحدث اليها بمختلف لغات العالم • هؤلاء الشباب الذين جاءوا من وراء الصحارى والبحار ومدن الشرق النائية •• وليس لهم غير هدف واحد ، هو الوقوف بوجه تجار الموت ، وتعطيل صفارات الانذار المرعبة • ووددت لو أرقص دقيقة واحدة معبرا عن فرحي اللانهائي • ولكني لم استطع التحرر من خجلي • لو أرقص مرة واحدة •• مرة واحدة فقط •• آه •• انني سأموت دون أن أحقق هذه الرغبة الجميلة • ان الذي يفكر كثيرا لن يتمكن من معرفة السرور بصورة كاملة ••

وظهرت «هلسنكي» عروسة تنبثق من أعماق البحر • وصعدت الزغاريد الى السحب • واخترت أحد الاصدقاء الذين يكرهون النوم وانسللنا من بين الوفود وذهبنا الى مركز المدينة •• كانت الشوارع هادئة ونظيفة الى درجة لا توصف • وعثرنا على مشرب روائي ••• الوجوه والكراسي والجام الملون • ان العالم لا يمكن استيعابه أبدا •• وأقبلت نحونا ضاحكة مثل بلبل لم يمر على جناحيه الخريف • ان الناس في كل مكان لا يريدون من الحياة غير الابتسام •• فأجبت صاحبي : فلنشرب إذن نخب السلام ••

فرد وهو يرفع كأسه البلـوري •• ونخب الكفاح العنيد من أجل اشـاعة الغبطة في هذا العالم •• ومرت الساعات خفيفة مرحة • ولكن متى سـيأتي الليل ! وانتبهنا الى موقعنا من الكرة الارضية •• اننا الآن قرب المنطقـة القطبية • وضحكنا من السعادة وفجأة غمرت وجهي غيمة من الحزن • فقال صديقي مستفهما : ماذا ؟ هل عدت الى التفكير ؟• ألا تستطيع أن تمنع عقلك من العمل ساعة واحدة ؟! فقلت وأنا أحاول استعادة الهناء الذي كنت فيه قبل لحظات • انك تعرف جيدا بما يدور بي رأسي الآن ••

انني أريد العسل لكل الاطفال • ولذا فان مسؤوليتنا لا حدود لها • وانه ليعز علي مفارقة هذه الدنيا وأنا أعلم أن هناك جفنا واحدا لـم تجف الدموع فيه•• ان نيران الثورة تندلع في بقاع كثيرة ، وان الوحش يتراجع ولكني أشتهي أن أرى نهاية البؤس في كوكبنا قبل أن أوضع في الكفن ••

وانطلقنا نترنح في الدرب البارد المؤدي الى البحر •• وكانت الشمس قد غابت منذ ساعتين ، ولكن الظلام لم يكن كثيفا • وعندما عـاد الضحى امتلأت هلسنكي بدوي الهتافات • لقد بدأت مسيرة السلام •• ان أقـدام الجيل الجديد تهز الارض • وان الهزة لتنتقل من هنا • من عاصمة فنلنـدة الى كل شبر في الارض ، فتثبت أقدام المناضلين وتزلزل قلوب الطغاة • انه لعيد لا مثيل له ••ومر الوفد الكوبي ، خمسمائة فتى وفتاة يرددون أغنية عن السـلم ، وتناثرت باقات الورد من الشرفات •• لقد كانت هلسـنكي في ذلك اليوم موائد أناشـيد وفرح ، وجاء الوفد العراقي فالتحقنـا به • ولاول مرة في حياتي أجد نفسي أصرخ بانفعال : عاش السلام العالمي ••

ص ٢١ ، العدد ١٩٩ ، ٧ حزيران ١٩٧٢ .

يلوب من الاستعمالات التي شاعت في اللوب: « العطش : وقيل هو استدارة الحائم حول الماء ، وهو عطشان لا يصل اليه » .

عبر مدن العالم - ١١
روما

ومست عجلات الطائرة المدرج ، هذه روما •• وشاع الابتسام في وجه المرأة التي كانت تجلس بجانب النافذة المستديرة •• وعلى السلم كان ينتظرنا الهواء الحار ••• واستعرضت وجوه المستقبلين ••• فلم أجـد الشخص الذي وعد باستقبالي في صالة المطار !• وبخطوات بطيئة مترددة ، اتجهت الى دائرة الحجز ودفعت ثمن الليلة الاولى في أحد فنادق الدرجة الثانية•• ثم ركبت الباص العائد لشركة (لوفت هانزا) وبدأت بالعد •• من الواحد الى الالف •• لا شك انها سفرة ثانية • وانتهت الالف الثانية •• وأقبـل السأم ليتربع فوق شفتي •• ولم أستطع أن أخلق أي حلم ، من أي نوع••

وخرجت اللعنة الاولى والثانيـة ، ووقفت السيارة •• يا لروحـي • وفجأة جاءني صوته البغدادي !! لقد وصل السندباد الضائع •• انه النحات خالد الرحال •• وأخذته بين ذراعي وقبلته •• وفي طريقنا الى مسكنه أشار بيده الى حنفية قديمة وقال •• انها (حنفية العبقرية) •• فقد شـرب منها الشاعر الانكليزي (بايرون) • فقلت مداعبا •• أظن أن فمك لم يسعد بقدح منها •• فرد بغضب مصطنع •• انك لم تتغير أبدا •• أنظر ، في هذا البيت كان يسكن المخترع العظيم «ماركوني» الذي اكتشف أشعة الموت وفضـل قتل نفسه على تسليم سر اختراعه الى الدكتاتور موسوليني • فقلت •• انه انسـان حقيقي ••

وفي المساء ذهبنا الى حانة مكشوفة يعود تاريخها الى بدايـة القرن

الرابع عشر ، وكانت الحانة تغص بالسواح •• وذلك لان العادة قد جرت ان يمر أمام الجالسين أحد فرسان القرون الوسطى ، بكامل ملابسه القديمة وكانت حوافر الحصان تثير زوبعة من الغبار الذي كان يتساقط فوق كؤوس البيرة المرصعة •• ومن هناك انتقلنا الى المقهى الانيق الذي يجلس فيه الكاتب الايطالي المعروف « البرتو مورافيا » وكان يتحدث الى امرأة شمطاء •• وعرض عليّ خالد ، التعرف به ، فرفضت •• وفي اليوم الثاني ذهبت وحدي لرؤية «الفاتيكان» •• وسافرت طويلا عبر تلك الكنوز الفنية •• ووقفت أمام تمثال لاحد القديسين الذي أكلت القبل والشفاه قدمه اليمنى •• على الرغم من صلابة المرمر المصنوع منه !!

وبعد دوران استغرق الصباح كله ، وصلت الى الميدان الذي نصبت فيه احدى المسلات المصرية • وتناولت طعام الغداء في مطعم مغربي •• وعند نافورة الاسدين التقيت بصاحبي •• فاصطحبني الى ملعب «المتروبول» ثم ارتقينا أحد المدرجات العريضة لرؤية حدائق روما المنتشرة فوق رؤوس التلال السبعة التي تفترش المدينة •• ووديانها وسفوحها الخضراء •• وفي اليوم الثالث حدث ما أدى الى قلب ميزان الهناء في قلبي •• فقد لمحنا باعة الصحف يصرخون بوجوه المارة ، وهم يلوحون باحدى المجلات الاجنبية ••

وتحدث صديقي الى بعضهم •• ثم أخبرني ، ان « مارلين مونرو » قد انتحرت •• وجمدت في مكاني ! فقد خسر العالم أجمل أقماره •••وتقدمت من الاسد الرخامي وكتبت اسمي عليه •• لماذا ؟؟ تلك هي الفكاهة التي لا تفهم !! ان الدود يستقبل الآن ذلك الجسد الابيض •• الذي كان يغسل بالحليب ••! ان الموت مثل الرأسمالي لا يرحم حتى الجمال ••• وتأبطت ذراع رفيقي وتوجهنا الى السينراما ••

ص ٢١ ،، العدد ٢٠٠ ، ١٤ حزيران ١٩٧٢ •

عبر مدن العالم ـ ١٢
صوفيا

لقد اختفت أرض اليونان ... ولم يبق غير البحر والغيوم ... انه فراغ القلب الذي يبلغ الجبال . وأرسلت زفرة ملتهبة . ان الفراشة الميتة داخل الزجاجة لا تحرك الاوتار في نفس الشاعر ... وتحسست وجه الطفل القديم الذي لم يزل يلعب في أعماقي .. وتخيلت شكل الشيخ العاجز الذي سأدخل فيه . ان فهم هذه المعضلة هو مصدر ذلك الشقاء الكثيف الذي لا يخترق .. وبذلت المستحيل للتحرر من سطوة الذات .. لم أزل في الوسط ! قتلى نشوة الاغنية قبل مجيء الشتاء . ورجعت الى مكاني بين المسافرين .

حديقة اوربا .. هذا هو لقب مدينة صوفيا ، عاصمة بلغارية الاشتراكية .. فهي صغيرة ولكنها مفروشة بطريقة متقنة ... انها ملاعب للظل والهواء وان ماء الليل لا يفارق أشجار الشاي قبل الساعة الثالثة بعد الظهر .. من الذي قال لي ان شوارعها تغسل بالمياه والصابون ..؟ ان الشارع المرصوف بالحجر الاصفر المصقول احدى الظواهر الجمالية الفريدة .. فهو يبدو وكأنه قد مسح بالشمع قبل دقيقة واحدة فقط .. بحيث يجعل الانسان يفكر بعدم السير عليه .. انه يبرق مثل لوح طويل من العاج أمام أشعة الشمس ...انه نهر من الذهب لا يخرج من الذاكرة مدى الحياة .. وهذا الشارع المدهش يبرهن على صحة قول الشاعر « تريستان تزارا » ـ ان الشعر لا يوجد في الكلمات حسب .. بل هو موجود في الوردة والخطوط وفي واجهات الحوانيت والشوارع ـ . وقد أوحى لي أيضا بأن التطور

الحضاري يبدأ دائما من جمال الارض •• ولكم تمنيت حينذاك ، لو عشت الف سنة !! لارى كيف ستكون مدن العالم في المستقبل •• ترى ، هل سيأتي زمن يموت فيه الموت •••؟ اني لاحسد منذ الآن كل الذين سيولدون بعدي ••• وا أسفاه • هذا هو السر الحقيقي للعذاب الذي نلتقي به حتى في أحضان النعيم ••

وعندما اقتربت من « ديمتروف » ونظرت الى عينيه •• أدركت أننا يجب أن لا نحب الجمال فقط •• بل ونعمل من أجل صيانته والمحافظة عليه •• وفي طريقي الى جبل « فتوشا » •• توصلت الى حقيقة أخرى •• وهي أن فن الهندسة ، هو الفن الوحيد الذي يعلم صمت الطبيعة على النطق •• فالتراب نفسه ، قد يتحول الى نغم موسيقي تحت لمسات (البركال) ••

وبعد أن أكل ذهني عشرات المناظر الجميلة •• عدت الى مقهى برلين ، لكي يأخذ الملح الجامد في عيني حصته من الماء العذب الممزوج بنفضة الجلد البلغاري •• ولم يتوقف دولاب الليلة الاولى حتى الصباح •• وفي النهار الثاني أخذت الى منطقة الجبال في الغرب •• وهناك بين القمم وأشجار الصنوبر ، شاهدت الدير العتيق الذي كان مقرا لرجال المقاومة ضد الاحتلال العثماني •• كانت السماء صافية وباردة ••

وللمرة الثانية تمنيت لو أترك مع أولئك القساوسة •• فمن يدري !•• قد يجد الانسان السعادة في كبت النار التي في الجسد ••• وعدنا لنتوجه الى مدن الجنوب •• وفي المزارع الجماعية عرفت فائدة التشابك في الارواح والايدي ••• وامتدت بنا السفرة الى حديقة الله في « فارنا » على ساحل البحر الاسود ••

ص ٢١ ، العدد ٢٠١ ، ٢١ حزيران ١٩٧٢ .
أن الشارع .٠٠ احدى الظواهر ٠٠. احد

عبر مدن العالم - ١٣
ستالينغراد

سار القطار يفتح طريقه بين الاعلام والوجوه الوردية •• وكان معي في المقصورة الشاعر محمد مهدي الجواهـري •• وما كدنا نبتعد عن ضواحي موسكو وتتوغل في الاراضي الجنوبية للاتحاد السوفياتي •• حتى تبدت لنا الآثار المحزنة للكـارثة التي تعرض لها الشعب الروسي في الحرب العـالمية الثانية •• فعلى الرغم من كل الجهـود الجبارة التي بذلت لاعادة الريف الى سابق عهده ، فقد كانت هناك مساحات واسعة تحلم بوصول اللون الاخضر الى ترابهـا ••

ولكن الهول الحقيقي ، كان يكمن في قصة ستالينغراد •• تلك المدينـة الباسلة التي محيت من الوجود ••• والتي غيرت بصمودها البطولي مجرى الحـرب ، وأصبحت أغنية عالميـة على شـفاه بابلو نيرودا وتغرودفسكي* واراكون •• ولقد كانت المفاجأة الكبرى ، عندما لم نجد أي أثر لمخـالب الوحش النازي •• سوى عمود من الخشب الابيض ، أكلت النار القسـم الاعلى منه •• أما المدينة الجديدة التي كانت بانتظارنا •• فقد شيدت وفق أحدث النظريات الهندسية لفن العمارة والتخطيط ••

مجموعات طيور ونهود عسلية قد تبدو هذه الصورة الشعرية ، غريبة وغير مألوفة بالنسبة للقـارىء •• ولكني لا أتحدث عن الشـكل الواقعي لستالينغراد •• ـ على الرغم من روعتها ـ وانما عن الانطباع الجمالي الذي تركته في ذهني •• والذي تحول بمرور الزمن ـ فقد زرتها سنة ١٩٦٢ ـ

الى جزء من حلم •• ومثل هذا الحلم الذي جاء بكامله من الواقع الخارجي لا يتلاشى تحت أقدام النسيان •• لأن الشيء الذي أوحى به ، مازال كمادة أو ايقاع ••

فشرفات الشقق والبيوت المواجهة لشاطىء نهر الفولغا قد فقدت الآن طابعها الحجري بعد أن دخلت ـ بفعل الزمن ـ في عالم الذكريات والخيال. وقد يحدث مثل هذا ، حتى بالنسبة لمن تفارقهم من الناس ••

فأنا مثلا ، لم أعد أذكر تقاطيع المرأة التي أحببتها عندما كنت في العاشرة من عمري ••• ولكنني أعرف انها كانت طويلة وبيضاء وتلثغ بحرف السين. فهي اليوم لون وكلمة •• فليس من الغريب اذن وصف ستالينغراد بالطيور والعسل •• ولذلك لن أتردد في القول ، ان نزهتنا النهرية في (الدون الهادىء) •• كانت كالنوم على فراش من ورد أزرق ••

ولعل أعجب ما شاهدته في ستالينغراد •• هي شاشة السينما الدائرية•• حيث كانت أحداث الفلم تدور من حولنا •• بل كان بعضنا يحني رأسه •• خشية أن تصطدم به احدى الطائرات !!

---

* تغردوفسكي : ولعلها تغر دوفسكي

ص٢١ ، العدد ٢٠٢ ، ٢٨ حزيران ١٩٧٢ ـ لم يرد للحلقة رقم في الاصل

عبر مدن العالم - ١٤
اثينا

الضوء . الضوء الصافي كعيون البجع . اختلاط الفضة بالذهب . على الارض وفوق البحر . والافق كله محلج قطن جـديد . ورفعت وجهي الى الاعلى . ها هو صوت الاسكندر المقدوني في طريقه الى مدينة بابل . كيف انكمش ذلك المجد الضخم ؟ مات العازف ، ولم يبق من السمفونية غير نغم واحد .. ولكن ايقاعه الاصيل لم ينفصل عن خطـوات الدهر . وما زال رنينه في كل مكـان .

واستقبلتني صاحبة الفندق بابتسامة نحاسية . امرأة في الخمسين ! ولكن .. يا لرقة الذراع وعذوبة لحمه ! ان البلى يعرف طريقه دائما .. ولكنه قد يلتقي أحيانا بخد لا يجد القدرة على حراثته . لا بد من لمسها ولو كانت في حمايـة « أوناسيس » . واستلمت مفتاح الغرفة وصعـدت الى الطابق الرابع . وتكومت بجانب النافـذة العريضة . كان العطـر اليوناني يرتفع الى أنفي من صدور الغزلان العارية وهي في طريقها الى الشاطىء .. أين فوطة أمي الخشنة السوداء من هذا المايوه الذي يشبه ورقة العنب !. وأطلقت حسرة عربية الصوت والمعنى . وتمتمت في خفوت : لو كنت مجرد خيط في حاشيته العليا . ان الجمال هو الجحيم الذي نتمنى السقوط فيه. وهبطت السلم مثل الزوبعة ، وقذفت بجسمي وسط شـوارع أثينا . لو كنت أملك مائة ألف عين . لو . ومع ذلك فسوف نرحل قريبا الى باطـن

الارض ! لماذا جئنا اذن ؟ ليس هناك من يجسر على رفع القناع • لانه لا شيء يوجد خلفه فوا لوعتاه ••

وجاء الليل ليغطي الحزن في عيون الفقراء • كنت على الرصيف المحاذي للساحل •• الزوارق تنزلق فوق الماء بهدوء • وعبر الشارع من الجهة الثانية تنتشر الملاهي الليلية • الموسيقى تتشابك مع الامواج • وأنا الاعرابي الذي يحمل معه ملحمة هوميروس وثلاثية سارتر وأرض اليوت الخراب • أبحث عن مدفن لا تصل اليه الشمس •

وتصاعد صوت الانسان الثاني الذي يلوب في داخلي : ان كل هذه الاطنان من الخدود والرموش والشفاه المصبوغة ستذهب الى الدود •• وجدت • ان من يستعمل عقله كله لا يبتسم أبدا •• وهنا قررت الخروج من رأسي فتوجهت الى قنينة « الازو »[1] •

وفي الصباح ، وبعد أن غرفت حفنة من لمعان النحاس من فم سيدة الخمسين ، ذهبت الى ملعب الاولمب • صخور وأعمدة ورؤوس أسود • ان الفناء يأكل حتى الآلهة • وفجأة التقيت بوجه سقراط • ونظرت الى عينيه الحجريتين • لقد قتلوك يا صديقي ، ولكن الافكار لا تموت •

---

(1) شراب يوناني يتصاعد مفعوله بسرعة ويهبط ببطء .

ص ٢١ ، العدد ٢٠٣ (ورد خطأ برقم ١٠٣) . وجاء رقم هذه الحلقة في الاصل خطأ ١٦ •

الجدل.. لا الكظم

ان الاديب أشبه بتلك المادة الفسفورية المضيئة في ذيل اليراعة •• فهو قد يبدو صغيرا ، بالنسبة للانفجار الشمسي الذي تمثله الجماهير داخل مركز الثورة • ولكنه ، يظل دائما ، وفي كل مراحـل الانطلاق والتقدم ، ذلك الخيط المتوهج من النور الحار الذي يصطدم بقطرة الدم فيرج كل ما فيهـا من عنصر الحديد •• ولذلك فان الكلمة الموجهـة •• أي المعبرة عن ارادة الشعب لا تقع في الفراغ أبدا •• لان مكانها ـ قد حجز مقدما ـ فوق الشفة وعلى رأس الاصبع وفي الحـدقة •• ومعنى هـذا ان الكلمة هي الطاقـة والزناد ، وهي الحركة •• وكل معركة من أجل الحـرية والانسان ، يرتبط نجاحها بمدى التحامها واستنادها الى قوة الحرف • وهذا هو السبب الذي يدفع بالثورة الى الانعطاف ـ منذ بدايتها ـ نحو احتضان الفكر ورعايته• ولكن الادب ـ كفن ـ لا يتقيد بالعمليات الحسابية التي تقوم بها الثورة عند كل خطوة • لمعارضته للضبط المنطقي • ومن هنا يسبق الثورة ويتحمل مسؤولية رسم الخطوات التالية • والثورة ـ كجهاز منفذ ومبدع للافكار ـ لا يسعها الا أن تعترف بهذا «الحق» الذي تعودت على احترامه ومحبته قبل وخلال ولادتها • ومع ذلك فان هذا الحب المقدس يجب أن لا يمنعهـا من فحص الرؤى المتعددة التي تطـرح أمامها •• فالادب قد يجنح أحيـانا الى ملازمـة الحس الى درجـة تجعله خارج منطقة الاشـعاع الثوري •• وان ـ المجاملة ـ الآنية من قبـل الثورة « لحالة مثل هذه » قد تفسـر بأنها « تذكرة سفر » مفتوحة للابتعاد عن استشارة العقل وتوجيهاته •فالاحساس

ـ وعلى الرغم من قـدرته على ادراك حقيقة الاشـياء ـ يبقى عاجزا عـن الايضاح الكامل ، الذي يتطلبه الفهم العـام • ولعل الشاعر أكثر الجميـع تعرضا للاصابة بمثل هذا المرض «الوجداني» ، والادمان عليه • وكثيرا ما تأتي « الاشارة » بالخطر متأخرة جدا •• خاصة بعد أن يقتنع الشاعر بأنه قد تجاوز « ضرورة » المواكبة •• وانه قد أصبح ـ كمنشد ـ أكثر ثورية من الثورة نفسها •• وان على الثورة أن تعدو خلفه باستمرار •• ويتكون مثل هذا الشعور عادة من فكرة رفض الشعر « للمجال الواحد » أو من شـدة الايمان بمقدرة الشاعر على التنبؤ والاكتشاف •• ولكون هذه «الصفات» لا تخلو من الحقيقة من ناحية الواقع التاريخـي للتعبير الفني ولو بصورة ـ نسبية ـ •• فان محاولة استعادة الشاعر الذي صار يستسيغ العـزف لوحده ، تصبح قضية محيرة ومربكـة أيضا •• لان الاسراف في اسـتعمال حرية الغناء من أجل استنباط الحان جديدة ، تؤدي غالبا الى نسيان من يغني له ، وهو المجتمـع •

وفي مثل هذا « الوقت » يبرز دعاة رفع شعار « الكظم الادبي » •• فتجـد الثورة نفسها في موقف صعب ! وقد تفقـد (صبرها) فتهم برفـع السوط •• ولما كان ليس من المستبعد أبدا أن نمر بمثل هذا « الوضع »•• الذي سبق أن رأينا بعض صـوره المصغرة أكثر من مرة • وحرصـا على جذب وتجميع كل الذرات والاجزاء الحية ، والتي لم تفقد مخزونهـا من « الصمغ » الداخلي للالتصاق مجددا بجسـم الثورة ، فلا بد للثورة من الاحتكام الى الجدل • والجدل وحده •

ص ٢١ ـ العدد ٢٠٤ ، ١٢ تموز ١٩٧٢ .

نحو هدف واحد

كان الحديث يدور حول القضـايا اليومية ، وعن الصيف والافـلام والنسـيم البارد الذي يهب بعد منتصف الليـل •• ثم انعطف تدريجيا الى مشاكل العالم الاساسية •• تلوث البحار •• والتمييز العنصري •• والحرب في الهند الصينية •• الى ان اسـتقر على العقد الخاصـة بالشرق والثورة العربية المعاصرة ودور العراق الطليعي في تصعيد العناد الى أعلى مدارجه ، وتوجيه السيف نحو مواضع الزرد المقطوعة في درع الاستعمار العـالمي •• وفجأة طرح أحدهم قضية الانسان وموقفه من المـوت والوجود •• فقالت سيدة متفائلة :

ان الفيلسوف « شوبنهاور » يرى •• انه ما دام الانسان موجودا ، فالموت لا معنى له •• وعندما يموت ، فكأنه لم يوجد من قبل أبـدا •• ومعنى هذا أن حركة الكائن الحي هي نفي مطلق للسكون ! أي للفناء • وهكذا يسقط الموت أمام الحياة ، ويصبح خارج المثلث الذي نعيش فيه•• وفي هذه الحالة ، فان الخوف من العدم غير وارد بالنسبة للاحياء •• فقلت انها فرضية غير مقنعة على الرغم من عرضها داخل منطق معقول • فالرعـب يا سيدتي لا يوجد في الموت نفسه •• بل في طريقة تفكيرنا به ، وعدم معرفتنا للساعة التي يأتي بها الينا ••! فالعذاب كله في الانتظار •• وهنا تأوه شاعر معروف وقال وكأنه يناجي روحـه : لو كنت أعـرف أن الوقت أثمن من الحب وأكثر قيمة من الجمـال ••

لو اكتشفت قبل اليوم أهمية ملايين الدقائق التي ذهبت عبثا في صناعة الاحلام والترقب •• لو كنت أعلم انه ليس هناك غيري •• واني كل شيء••

وانه لا وجود للطبيعة والعالم والكون بدوني •• اذن لربحت المعركـة •• واستطرد وهو يكاد ينتحب : الشـهرة والمجد وحب الآخرين !! يا لها من أقراص عتيقة مخدرة •• وصرخ بانفعال : اني لأبصق على تاريخـي كلـه باحتقار •• كان يجب أن أدرك ان الاخلاص لوجودي هو الحقيقة الاولى والوحيدة أيضا •• وان العالم نفسه يتكون من خلال وعبر شعوري به •• فالذي يقف على الهرم هو وحده أيها السادة الذي يأخذ حصته كاملـة من الهواء والشمس • أما الذين يجلسون قرب السفح فهم السكارى باسطورة الفرح السـقيم •• الفـرح الذي يخلقونه بواسطة الوهـم المستوحى من احساسهم الساذج بأنهم المصدر والاصل ••

فردت السيدة بامتعاض : لم أكن أعتقد أبدا انك مشـوه الفكر الى هذا الحد المخيف •• لماذا ترمي بنفسك وسط البحر وتتكلم عن عدم وجود الساحل ! ان الافراط في التنويع يؤدي الى السرعة في التعامل مع اللذة • والاستمتاع بالشيء ــ أي شيء ــ لا يتم بصورة جيدة وعميقة ، الا اذا جرى على مهل•• وأردت أن يعـود النقاش الى منحنى آخر فقلت : أنا شخصيا لا أخلو من الاحساس بالبكاء عندما أفكر بالنهـاية ••

ولكن ، لا بد للانسـان من الاعتراف بالهدف الواحـد لكل الناس ؛ للوصول الى سر الهناء ، ولذلك فالتعاون ضرورة انسانية واجتماعية معا•• وكما يقول الرسام الفرنسـي المشهور « دافيد » : كل واحـد منا ملزم أن يؤدي حسابا للوطن عن المواهب التي تلقاها من الطبيعـة •• واذا اختلف الشكل ، فالهدف يجب أن يكون واحدا لدى الجميع •• فالانسان الحقيقي يجب أن يتمسك بتعطش بكل الوسائل لتنوير مواطنيه وتقديم ملامح البطولة أمام أعينهم دون انقطـاع ••

ص ٢١ ، العدد ٢٠٦ ، ٢٦ تموز ١٩٧٢ .
لوحده : وحده . لم يوجد ابدا : قط

مهمة الفن في صياغة النفس

المركب يتجه الى خط الافق •• يبتعد •• يتحول الى شيء صغير • الى شكل غير واضح ، ثم يتلاشى •• يختفي •• ويظل في سيره •• من البحر الى المحيط •• انه في مكان ما •• وسيعود • لا بد من عودته •• فالشاطىء لا يتحرك • والفنان أيضا يغور في داخله • فيبدو وكأنه قد ذهب ••ولكنه موجود ، وسيرجع من سفرته الخاصة في الاعماق •• فمن المستحيل البقاء في القاع مدة طويلة •• فالشمس دائما تسطع في الخارج •

فالفصل اذن بين العمل الفني والعالم لا يمكن حدوثه الا من الناحية التصورية فقط •• فما دامت العناصر التي يتكون منها الانسان واحدة ، فكل العواطف والمشاعر البشرية تنطلق من مصادر متشابهة • والاختلاف هو في أسلوب الاعلان وفي طريقة التعامل مع الحياة •• فالاهداف النهائية ثابتة •• والتكتيك هو الذي يتبدل ، حسب الموضع والزمان •• فالانسان الذي يعيش في أدغال الامازون يشعر بحاجته الى الحب مثل أي انسان آخر يعيش في باريس أو مدغشقر •• وليس من المستبعد أبدا أن يكون بيكاسو بالذات أشد شراسة وعنفا في ملاطفته للمرأة من العامل البسيط الذي يحيا في جزيرة ـ جاوه ـ •• ويكاد يكون من الثابت ان الانسان الاعتيادي أكثر فهما لبعض الغرائز من الانسان المثقف •• لان النضوج الثقافي قد يختلط أحيانا بنوع غريب من الطفولة •• فالمساواة على هذا الاساس ليست بدعة •• ومهمة الفنان فهم هذه الحقيقة والدعوة لها •• فالفن بالاضافة الى كونه وسيلة شائعة لتخفيف ثقل الحياة •• فهو في نفس الوقت يمثل

مجموعه المفاتيح الذهبية التي تفتح كافة الابواب الموصدة في نفوسنا لرؤية ـ الزوائد ـ غير المرغوب فيها ، والتي لم تزل تنمو فينا ، على الرغم من الطهارة التي تلوح في مظهرنا الخارجي! وضرورة تدريب أصابعنا تدريبا جيدا على قطف ـ أزهارها ـ السامة بين فترة وأخرى .. وذلك لمواصلة بناء عواطفنا الانسانية والاستمرار بالمحافظة على علاقاتنا مع المجتمع ..

ولعل الفنان هو المخلوق الوحيد الكامل الذي يستطيع ـ اذا أراد ـ أن يصنع السكين المسحورة التي تقطع تلك الزوائد القديمة من جذورها.. ولقد حاول ذلك عدد من عظماء الفكر ، ومن بينهم الشاعر الالماني الكبير « كوتيه » ولكنه لم يصل الى ما كان يطمح اليه .! وكاد يكون المهاتما « غاندي » هو الظاهرة الفريدة في هذا العصر ، من حيث معرفة إعادة صياغة النفس ..

ص ٢١ ، العدد ٢٠٧ السنة الخامسة ، ٢ آب ١٩٧٢ .
النضوج : النضج . كوتيه : گوته (غوته ، جوته)

نوع خاص من الراحة

ما تنشره « ألف باء » اليوم على صفحتها الاخيرة هو آخر ما كتبه الفقيد حسين مردان قبل رحيله بأيام قلائل . واذ تعتز « ألف باء » بنشر هذه الكلمة التي كان قد كتبها لالف باء لتنشر ضمن زاويته الخاصة في المجلة ، تشير الى أن الشاعر الراحل كان محررا فيها منذ حوالي أربع سنوات .. وقد ظل ينشر آراءه وأفكاره فيها دون انقطاع . ويبدو أن الزميل الراحل لم يكن قد أكمل كتابة هذه الخاطرة .. ومع ذلك فانها تعكس آخر ما كان يدور برأسه من أفكار ..

« ألف باء »

ترى هل يستطيع الانسان ـ أي انسان ـ أن ينفصل عن العالم ! لقد حاولت شخصيا ذلك ، غرقت في الكتب والموسيقى ، واخترعت عدة طرق للتحدث مع نفسي . وخلقت أجواءاً وعوالم متعددة . وابتكرت ألعابا كثيرة . وكنت أشعر في بداية السبات بنوع خاص من الراحة النفسية والهدوء الداخلي .

وفجأة يتملكني الملل ! وشيئا فشيئا يذوب اشمئزازي من الواقع الخارجي ، وتأخذني موجة انعطاف وشوق للعودة الى الناس .. فانطلق الى المقاهي والحانات والشوارع المزدحمة .. ويرجع لعلاقاتي الاجتماعية لونها الوردي الودود .

ولكن حالة الانفتاح هذه لا تستمر طويلا .. فالاحتكاك الدائم مع

الآخرين كثيرا ما يؤدي الى الالتقاء بالصداع وتدريجيا يتكوم الضباب فوق الزجاج وتفقد الرؤيا وضوحها السابق • وفي مثل هذا الموقف يولد الامتعاض ثم الحاجة الى الهرب • ومعظم الناس يعتبرون هذا التصادم ضرورة للحصول على التجـارب الحياتية ومواصلة السـير •

بل ان بعضهم لا يجد في هـذا الاهتزاز داخل ـ التشابك الذاتي ـ بينه وبين الذوات الأخرى •••

ص ٥٤ ، العدد ٢٠٨ ، ١٨ تشرين الاول ١٩٧٢ .

٣

مدخل في المسيرة الشعرية

ولد ــ إذاً ــ في سنة ١٩٢٧ ، ولا يذكر من طفولته في طويريج والحلة شيئا ، ولكنه يذكر جيدا ما كان منها في الخالص من بعقوبة حيث استقر والده • ولم يكن تلميــذا موفقا ولعله لم يكمل «المتوسطة» ولكنه كان متمرداً مبكراً وقارئا خارج الدرس ، ولا سيما حينما استقر والده في بعقوبة نفسها • وقد نبت فيه المطمح الأدبي ، واقتنع في أن يصير شاعراً بارزاً جداً، ولا بد من أن يصير مهما يكلف الامر •

ويحدثنا عنه الذين عرفوه من الأدباء في بعقوبة تلميذاً أو تاركا للمدرسة فيروون الكثير الكثير عن نهمه الى القراءة ، وعن أسئلة تؤرقه يبحث لهـا عن أجوبة في الكتب على اختلافها ما بين الفلسفة المادية والكتاب المقدس • قرأ كل شيء • وكان يستعير من الأدباء «الرزمة» من الكتب بعد «الرزمة» ثم يستثيرهم بأسئلته التي لا تنتهي وأحكامه المتطرفة •

وحين طلعت مجلة « الكاتب المصري » وما فيها ــ وفي غيرها ــ عن الوجودية هام بها وفهمها على طـرازه الخاص وعد نفسه وجوديا • ثـم لما وصلت اليه ترجمة من « أزهار الشر » لبودلير تمكنت من فكره ووجـد نفسه في بودلير فأعلن نفســه بودليريا •

ثم خضع الى التجنيد الاجباري ، وها هو ذا في جلولاء لم يغير كثيرا من نهجه وما أسرع ما عرف المسؤولون نمطـه فمنحوه امتيازات خاصــة (ينظر مقال عبدالمسيح ثروت عنه في مجلة «الكلمة» ــ تشرين الثاني ١٩٧٢)•

ويكلفه طموحه الهجرة الى بغداد ، فجاءها في الاربعينيات ، ويحـدد هو ذلك عام ١٩٤٧ وينص على أنه كان في العشرين •

ولا يهمه كيف يعيش في بغداد ، لان همه الاول أن يكون أديبا شاعرا كبيرا ، ولا بد في سبيل ذلك من التضحية بكل شـيء • ولقد كان يضحي ولا يحسب ما يأتيه تضحية وإنما يفعل ما يفعل استجابة للتمرد واسـتطابة لما يترتب على ذلك :

« في السابعة قرأت عنترة .. وفي العاشرة نظمت أول بيت . وبدأت أمي تضايقني . لا بد من الانقطاع الى الأدب ! وهكذا تركت المدرسة .. ثم بدأ الخصام مع العائلة ! واضطررت الى هجر البيت . الى أين .. أنا لا أمتلك غير رأسي ! وانه لرأس . واني لقادر أن أشق الصخر باصبعي وحملت عصاي وجئت الى بغداد المدينة الغامضة المغلفة . وبعد يومين فقط دخل الفراغ الى جيبي (...) وذهبت مع السحر الى سوق «الفضل» لأصبح من عمال البناء . كنت أقول لنفسي وأنا أضع الطابوق على صدري ليكن ! سأضع رجلي فوق الجميع . وبعد أيام جلست مع الشاعر الرصافي ... »

وألف حياة تشرد بمعنى الكلمة ، جر اليه بلند الحيدري (وغيره) ، وهو يكتفي للعيش بأقل القليل مما يشبع أو لا يشبع ويكسو أو لا يكسو ويؤوي أو لا يؤوي . وحين وجد معاش عامل مصحح في جريدة «الاهالي» عد ذلك فوزا كبيرا ...

وزادت قراءته ، وزاد إعجابه بإلياس أبو شبكة وبودلير ، وشرع يكتب، وينظم ، واطمأن الى شاعريته أو ازداد اطمئنانا الى شاعريته وطرازه الخاص فيها . وكان يلتقي بأمثاله من الشباب المتمرد الغاضب في المقاهي والحانات والبيوت ثم بمن عرف « بجماعة الوقت الضائع » ومقهى واق واق .

وها هو ذا يدخل الى عالم الشعر في صخب ولجب وجرأة هي ضرب من وقاحة حين أصدر أواخر عام ١٩٤٩ ديوانه الاول الذي سماه بما ينسجم وما هو فيه : « قصائد عارية » أهداه الى نفسه في ٢٦-١١-١٩٤٩:

« لم أحب شيئا مثلما أحببت نفسي ، فالى المارد

الجبار الملتف بثياب الضباب الى الشاعر الثائر والمفكر الحر . الى .. حسين مردان ... »

وخاطب القارىء أن « ... ثق أنك لا تفضلني على الرغم من قذارتي الا بشيء واحد .. هو أني أحيا عاريا بينما تحيا ساترا ذاتك بألف قناع . فنصيحة مني أن لا تقدم على قراءة هذا الديوان إذا كنت تخشى حقيقتك وتخاف رؤية الحيوان الرابض في أعماقك » .

وتدل هذه الكلمات ـ في أقل تقدير ـ على ثقته المطلقة بنفسه ووعيه بما يقول ويرمي اليه وكأنه الذي ينطلق من وجهة نظر مختمرة منسجمة وكيانه مستحيلة فلسفة فيه تقيمه وتقعده .

وشعره في ديوانه لا نقاش فيه صدقا وعمقا ودلالة على الموهبة وجِدَّة في الصورة وعنفا في التعبير ونفاذا الى الشعر العمودي بما لم يسبق اليه عنفا وغرابة وتميزا من أي آخر من شيوخ وشباب بشخصية لا تستعار .

ولفلسفة ، أو حياة على الأصح ، من هذا النوع ثمنها . وأقل ما يتهم به صاحبها : إفساد الاخلاق والخروج على التقاليد ومن ثم لا بد من مصادرة الديوان ومحاكمة الشاعر . وهو الذي حصل . ولكن المحكمة استمعت جيدا الى دفاع المحامي واستعانت بلجنة من الأدباء وكأنها ـ في كل ذلك ـ تقف بوجه مشروع الى جانب الشاعر وتنتهي الى تبرئته . وهو ما حصل مع ما في الديوان مما يدعو الى الشدة مع الشاعر والى وقوف المتزمتين بوجهه . ويكفي ما فيه من صراحة « العري » .

واذا ورد طعن في أخلاق الشعر فلم يرد مس بسلامة الشاعرية . واذا تركنا كل شيء بقي صاحب الديوان شاعرا له من عنفه وجرأة صوره وجدة أفكاره دلائل على الاصالة . وهو مختلف في هذه الاصالة حتى عن « أبو شبكة » صاحب « أفاعي الفردوس » ، وبودلير صاحب « أزهار الشر » .

واذا التقى معهما في شيء من الروح أو الإخـاء الروحي ، فانه تميز منهما بنفسه فهو حسين مردان من العـراق ، وهما واحد من لبنان وواحـد من فرنسا . و « قصائد عارية » أكثر عريا مما في الديوانين وأكثر صراحـة في الخروج على المألوف الاخلاقي ... وربما كان ما لقي « أزهار الشـر » من منع ومحاكمة ... في مطامح صاحب « قصائد عارية » .

ثم لم يلبث أن اجتاز الازمة . ومهما قيل في الدفاع عن الشـاعر فان شعره يقدمه على أنه كان يحيا تلك الحياة لدرجة الإغراق . ويبلغ فيجبروته أقصاه : « لن أحب إلا المرأة التي تحتقر جميع الرجال وتسجد تحت قدمي أنا وحدي ... » وأين يجد هذه المرأة ؟ ولماذا ؟ وماذا فيه ؟

وهيأت الشاعرية ـ ولا أقول الجرأة وحدها ـ للديوان الانتشـار وكثرة القراء ، ويدخل في القراء متزمتون يقرأونه سرا ويستطيبونه فنا !!

لقد أثبت هذا المتشرد المتمرد أنه شاعر ، وفتح هذا الشـاعر لقومه أو لجيله الطريق الى الجـرأة بنوعيها الأخلاقي والفني ، وأقصد بقومـه الشعراء الشباب خاصة ، وأقصد بالفني الى عنف الصورة خاصة . وإلا فهو عمودي ، واذا اختلف قليلا ـ أو كثيرا ـ عن القصيدة التقليدية فبمقدار ما جدد أهل المهجر وعلي محمود طه وإلياس أبو شبكة ...

لقد حقق الشاعر شهرة . ولك أن تقول انه استطاب الشـهرة ، وأن تقول انه كان جادا في أمره ، صادقا في تصـرفه مؤمنا بموقفه مطمئنـا الى «فلسفته» . ولك أن تجمع بين العاملين أو أن ترجح الثاني . ولا أدل على ذلك من انه أصدر ـ في العـام الذي أفرجت المحكمة عنه وعن ديوانـه (١٩٥٠) ـ قصيدته « اللحن الاسود » في كراس خاص على المنهج الذي سارت عليه « قصائد عارية » ولم يكن للسلطة معدى من مصادرة القصيدة وتقديم صاحبها الى المحاكمة ... وقد فعلت ، إلا أن حسـين مردان نجـا هو وقصيدته هذه المرة كما نجا في المرة السـابقة .

وفي نظرة الى « اللحن الأسود » يبدو حسين مردان كمن يجتر « قصائد عارية » مادة وشهرة مع انه دونها في الشاعرية وفي كل شيء ، وقد اتسم ببرود وتكلف واستحال « نظما » ثم إنه صار يقول :

أشكو اليك برودة في أعظمي لا تستجيب الى الهوى أحيانا

وما هو أكثر من هذا (ص ٨٠ ؛ ص ٨٢) ويقول (ص٣٧)

كم ليلة قضيتها متسهدا كالكلب يلعق مرشفي قدميك

نأين صار ذلك المارد السادي الجبار الذي يريد من المرأة أن تسجد على قدميه هو وحده ؟!

لقد تغيرت الحال ؛ ومال الى الضعف عموما ...

أهو الشبع ؟ أهو الملل ؟ أم ماذا ؟

ويكتب في «اللحن» : « آه يا إلهي هبني قدرتك لحظة لأخلق المرأة التي تستطيع أن تفهمني » وليس في العالم الذي يعيش فيه من تفكر أن تفهمه ؛ ثم من هو ؟

وابتعد قليلا عن عالم العري دون أن يبتعد كثيرا حين « حاول أن يصور حياة الحشاشين ومتعاطي المخدرات » فأصدر سنة ١٩٥١ كتابه « صور مرعبة » مع ملاحظة أن هذا العالم هو أحد عوالم بودلير في «جنانه المصطنعة» وفي نبيذه وحشيشه ، وأن الشاعر العراقي لم يقدم شعره على النسط العمودي أو ما شرع ينظم عليه عدد من الشباب باسم الشعر الحر قائما في وزنه على التفعيلة ، وإنما قدمه بنمط لعله لم يعرف له اسما ولم يجد له اسما لأنه شعر يأخذ صورة الشعر في روحه وصوره ولكنه ليس بالعمودي وليس بالتفعيلي ، لأنه ، في حقيقته ، لا يجري على وزن مقرر فهو نثر إن شئت ، وهو نثر في صورة شعر أو أية صفة أخرى يمكن أن تميزه بها ...

وقد نجد في جذر هذا النمط ما سمعه حسين مردان أو قرأ أمثلة

مترجمة منه ... مما كان لبودلير ـ أجل ، بودلير أيضا ـ باسم (قصائد في نثر) أو (قصائد النثر) ـ إن شئت. POEMES EN PROSE

واذا كان حسين مردان مبكرا فيه ومن رواده إن لم يكن رائدا ، فيصعب أن يكون قد خلقه خلقا دون المام برائد سابق عليه ، لا سيما اذا علمنا إمكان أن يكون هذا الرائد السابق عليه بودلير ، وتذكرنا مكانة بودلير من مطمح حسين مردان ومزاجه .

لقد نظم حسين مردان « صور مرعبة » على نمط لم يعرف له اسم فلم يسمع بعد « بقصيدة النثر » ولم يصل بعد الى اسم « النثر المركز » ويقرر أنه « خلقه خلقا » بمعنى أنه ذهب اليه دون سابق عليه من قدوة أو دعوة . ومع أننا نعرف سبق أمين الريحاني الى ما سماه « الشعر المنثور » متابعا والت وتمن ، ثم كان الريحاني رأسا فيه ، ثم صار عهد الريحاني بعيدا ، وصار متابعوه وكأنهم لم يكونوا . والحقيقة أن الفارق ملحوظ ، وحسين مردان أكثر شاعرية وأقل تكلفا ، وهو فيه سابق ـ كذلك ـ على ما عرف بقصيدة النثر وعلى مجلة « شعر » (وقد تأسست سنة ١٩٥٧) . وربما كان مصطلح « قصيدة النثر » الذي ورد فيها ـ لاول مرة ـ يرجع أساسا الى العام الذي تحدث فيه أدونيس مستعينا ـ ومترجما ـ بكتاب ـ أو مقدمة كتاب ـ سوزان برنار « قصيدة النثر » الصادر بباريس سنة ١٩٥٩) . ويبقى ـ مع هذا ـ السؤال عن المصدر كما هو ؟ وكيف يتسنى لامرىء كحسين مردان أن يخلق « النثر المركز » خلقا ؟ ثم لا بد من عودة الى أخبار وصلت اليه عن بودلير ... على أن حسين مردان يقرر ـ وهو يريد أن يحدد مهمته في الموضوع ـ أنه « قد أدى الضيق بالوزن والقافية عند الشاعر المعاصر الى نوع من التمرد والالتجاء الى هذا النوع من النثر الفني ،والذي شاع في عهد جبران وأمين الريحاني عن طريق ترجمة الشعر الاوربي الى اللغة العربية . فعمل بعضهم على تطويره والاعتناء به لكي يأخذ شكل

القصيدة من ناحيــة الاهتمام بوضع الكلمة وموسـيقية الالفاظ واختصار الجمل وتركيزها ، للاستعاضة عن الجهد الذي يبذل في القصيدة الموزونة . أما السبب الحقيقي الذي دفعني الى كتابة هذا النوع من النثر فهو اكتشافي أن الوزن يحـد من إظهار الحيوية النفسية ونقل العـالم الباطني بصـورة دقيقة » وواضح أنه لا يعد « النثر المركز » شعرا رغم ما فيه من عناصـر الشعر ـ « ولذلك أطلقت عليه اسم النثر المركـز .. في الوقت الذي كان ينعت بالشعر المنثور ... » ـ وتنظر له مقالة « النثر الشعري » في كتابـه « الأزهـار تورق ... »

واستطاب « الكراسة » وربما عاد ذلك الى قلة ما تكلف من أجـور الطبع وسهولة البيع والتوزيع والظفر بالمردود الممكن القريب ، فأصـدر في نهاية عام ١٩٥١ « رجل الضباب » قصيدة ، ولكنه أصدرها « عمودية » أي أنه لم يلتزم ما دعاه بالنثر المركز . والقصيدة تمثل الخطوة الثانية التي آل فيهـا الى «الجد» أو الظهـور على حقيقته خلافا لما يبـدو للناس ولما يحكمون به عليه من التهتك فهو أعف من متهميه ومزدريه ، وهو مفكر حر القول بل وطني ثائر يستهين بالسجن في سبيل الاصلاح ، وانه يتفجـر لما يسود البلد من ظلم الحاكم والمستعمر ولما يرى في الناس من تواكل وخضوع على الرغم من بوادر الثورة التي يتنبأ بها ، ويستعد لها :

... هذا أنا « رجل الضباب » ومن له
في كل موبقة حـديث يُذكر
فليعلم المتزلفـون إذا التوت
قدم على قدم بأني أكبر ...

ولا نشك بصدق الرجل في وطنيته ، ولا يبعُد كثيرا من يقرّبه من الالتزام.

وأصدر عام ١٩٥٢ « عزيزتي فلانة » ـ رسالة بالنثر المركز
وبدا عليه تغير أو تعـديل في الفكر

ولا بد من أن يكون لاشتغاله في جريدة «الأهالي» ــ وهي جريدة ملتزمة بالديمقراطية ــ ولصداقته مع هيئة الجريدة والمحررين فيها أثر في التغير زد على ما في جذر الرجل من فقر ، وما في قلبه من طيبة ، وما في نفسه من خير وتأثره بالروح الوطنية السائدة .

ومضى به التغير الى الاهتمامات الوطنية العامة ، ومضت به الاهتمامات الوطنية العامة الى الاعتقال بعد انتفاضة تشرين ١٩٥٢ فالتقديم الى المجلس العرفي العسكري فالحكم عليه بـ « كفالة ، على أن لا ينشر كتابا لمدة سنة واحدة » . « ولما لم يقدم الكفالة المطلوبة » دخل السجن ــ سجن الكوت الرهيب ــ أوائل سنة ١٩٥٣ ، وفيه « بدأ التحول الكبير في مجرى حياتي الأدبية فقد أقسمت مع نفسي على السير في خدمة الشعب والعمل على قلب ذلك النظام الذي يستل شوق الانسان الى الحرية بالسجن والحراب » .

زادته هذه السنة من السجن إصرارا على التغيير والاتجاه الوطني والفكر الاصلاحي الثوري . وقد غذى هذا الاصرار ثقافة تلقاها في السجن على يد مسجونين التقى بهم وقراءة « ما يقرب من مائة ألف صفحة [!] من الفلسفة الماركسية » « وانتقلتُ الى الجانب الآخر من القضية » .

وخرج من السجن ليزداد التحاما بـ « قضايا الشعب » .

وعاد الى الاشتغال بالصحافة (جريدة صوت الأهالي)

والى التأليف فأصدر سنة ١٩٥٣ (؟) كتابه « الربيع والجوع » على نمط « صور مرعبة » في نثره المركز .

ان الاهتمام الوطني الاجتماعي وما يدل عليه من نظافة وترفع عن الكسب الحرام واعتداد بالشخصية واختيار الفقر .. كل أولئك لا يعني التنكر لأشعاره الاولى ومواقفه من «العري» و «التعري» مما اختاره اختيارا لرأي وليس لقصد في إشاعة الفساد والتحلل ...

وقد يؤيد ذلك اصداره سنة ١٩٥٥ طبعة ثانية من « قصائد عارية »

و « اللحن الأسود » في كتاب واحد • وقد لقيت هذه الطبعة رواجا ، فقد نفدت نسخها الـ ٢٠٠٠ سريعا • وما كان أحد يجرؤ آنذاك أن يبلـغ هذا العدد من نسـخ الطبع • ومرت الطبعة بسـلام •••

والرجل يوسع من أفقه كل يوم تجربة وفكرا وأدبا وقراءة وكتابـة متابعا هـواه فيما يعجبه ويستثيره ويؤيده ويعمق تجربته ••• وامتد أفقه الى « العهد القديم من الكتاب المقدس » واستفزه « نشيد الانشاد للملك سليمان » بحيث رآه « قصيدة من أروع قصائد الحب في الآداب القديمة » ورأى الملك سليمان قلقا في ظمأ روحي « فهو من ناحية يشـعر بحاجته الى نوع من الجمال الحقيقي الذي يرضي خياله ويشبع روحه وجسده معا ويود من ناحية أخرى أن يكون الشخص الكامل الذي رسم صورته في أعمـاق شـعوره » •

ولا بد من أن يكون حسين مردان قد وجد في «النشيد» «وسليمان» أشياء غير واقعية أو يريدها أن تقع له ••• وعالمه في طرفيه وفي اللغـة التي تجسد فيها هو عالم الشـعر ولغة الشعر التي يفهمها ذواقة ، يختلف عـن ذوق قومه ، مثله • وهـذا بعض ما بعثه الى أن يعيـد صياغة « نشـيد الإنشاد » نثراً شعرياً ، «مركزاً» ويصدر عمله بهذا الاسم : نشيد الانشـاد (١٩٥٥ ؟) في كراس مستقل •

وتسأل مرة أخرى : لماذا نشيد الإنشاد ؟ وتجيب ان حسين مردان وقع عليه ــ وقد تكون لالياس أبو شبكة يد في ذلك ــ فرأى فيه انسجاما مع كيانه ، وانسـجاما مطلقا معه : مـادة ومعنى ، شكلا ومضمونا ، فيما هو كائن فيه وما يحمله إياه من نفسه ، وما سبق أن جرَّ من جنس انتهى فيـه الى نتيجة في نفسـه وفي المـرأة •

قد تقرأ ــ أنت ــ « نشيد الإنشـاد » فتراه جميلا ، وترى خلالـه الغزل والحب والجنس المباشر وشاعرية الروح • وقد تقف ــ أنت ــ عند

هذا الحد •• ولكن حسين مردان لا يقف ، فهو يفوقك ـ ويفوقني كذلك وبالطبع ـ إعجابا وانسجاما وتأثرا •• وانه لواجد فيه مثلا لما يطمح اليه أو يزاوله من اللغة حقيقة ومجازا ، استعارة وصورة ، وواجد فيه مثلا لما يطمح اليه من الحب أو يزاوله •

وليس المهم الذي زاوله أو يزاوله أو الذي ادعى مزاولته وكان من أكبر أمثلته الصارخة « قصائد عارية » وقد عاث فسادا وعب من المواخير ونهل ، وبلغ من التحلل ـ قولا وفعلا ـ أقصى أقصاه •

وها هو ذا يقع على « نشيد الإنشاد » فيفهم من هذا السابق من شعراء الملوك « آلاف المباهج التي كان يتمتع بها سليمان في حياته الخاصة » من سلطان وجوار ومال وجسد « المقاصير المشحونة بأجساد الجواري الجميلات وجميع الخزائن المملوءة بالذهب والجواهر » وفي النشيد ما هو أكثر من ذلك وحسين مردان أسرع الى ادراكه من غيره ، وربما خفي على كثيرين ، وخفيت مع ذلك رقة الدين • ولنتذكر حسين مردان صاحب « قصائد عارية » • وهنا يلتقي اثنان في الشبع المطلق من أمر يجوع اليه الانسان ويتوق اليه اذا حرمه• ليكن الالتقاء واقعا لدى الطرفين، وليكن متخيلا لدى طرف دون طرف وبلغ الخيال فيه مدى الواقع المنطلق من الواقع •• ليكن لان المهم هو الاكتفاء •

ثم ماذا رأى حسين مردان في « نشيد الإنشاد » وقل في « سليمان » الفاسد ؟ ان كل شبع الى تخمة ، وكل تخمة الى ضيق بزاد يتخم وحنين الى زاد متخيل لا يتخم يوميء اليه واقع • ومن هنا رأى حسين مردان في « نشيد الإنشاد » ما كان يراه لنفسه وحرص على أن يكون لسليمان ما يحرص على أن يكون له ••• والطماح الى غير الموجود ، الى المثل ، الى امرأةمن نوع خاص عندما تُحب (بكسر الحاء) وعندما تحب (بفتح الحاء) : « كل المقاصير (•••) وجميع الخزائن ••• لم تشبع الظمأ الروحي

الذي كان يحس به سليمان • فهو من ناحية يشعر بحاجة الى نوع من الجمال الحقيقي (•••) ويود من ناحية أخرى أن يكون الشخص الكامل الذي رسم صورته في أعماق شعوره • وقصيدته « نشيد الإنشاد » تفسير لا شعوري لهذا الصراع الداخلي ••• »

ان إدراك حسين مردان للاشعور سليمان نابع من خلال لا شعوره هو نفسه •

وهما يلتقيان زيادة على ما التقيا عليه في العظموت ، فسليمان يقول : « أنا سليمان » « سيد العالم » ، وحسين مردان يقول : أنا « المارد الجبار »• وسليمان يريد من «الحبيبة» أن تدعوه بـ « تعال يا حبيبي ••• سأعطيك حبي»، ويريد ـ من حيث لا يريد ـ أن ينزل لها عن كبريائه ويبدو طبيعيا معها وهي تلح في الممانعة :

آه من حبك يا « شلوميت » « أنت جميلة يا شولميت » أجمل من سلطتي ، وأبهى من التاج الذي أضعه على مفرقي ، فاقبلي بي »

والخلاصة : اذا كان « نشيد الإنشاد » لدى سليمان ردا على حياة التحلل ، فهو لدى حسين مردان رد على « قصائد عارية » واذا كان سليمان قد رد على واقع « عاشه » فيمكن أن يكون رد حسين مردان شبيها بذلك واقعا أو تخيلا • ان حسين مردان وجد في « نشيد الإنشاد » ضالته بالمعنى الذي فهمه منطلقا من ذاته • سليمان له ما شاء من النساء ، ولكنه يبحث عن واحدة بعينها لم يجدها في هؤلاء النساء ، واحدة يحبها وتحبه ، جسداً وروحاً ويكون معها سليمان آخر هو الذي يريده مثالا له يكونه ، فاذا كان حسين مردان واقعا كواقع سليمان فذاك ، واذا كان خيالا ، فذاك أيضا••

وكان مثار سليمان الى طماحه الجديد الذي غلب عليه وأشعره بنقصه هو « شلوميت » ، فحسين مردان ـ وقد شبع ـ يحن الى مثلها ، وقبله كان لصاحب سدوم (الياس أبو شبكة) غلواء :

وحق روحك ، يا غلوا ! ولو غدرت بي الليالي وأصمت قلبي النوب
إن كنت في سكرة أو كنت في دعر ومر طيفك مرّ الطهر والأدب

ولا غرو ، ولم يكن الياس بدعا حين قال :

ان في قلبي البغي خيالا من عفاف ما فاجرته البغايا..

ثم لماذا نستكثر على حسين مردان أن تكون له شلوميته أو غلواؤه ، لقد شبع فجورا ، وتغير نمط تفكيره ، وخالط مجتمعا جديدا .. وإلا فمن تكون « نازدا » إذاً ؟

ونحن هنا في مرحلة من نشاط النشر ، وربما من عام واحد هو عام ١٩٥٥ ، فيه المقالة النقدية حيث كتاب « مقالات في النقد الأدبي » وحيث يقع الجواهري هدفا مباشرا لمرماه ! مع ملاحظات نقدية في الشعر والقصيدة والكلمة ذوات بال في بابها وفي الدلالة على انسجامه مع مفهومه .

وأصدر « العالم تنور » من النثر المركز .

ثم أصدر (١٩٥٦) « رسالة من شاعر الى رسام » نثرا .

وأصدر عام ١٩٥٨ ديوانا سماه « الأرجوحة هادئة الحبال »

بارك في مقدمة كتبها له تحطيم القافية وتجزئة التفاعيل ودعا في حماسة الى تحطيم الوزن كما دعا الى موسيقى خاصة ونعلم أن لحسين مردان سابقة منها في أعماله السابقة ممثلة خاصة فيما سماه النثر المركز ، ومثلها وضع الثقل على «الكلمة» (المفردة) وما فيها من طاقات شعرية رأينا أطرافا من رأيه فيها في كتابه « مقالات في النقد الأدبي » ، ويقول هنا : « ان الموسيقى..تكمن داخل الكلمة نفسها ، لان الكلمة ارتباط نغمين ببعضهما ! قد يبدو الحرف المجرد شيئا جامدا ولكنه في جوهره حركة بالاضافة الى أنه صوت « نغم » له رنين خاص يرسم في تموجاته المستقيمة « شيئا ما » غير محدد .. وعند ارتباطه بحرف آخر يحدث تفاعل لغوي يولد منه كائن حي له مقوماته وله معناه وله نبضه الموسيقي المعين ، وهذا الكائن الجديد هو « الكلمة »

والكلمة ذاتها تتمدد ويتسع أفقها عندما تشتبك اشتباكا عضويا بكلمة أو كلمات أخرى • ومن طريقة استعمالنا للكلمة ينبثق أسلوبنا الفني في التعبير (•••) والشاعر الفنان هو الذي يعرف كيف يجلس الكلمة في موضعها !••• »

رأي متمكن من تفس حسين مردان ويسعى جاهدا ـ في حدود موهبته ـ الى تطبيقه • ولا بد من أن يرجع وصوله اليه من قراءات هنا وهناك ، لبنانية أولا وهو المعجب بالياس أبو شبكة ، وفي لبنان أشياء من الرمزية ثم جاءت مجلة شعر (وقد صدرت عام ١٩٥٧) استطابها ورأى فيها تميزا وجدة فناقشها وتناقش معها ••• وعليه فيها آثار من مفهوم « الرمزية » الفرنسية كما تلقفها عن لبنان •••

واذا كان لاحساسه بهذا الرأي مكانه من ديوانه « الأرجوحة » (كما كان له مكانه في أشعار سابقة) ، فانه زاد عليه ما وصله به من سمات سريالية ـ لم يكن هو بعيدا عنها ـ فقال : « ان الوزن يمنع الشاعر عن التعبير عن العالم السفلي بطريقة انسيابية ـ التداعي ـ فيفرض العقل سيطرته الكاملة !! (•••) فأنا ـ كشاعر ـ أحس أحيانا بأشياء صغيرة جدا في مطاوي نفسي البعيدة لا أستطيع نقلها الى الورق كما أحس بها ، لان الوزن يمنعني من ذلك ، لانه يجعلني في حالة وعي دائم في الوقت الذي أحتاج فيه الى خنق ذلك «الوعي» لأدع روحي تقيء ارتعاشاتها كما هي عندما كانت في مخبئها السري • لذلك خلقت « النثر المركز » خلقاً لأهرب من وجه الوزن الكريه بل اني منذ اليوم لن أنظم الشعر الموزون لاني أريد أن أقذف ما في نفسي وأعماقي دون تشويه •! (•••) على الشاعر (•••) اليوم أن (•••) يهبط الى الاسفل ويدخل رأسه في كل حجيرة من كيانه ليفهم سر الحياة ويعبر عن كل ما يضطرب في أبعاد النفس ••• »

ونقرأ « الأرجوحة هادئة الحبال » ونرى أصداء لمفهومه في «الكلمة»

مفردة ومركبة ، وأصداء من العقل الباطن ممثلا بصور يراها العقل الواعي متناقضة ولكنها لدى العالم السفلي منسجمةمتساوقة يربطها «التداعي» .. ولكن شيئا مهما ناقض فيه «الديوان» « مقدمته » هو الوزن فالقصائد موزونة ، وزاد على الوزن القافية ... وكأنه أراد بالمقدمة الى ما بعد الديوان ، وكان حقها ـ لو صح ذلك ـ أن تأتي خاتمة ... مع الكلمة التي وجهها « الى القراء » ويرى فيها ان « بعض الكلمات العامية تحتفظ في داخلها بكمية كبيرة من التدفق اللوني واللهب المشرق والموسيقى الحارة .. ولذلك أدخلت بعض الكلمات العامية مثل قديفة وشيف ونفنوف ... » ولا بد من أن يكون قد تنبه الى ذلك لدى مراجعته ديوانه هذا ، ورآه صفة خاصة له ، وكان قد اختار كلمات عامية قبل ذلك أيضا .

وديوان « الأرجوحة » يقدم صاحبه خلال تيارين سائدين فيه من عالم المرأة وعالم المواطن .

ونراه ـ وليس هذا جديدا ـ يكثر من التفكير بالموت والحياة والخلود ، ولكن الجديد أن يندب سوء حظه (ص٧٩) ويبدو عليه الحزن ويخالط نبرته الحرمان ... فلم يكن المارد السادي كما كان في « قصائد عارية » ماردا فعلا ،وإنما هو هنا مارد يشكو فلا يسمع غيرالصدى(ص٢٣):

وأنت يا أنت
يا فوهة التنور .. يا أختي
في الشوق والموت
يا ضربة الكبريت للزيت
النور لن يشرق من ميت
لن تطلع النار من الميت
فجرنا ؟
لا تفزعي : الفجر لن يأتي ـ (ص١٩ـ٢٦)

ان الرجل تغير (ص٢٩) ، وانه يعاني وينزل قليلا ـ وكثيرا ـ من عليائه ويلتقي مع سليمان وأبو شبكة في هذه التي دخلت حياته ويرمز اليها باسم « نازدا » فاذا الرجل رقيق ، ورومانتيكي ... و «حلو» أيضا كما يريد أن يكون في « لاشعوره » خلقة وترفا وهو في الترف إذ يستحيل «حريرا» يزيد من لاشعوره على سليمان ما لم تكن لسليمان حاجة اليه ! وتظل «نازدا» بعيدة عنه « أرجوحة هادئة الحبال » لا تهتز ولا تستجيب (ص ٤٢)

« نازدا » يا من لم يزل
ينساب عطرك في دمي
دمي النقي
لن نلتقي ـ ص ٦٣

انها بعيدة جدا عنه ، وتستحيل عليه : « آه .. لو أستطيع أن أتغنى باسمك الحقيقي ولو مرة واحدة فقط .. يا .. ـ ص ٢١ » انه سينساها أو يتناساها أو يقتلها في نفسه على قاعدة جدّت عليه : « إذا لم يتوصل المحب الى العنقود ويشربه ! فمن الخير له أن يقطع شجرة الحب من قلبه ـ ص ٦١ »

أما التيار الثاني ، تيار المواطنة ضيقة في محليتها مندّدة بالحاكم الجائر والمستعمر الدخيل داعية الى النهضة حد الثورة التي تنصف الكادحين من فلاحين وعمال وفقراء وتشيع في الارض السلام ... وهي لدى التحقيق ليست ضيقة حتى في هذا ، فكيف اذا إتسعت الى ما هو أوسع في الجزائر وفلسطين وفي العالم .. وهو في نبرته كالشاعر الملتزم إن لم يكنه : « لن أحترم العالم وفي الارض طفل واحد منكسر العينين ـ ص٥٨ » و « ان الذي يضع البذور في الارض ويقف أمام قرص الشمس ليشاهد نموها .. هو وحده الذي يستحق أن يأكل الثمر ـ ٦٩ »

ان التغير في مفهوم الرجل ومسلكه شرع يتضح فهو أقل نزقا وأكثر إصغاء للتجارب .. وحين يصل الى هذه النقطة يبدأ ــ وهو الجبار في نفسه ونظره الى فنه ــ يتزعزع قليلا . وليس سهلا أن يزفر مثل قوله : « آه لو أستطيع أن أقنع نفسي بأن ما سيبقى مني بعد ألف عام سيشعر ولو قليلا بالحياة ــ ص ٥٣ »

ويوالي النشر في الصحف ، وفي جريدة «الأخبار» خاصة .

وتتوطد مكانته الأدبية ، ويلتف حوله عدد من الشباب ، ويواصل وإياهم النقاش الادبي الذي لا يكاد ينقطع ، مواصلته «مقالات» تعليمية . وهو مع تمرده وتشرده في موقف المعارض للحكم القائم ، ومع « جوعه » لا يكاد يشبع من الحديث مع صحبه عن قضايا الأدب والفن والاستماع الى ما نظمه فلان وما كتبه فلان ، ويبقى للمسألة الوطنية خلال هذا أو هذا مكانها . وتأتلف العوامل كلها لتولد منها فكرة العمل على لم شتات الأدباء في رابطة أو جمعية .

وحين قامت ثورة الرابع عشر من تموز كان معها :

لقد تهاوى عرش المخاط
وسقط العنكبوت ..
فلم يبق من يحسب أنفاس الشعب
ويرسم نظرات الأحرار بالتقارير
وأخرج الناس رؤوسهم من الكهف ..
وانطلقت الهلاهل نحو الشمس ...

متذكرا ما كان قبلها من قيود :

وعندما كنا نشعر بالشوق
الى الحرية نحسد نزلاء السجون

وهو مع الأدباء الساعين الى تأسيس « اتحاد الادباء العراقيين » .وحين

أسس الاتحاد (١٩٥٩) كان عضوا بارزا في المكان المرموق من هيئته الادارية.
ولقد تهيأ لي أن أراه عن قرب فاذا هو طيب ، أديب ، متابع ، شاعر، جاد، مخلص يلتف حول مائدته الشباب وله من آرائه ــ وخاصة ما يبدو خارقا أو خياليا ــ ما يمنحه شخصية أصيلة .

وكان من آرائه التشدد في قبول الأكاديميين فهم ليسوا أدباء ، ومكانهم ــ من ثمّ ــ الجامعة .

ومن شواغله مناصبة الجواهري ــ حضوراً أو غيابا ــ المشاكسة والمدافعة بعامل من جبروته بنفسه وكان الجواهري يجامله ويلاينه ولا يخاطبه إلا بأبي علي وبلهجة فيها حب و « تدليل » .

ولم أره في الاتحاد إلا ضابطا للمواعيد حسن السيرة بعيدا عن العربدة وأيٍّ مما يشاع عنه .

وأصدر عام ١٩٥٩ كتابا سماه « هلاهل نحو الشمس » وصف نمطه بالنثر المركز ، وهو في حقيقته نثر اعتيادي رسم على شطور متوالية غير متساوية الطول كأنها الشعر الحر دون أن تعكس شاعرية . انه في مجمله كلام مباشر ، على خلاف عادة صاحبه في غرابة الصور وتحويل العاطفة الى تعبيرات ذهنية أو مجازات تكاد تفقد الرابطة بالحقيقة . انه اندفاعا أكثر منه فنا .

دخلت إحدى القصائد (حدائق العراق) في الكراس الرابع من « أماسي الاتحاد » وفيها يقول : « اني لكل الناس في الدنيا صديق » ولكن فيها ضربا من سخط وتهديد ، ظهر على وجه أدل في قصيدة ثانية كان يجهد للنظ « السين » من قافية ترد فيها .

ان سخطه لا يعني انكاره الثورة من حيث هي ثورة ، وها هو ذا يصدر عام ١٩٦٠ ديوانا من الشعر الحر ، تتصدره قصيدة عمودية ،يسميه « أغصان الحديد » : « الحديد هنا رمز للقوات العراقية المسلحة ، أما

الاغصان فترمز الى ثورة ١٤ تموز الخالدة » التي جاءت لتقضي على الظلم والذل والخوف « فاستيقظ الرقص في أقدامنا » واذا « الماء في الفرات نور » ... وتتهيأ له سفرة الى «التبت» فيرى عاصمتها « لاسا » فتسحره فاذا واقعها خيال واذا الخيال صورة تلخص مشاعر البهجة والفرح :

... حيث المدى
زجاج يسيل عليه الشذا
وحيث تنام النجوم
على وجنة الثلج والمنحنى ...

وحين شرع « الاتحاد » يصدر مجاميع المختارات ، كان حسين مردان في المجموعة الاولى : « قصائد مختارة » ممثلا بقصيدتين اختارهما هو نفسه ، هما : « الحب والموت » و « الى صانعي الإبر » وقد وشح ترجمته المختصرة التي تصدرت القصيدتين بشهادات محببة اليه تنهض على طرفين هما : البودليرية والتقدمية ، وطرف ثالث يدفع عنه « الوجودية » غير الانسانية .

ويوالي النشر في الصحف مقالات نثرية (تنظر جريدة «الاخبار») .

وتتوطد مكانته الأدبية ويلتف حوله عدد من الشباب ، فهو عضو دائم في الهيئة الادارية لاتحاد الأدباء العراقيين يواصل ارتماش الادبي فيه وفي كل مكان من مقهى ومشرب .

ولم ينقطع عن الفكر الأدبي والحياة الادبية والقراءة والكتابة وكتابة المقالة الصحفية في مواد الادب والنقد الادبي خاصة ، والشعر الحر والنثر المركز .

وفي الستينيات (١٩٦٧؟) صدر له في بيروت ديوان سماه « طراز خاص » ضم قصائد لم يسبق أن نشرت له في ديوان ومختارات من دواوين سابقة . ولا بد من أن يكون لوجود بلند الحيدري في بيروت وعلاقته

الخاصة بالمكتبة العصرية من مكتباتها دافع مباشر للجمع والنشر .

ولا بد من أنه يشير بالاسم (طراز خاص) الى تميزه بين الشعراء إن في طراز النظم وإن في طراز الحياة التي تغذي ذلك الشعر . وكأنه يدعو الناس والنقاد الى أن ينظروا اليه كذلك من خلال طرازه الخاص وليس من خلال آخرين كالجواهري أو السياب .. أو ... أو ... ان له شواغله بفهمه الخاص للانسان والخلود والمرأة والالتزام ، ونهجه الخاص في الكلمة المفردة والمركبة وفي الاستعارة والصورة ولا بد من أن يفسر تباعد الصور سرياليا ، ووحدة الشعور في اللاشعور .

والحقيقة أنه لا يمكن أن يدرس حسين مردان ويعطى حقه موضوعيا إلا عندما يدرس على أنه « طراز خاص » كما هو وليس كما يريد الدارس حين يدخل عالمه الادبي ــ الشعري وهو محكوم بمفهوم سابق جامد فيه ، أو شائع عن الشاعر صدقا أو كذبا ، ما أشاعه هو عن نفسه أو ما أشاعه الآخرون .

وصحيح أن « شخصيته » ــ كيفما فهمها الآخرون ــ أبرز ما فيه ، وانها لتطغى على شعره ، ولكنه يبقى شاعرا ، ينظم ، وينشر ــ ولو على قلة ــ .

وكان خلال ذلك يسافر ، ويبعد في السفر ، والى الاقطار الاشتراكية خاصة ، ويشترك في المؤتمرات ، وإذا حضر في بغداد كان الأدب شاغله الاول والاخير ...

ومن هنا ، كان سنة ١٩٦٩ أحد أعضاء الهيئة المؤسسة لاتحاد الأدباء في العراق ، ثم عضوا في هيئته الادارية .

وشرع يرتبط ــ بوجه من الوجوه ــ بمجلة « ألف باء » (الاسبوعية) واتفق ورئاسة تحريرها على الكتابة فيها أسبوعيا ، ونفّذ الاتفاق منذ شباط ١٩٦٩ يزودها أكثر ما يزودها بالمقالة ، فان تعذرت المقالة أو تيسر غيرها من

شـعر حر أو نثر مركز أحله محلها ليسد مسدّها .

وحاول أن يلتزم بالموعد الاسبوعي على أقصى الإمكان ولكن الالتزام التام يستحيل على امرىء اسمه حسـين مردان ، ورئيس التحرير (الاستاذ عبدالجبار الشطب) يعرف ذلك سـلفا ولكن لأمرىء اسمه حسـين مردان معاملة خاصة ومنزلة خاصة ـ يتدلل أبو علي .

من المقالات ما كان نثرا تعليميا يوصل مادة أو خبرا أو رأيا ـ شأن مقالات كثيرة له زاولها من قبل على صفحات جرائد كالاهالي والاخبار . ومنها ما هي الشـعر نفسه وكأن صاحبها حين يقدم عليها لا يعلم أنه يكتب مقالة وانما يكتب شـعرا ويكتبها شعرا ـ فعلا ـ تخـرج به ـ في أعلى أمثلتها ـ عن المقالة ، وتفوق أحيانا ما يقدمه على أنه شعر شعر ، فهو في هذه القطع النثرية التي تنشر على أنها مقالات يبث لواعجه وآمالـه ويذيع تجاربه ونوازع خواطره فهي شعر جاء على صورة النثر وفيها أعلى سـماته الشعرية روحا من الطفولة والفرح والدهشة والانسانيية والسـمو بالفن وامتصاص الرحيق مما يقرأ ويشـاهد ويتأمل ، وفنا من الكلمات الموحيـة حتى لو لجأ معها الى العامية والتركيبات الخاصـة به على تشبيهات غريبـة واستعارات عجيبة وصور لا تمر بغيره وبغير عقله الباطن ونمطه في الروابط السريالية . لك أن تبحث عن شاعرية حسين مردان في شعره ولكنك تجـد هذه الشاعرية على أعلاها وفي وجهها المتميز في المقالة التي تخرج عن اطـار المألوف من المقالة المبدعة .

وتوالت المقالات من كل نوع ، واختار مما نشره مجموعة جعل عنوانها « الأزهار تورق داخل الصاعقة » وقدمها الى وزارة الاعلام فأقرت طبعها على حسـابها ودفعت بها الى المطبعة ، فأخذت صورتها الاولى وصححت تجاربها ، وقبض الكاتب نصف المكافأة ... مع الاستمرار على منهجه في الكتابة لألف باء : مقالة وإلا فقصيدة أو نثرا مركزا ..

لقد شرعت أحواله تتحسن كأن صار له بيت ومورد

بل إنه عـيِّن في أواسط عام ١٩٧٢ (تموز؟) في منصب معـاون المدير العام للشؤون الثقافية في المؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون (وقـد ينتفع الباحثون باضبارته في المؤسسة) وتتسع دائرة تفاؤله ويدخل فيها حسـن الظن في حال الأدب في الوقت الذي يراها آخرون راكدة تدعو الى التشاؤم.

تبقى صلته بألف باء حيث كانت ، وإن روي عنه قرار بالتوقف عـن قول الشـعر معللا ذلك بأنه « وجد نماذج بورجوازية أخذت تتسرب الى شعره وتكاد تخنقه » . وربما كان وراء هذا التعليل تعليل ... ولكننا قد نجد فيما صار يلبي حاجته الفنية من مقـالات بعض التعليل ، ففي أعلى مقالاته ــ كما رأينا ــ شـعر يقصر شـعر القصيدة عنه ويخرج بالقطعـة من النثر الى الشـعر .

وربما كان القرار نزوة عابرة شـأن ما يراود غيره من الشـعراء لسبب وآخـر ... وكان يكفينا منه ــ على أية حال ــ وجـوده ، ويكفينا من وجوده شـعره المقالي المبدع ... متمنين لأبي علي الاستراحة بعد النصب والاستقرار بعد القلق . وهو تمن فقط ، لان حسين مردان الجديد ــ مهما يبلغ من الرضا ــ لن يتخلى عن حسين مردان القديم ، الأصيل فيه ، أو ان القديم نفسـه لا يتخلى عن الجديد .

ثم إن الذي تتمناه نحن ليس القاعدة النافذة ...

وإلا ففي أواسط أيلول فاجأ أبا علي « قلبه » ولحق داؤه الجـديد بالنقرس القديم ... وبالتعب الطويل القائم على التشـرد والتمرد والكبر والمكابرة خـلال خمس وأربعين سنة هي قصيرة في تأريخ غـيره طويلة في تأريخه ... وها هو ذا بين استسلام « بأني انتهيت » وجبروت « بأني لن أهزم ... » ، ومن حوله صحبه يحوطونه بالحب والأمل ... والضحك .

« وتقدرون فتضحك الاقدار » ويلفظ آخر أنفاسه في فجر الرابع من تشرين الأول من سنة ١٩٧٢ على سرير في مدينة الطب .

كان فقده فاجعا لعارفيه ... فأعقب رثاء مرّا صادقا .. ووعودا بجمع آثاره لإعادة طبع المطبوع والمباشرة بطبع المخطوط . وقد قيل إن في مخلفاته ديوانين مخطوطين . وقد يكون أحد هذين الديوانين المخطوطين ما قيل عن ديوان له جمع فيه « قصائد كتبت بين عامي ٦٧ و٧٠ ... أودعه في دار الآداب ببيروت للطبع ، ثم سحبه منها قبل وفاته ولم يطبع ... » .

ولم ينفّذ شيء من الوعود ، واذا كانت « الأزهار تورق داخل الصاعقة » قد صدرت في اليوم التالي لرحيله ، فلأنها كانت تنتهي من مراسيم الميلاد حين انتهى هو من الحياة .

تلك مادة رأيناها في بدء الكتاب ، ونكررها هنا لرابط جديد بعمل جديد ، ولا يمل تكرارها لطيب الحديث عن الراحل العزيز ولأنها المنبه الدافع لطيب ذكراه ...

وتكرر في كلمات الرثاء ــ وهي أعلى ما يمكن من الإخلاص وحسن الظن ــ الثناء على طيبة الفقيد . وأستطيع أن أزيد على الطيبة الذكاء الخاص .

ونكرر أن « اسمه » ذاع اجتماعيا ، في المجتمع الأدبي ، في الحركة الأدبية ، أكثر منه شاعرا ، وان اسمه اذا اقترن بالشعر فهو شاعر فقط ، كأنهم يريدون به شاعرا متوسط الطبقة بين كثيرين من أمثاله من شعراء عصره . وأستطيع أن أقول إنه أكبر من ذلك وانه فاتحا أكثر منه تابعا وله في جرأته على طرق موضوعات محرمة ورسم صور جادة ما يجعله رائدا وما يضعه موضع المقلَّد (بفتح اللام) وأخشى أن يكون موقعه في المجتمع الأدبي جنى على تأمل عناصر الأصالة في شعره فخسر بذلك الطابع الاجتماعي أكثر مما ربح ... واذا كان كثير من الناس لا يأخذه مأخذ الجد لطابع

من سلوكه وحركاته وقوله فان هذا المأخذ يمكن أن يمتد الى شعره كذلك . أحسب أن الزمن القادم سيكون أقرب الى الموضوعية ثم أقرب الى الإنصاف ثم أقرب الى رفع حسين مردان درجة (واحدة في الأقل) .

ان حسين مردان في الشعر أكبر مما كان . وانه أجرأ شعراء بلده في تجديد الصورة واقتحام المعنى ومزج السريالي بالرمزي بالواقعي بشاعرية تترفع عن التكلف أو الشعوذة .

وسيجد دارس متأمل في حسين مردان أصالة وتفوقا وريادة ، وسيجد ان آخرين — لا بأس بعددهم — قد تأثروا به ، واستمدوا منه ، وقلدوه . وقد يصرح هؤلاء يوما ما — وتلك الدراسة آتية لا ريب فيها .

وأكرر أن المكانة الاجتماعية الأدبية التي ذكرها المقدرون لفضله هي ثمرة أدبه ولم يكن أدبه ثمرة لها . أريد الى أن الصبغة الاجتماعية التي اقترن بها اسمه من الجنس والعظموت والتشرد والطيبة والجرأة هي التي جارت على تقدير «شاعريته» تقديرا صحيحا ، وليس العكس . وسيتضح ذلك اذا أخذ الدارس شاعرية حسين مردان مأخذ الجد .

★ ★ ★

وشعره الآخر الذي هو ليس شعرا بالمعنى الرسمي ، فما هو بالعمودي وما هو بالحر التفعيلي ، وما هو بشعر كذلك برأي صاحبه نفسه ... وقد زاوله مبكرا فكان منه بمنزلة الرائد قبل أن يعرف له اسما فما هو من « الشعر المنثور » لأنه ليس منه لدى مقابلته بين الاثنين روحا ...وما هو من « قصيدة النثر » التي لم يسمع بمصطلحها ... وانما هو شيء منها بقدر ما هو شيء من الشعر المنثور قبلها .. أي انه برأي صاحبه ابتكار في الكتابة استوجب ان يبتكر له اسما هو « النثر المركز » ..

واذا تركنا البحث عن الجذور وخففنا درجة الابتكار وخففناها لبقي

منه لصاحبه براعات وبداعات ، على حين قصّر فيه غيره من كثيرين زاولوا الشعر المنثور قبله وقصيدة النثر بعده والنثر المركز معه وتأثرا به .

هذا « النثر المركز » شعر آخر في روحه ، إذا آمنا بأن الشعر روح أولا . جوّد فيه وعبّر به وصوّر . وسيجده من يتأمله جديرا بالدرس . وليس من ذنب حسين مردان إن أخفق الآخرون في قصيدة النثر ... لأنهم جاءوا اليها ناثرين ولم يأتوا – كما أتى – «شاعرين» .

★ ★ ★

أما شعره الآخر ، في مقالاته ، في قطع من « الأزهار تورق داخل الصاعقة » وقطع من « من يفرك الصدأ ؟ » فقد فرغنا منه اذ رأيناه يخرج في إبداعه عن دائرة المقالة المبدعة الى الشعر المبدع . وهو وحده مجد أدبي لعله أندر من غيره في العراق خصوصا ، وقد قل حظ المقالة المبدعة فيه .

ويبقى أنه لا بد لفهم حسين مردان من تأمل آرائه في الأدب والفن ، وهي منبثة في مقالاته – مما جمع أو لم يجمع – وأقواله ، وأشك أن يكون شاعر عراقي له في ذلك مثل هذا الثراء ، وهذه الأهمية والدلالة على الاخلاص والانسجام . واذا درس حسين مردان شاعرا ومقاليا وقاصا ... فليدرس ناقدا على وجه من التعمق ... وسيصل الدارس الى سلك ينتظم الحلقات وشخصية واحدة تسود الأنواع .

والخلاصة التي نفهمها من جملة هذا الكلام ضرورة لعناية خاصة بحسين مردان أديبا شاعرا كاتبا . وتستلزم هذه العناية الجد في النظر اليه والى آثاره والانطلاق معه من حيث هو وليس من حيث نحن ، ومن مقابلة شعر بشعر وليس من جور شاعر على شاعر ..

وكنت – وما زلت – أرى في الناقد المبدع عبدالجبار عباس المؤهل لهذه المهمة ، وشافعي الى الرأي – غير ما أعرفه في الاستاذ عبدالجبار عباس من موهبة – مقالان له عن حسين مردان . واحد بعنوان « حسين

مردان والقصة القصيرة » (ينظر في كتابه : في النقد القصصي • بغداد • وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨٠) وثان بعنوان « نظرات في أدب حسين مردان » (ينظر في كتابه : مرايا جديدة • بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨١) وقد يقوم الناقد المبدع بما هو من شرطه •

وفي الانتظار ••• لدينا ما يحسن قوله تضافرا في الجهود وتعاونا على المهمة • فقد علمنا أن الاستاذ عبدالرضا علي أعد العدة لبحث حسين مردان واستبشرنا خيرا لما نعهده في الاستاذ عبدالرضا علي من فهم علمي لحالة اسمها حسين مردان الشاعر في الأدب العراقي • ويبدو أن حوائل أكاديمية حالت دون التعجيل بالمشروع •

وكان من أمر ملف مجلة الأقلام (في عددها بكانون الاول ١٩٨٤) ما لم يعد مجهولا في خطوة جادة نحو هدف أكثر جدا • وكانت « مقالة » « حسين مردان مقاليا » خطوة لي في الجد جرّت الى خطوة أخرى ـ رأيناها ـ هي الدعوة الى طبع آثار حسين مردان ، وجمع ما لم ينشر له في كتاب من آثاره في ألف باء ليصدر عن وزارة الثقافة في كتيب ••وقد رأينا من آثار الاستجابة لهذه الدعوة « مقالات » القسم الثاني من هذا الكتاب •

ثم جاء الأثر الثاني وهو قرين قسم المقالات بقسم آخر « للشعر الحر والنثر المركز » ••• وكاد هذا الجمع يدعو الى دراسة « الشعر » مقدمة للباب كما كانت « دراسة » المقالة • كاد ، ولما •• فقد رأيت ذلك يطول، وان ليس لي من الوقت ـ وربما من التفهم المطلوب لحسين مردان ـ ما يفي بالواجب • وشجعني على الوقوف عند «الجمع» ما علمته من شأن البناء الجديد الذي أجراه الدكتور جلال الخياط لكتابه « الشعر العراقي » استعدادا لطبعة ثانية يأتي « حسين مردان » فصلا مهما فيه يعكس فهما صحيحا لشاعرية الشاعر •

ثم مشروع « دار الثقافة العامة » بـ سلسلة للأعلام العراقيين يأتي حسين مردان بينهم ويوكل «أمره» الى أديب ناقد هو الاستاذ حاتم الصكر لا أشك في قيمة ما سيكون من أهمية عمله ٠

فاذا زدنا على أولئك ما يعده الاستاذ ماجد السامرائي من «مختارات» حسين مردان ٠٠٠ أدركنا التنبه الى مكانة حسين مردان وحققنا خطوات نحو هدف أبعد في إعادة طبع المطبوع من كتب حسين مردان وإعداد ما لم يطبع في كتاب (وخاصة مقالاته ، ومنها ما يحتل من النقد مكانا جديرا بالاهتمام) للطبع ٠٠٠ ثم الدراسة ٠٠٠ أما الأمل في أن يكون حسين مردان موضوعا لرسالة أكاديمية فهو بعيد جدا ٠ وما التقى حسين مردان والاكاديمية يوما ما ـ ولا يستحيل أن يلتقيا ـ خارج العراق أولا !

وبانتظار تلك الدراسة أو ذلك اليوم نعمل المستطاع ونهيء الممكن بما يصل المنقطع ويذكر المنسي وينير السبيل ٠

ومن هذا المستطاع هذه الآثار « التسعة والعشرون » بين نثر مركز وشعر حر ، هي آخر ما جرى به قلم حسين مردان أو من أواخر ما نشره ٠

واذا كان جمع هـذه الآثار يحفظها من الضياع ويقربهـا من الأيدي والعيون والقلوب ، فانها تقرّب القارىء مرة أخرى ، وعلى وجه أصح ، من شاعرية حسين مردان وتريه أشعة مما تتمتع به هذه الشاعرية من صدق وبعد في الغور وحدة في الصورة ٠ ويلتقي في ذلك النثر المركز بالشعر الحر وربما فاق النثر المركز أخاه أصالة وجدة ، ولا يهمنا بعد ذلك تصريح حسين مردان ان النثر المركز نثر وليس شعرا حين نبحث عن جوهر الشاعرية لا شكلها وإلا فقد سبق ان رأينا الشعر في المقالة ورأينا المبدع من مقالاته شعرا لا مقالة ٠٠٠ مع ما لمقالاته التعليمية ـ الصحفية من فوائد في الدلالة عليه وعلى فكره ومجتمعه ومن فوائد خاصة لنظرية الأدب والفكر الأدبي٠٠ أجل ، وتبلغ « من يحرك الصدأ ؟ » ذروة الشاعرية ولا نعدم في المقالات

ما يقرب منها ، ويست اليها في صورة أو تعبير أو اهتزاز ويصعب أن تكتب قصيدة في مدينة كما كتب حسين مردان في بيروت أو دمشق أو تبريز أو روما حبا وهياما ودهشة وطفولة من واقع الرجل المفكر المتأمل المثقف الانساني الذي يطلب السعادة لنفسه وللآخرين ولك أن تقول إنه يطلبها للآخرين من خلال نفسه والعكس محتمل •

أكرر مرة أخرى ضرورة دراسة حسين مردان كما هو وليس كما يتحكم به الدارس أو تتحكم الشائعات ، وان الدراسة الموضوعية المنسجمة مع شاعر من «طرازه» الفني يمكن أن تكشف كثيرا من الأسرار وتعيد للشاعر كثيرا من حقوقه وقد يكون من هذه الحقوق بيان أثره في الآخرين من حيث يدري هؤلاء الآخرون أو لا يدرون وليت الأحياء منهم يصرحون بهذا الأثر • ولقد أدركت شيئا منه وأنا أقرأ شعره ونثره المركز في « ألف باء » وأقرأ ما نشرته « ألف باء » خلال ذلك من شعر •

واذا وجد من سبق حسين مردان في النثر المركز باسم الشعر المنثور ، ووجد معه وبعده في النثر المركز باسم قصيدة النثر فان حسين مردان يبقى مجلياً •

•• أحسب أن الزمن مع «شاعرية» حسين مردان ••

ولنقرأ :

تكاد قطع « النثر المركز » تؤلف كلها قصيدة واحدة ، يتكرر فيها الجو بصيغ مختلفة ، وتستعاد الحالة النفسية الضائقة في صور متجددة ، فهي تؤثر بالجو وتنفذ الى النفوس بالصور • الجو غير محدد ولكنه غائم مبتئس وقد يومىء بشعاع ضئيل ، والصور كابية ، رمادية تبلغ السواد وقد تومض بشرر • والسبب واحد ، والحال إشارة الى وحدة الشاغل على المدى ، وشاغل الرجل في شعره أكثر مما يرى في حياته وسلوكه • شاغله الانسان وقل المجهول البعيد الذي يهم أن يصل اليه من خلال المعلوم المتيسر

فيزداد بعـدا ، فيستعيض عن المعلوم المتيسر بالخيال الطـري الذي يقتل الأشباح ولكن « العسل المدفون في الخيال يقتل روح اللهب » فما العمل، وقد يبدو الخيال مبالغة مع أنه في حقيقته واقع في نفس صاحبه . وصاحبه امرؤ طالب معرفة ، وهو في هـذا الطلب يختلف عمن حوله من شـعراء ، ويتفق مع شعراء غربيين وعلى رأسهم بودلير لم يفهموا جيدا في حينهم ،ولم يُدرك ما وراء الغلالـة التي تلف أفكارهم التي هي إحساسات ومشـاعر وعواطف وانفعالات و«إشراقات» وليست الفلسفة التي اعتادوا منذ العصور الاغريقية . وصحيح أنه متأثـر بهؤلاء الغربيين فيما قرأ لهم مترجما وفيما ألمّ به من شؤونهم ونظراتهم ، ولكن الأكثر صحة أنه وإياهم لقاء مـزاج بمزاج ، لقاء بوهيمية مفكرة ببوهيمية مفكرة . واذا كان الأمر كذلك كان حيرة عميقة تضيق بها كلمات الناس لأنها ليست من حيراتهم وإلا فما بـال كلامهم لا يفهم رياضيا ، وما بال تأثيرهم لا يقع بالمعادلات . ان حروفهم هي حروف المعجـم ولكن تكوينها غير التكوين المعجمي ، وهي حـروف الشـعراء السابقين ولكنها تضيق بما تحتمل على سلاسـة في جريانها فيأتي الحاصل شيئا آخر وشعرا من « طراز خاص » جدا : تُحسّه وتتأثر به فاذا انتهيت من القراءة لم ينته منك التأثر وقد امتلأت بما لا تشخصه ، وحين يصعب تشخيص المرمى عليك يمكث في أعماقك الأسى والحزن اللذان تمكنا ــ قبلك ــ من صاحبهما الشاعر بسبب من أسباب التوق الى المطلق الذي دهمته الخيبة دون أن تستطيع صـده عن البحث واستئناف البحث لأمـل أخضر يلمحه وراء الغيوم ..

هذا هو الجديد في الشـعر الجديد ، وليس الجديد أن يأتي كلامك حرًّا أو نثرا . الجديد أن تحس ولا تحدد ، أن تتأثر وتحزن حزنا خفيـا هامسـا ولا تعرف السبب منطقيا .. لأنه في الجو الذي تخلقـه الكلمات المحملة بالمعـاني التي لا تدرك إلا وحيا وهمسـا بما تبثه من غموض كأنه

الوضوح وما تذيعه من مألوف يبدو غريبا وما تعرضه من جماد ينبض بالتهويم والإشراق ، ومن متباعدات لديك متقاربات في ذات صاحبها •

هذا هو الجديد الحقيقي في الشعر العربي ، وهو ثمرة الاتصال بالشعر الغربي الحديث رمزيا ثم سرياليا ، على أن يكون الاتصال اتصال أمزجة وليس اتصال ارادة وسعي شعوذة • ولولا المزاج لما تحققت الشاعرية واتضح التميز ولما كانت تشبيهات وصور من نوع « عندما تمد كفها نحو قلبك الحزين خمسة عصافير من لؤلؤ تغرد للظلام » و « على حافة الهاوية وضع التوتر بيضته الأولى ، الصمت » « وانكسرت النار في داخل الغصن » و«الفارس الذي يبدو نظيفا وشامخا كالطاووس انما هو محشو بالروث» ••

اننا مع حسين مردان فيما سماه نثرا مركزا ، وهو نثر ولا شك ، فما هو بالموزون على بحر أو تفعيلة ، وما هو بالمقفى ، موحد القافية أو متعددها ••• ولكنه الشعر في روحه وعالمه ، والشعر الجديد في غموضه الموحي الذي يصدر عن عمق لينفذ الى عمق •

ولم يكن حسين مردان في مقطوعات هذه المجموعة ـ وكما عرفنا ـ حديث عهد بالنثر المركز ، فقد « نظم » عليه كثيرا ، وله فيه دواوين ودعوة ، وقد أخطأ وأصاب ، ولكنه لم يبلغ في نثره المركز السابق من الشاعرية ما بلغه في هذه المقطوعات فكأن شاغله ظل يعتمل في نفسه ويحفر مساربه ، وكأن «التجربة» أتت أكلها فاستحالت طبيعة • ولم أر من شعراء العراق من بزه فيه وحول حروفه الى صور ، وجعل لصوره روحا تهمس•

وهذه المرحلة التي بلغ فيها هذه الدرجة من الشاعرية فيما سماه النثر المركز جاءت كل قطعة فيه وحدة في الباعث الشعوري ـ الفكري وكأنها صورة واحدة منسجمة التشابيه والكلمات والموسيقى وطواعية التدوير وذوبان الحكاية الشعبية وتسرب الأسطورة العالمية ••

ثم تناسقت قطعه المتعددة في وحدة تستعصي على التحديد الرياضي

مطاوعة للظلال الموحية مشيعة للتأثير وهو في النثر المركز هو هو في الشعر الحر . هو هو في المقالة المبدعة .

هذه المرحلة ... هي نفسها التي بلغ الدرجة نفسها فيما كتب على أنه مقالة فجاءت قطعه الأصيلة وحدة ... تلتقي مع وحدة النثر المركز لتكون كلا . ولك أن تقرأ من هذه المقالات (التي هي ليست مقالات) : تقاط على ورق من حديد . وحدي في القفص . لنحطم بيضة العنقاء ـ هذا اذا لم تكتف بالمقالة (التي هي ليست مقالة) : من يفرك الصدأ ؟ ... وتقرأ من النثر المركز (الذي هو ليس نثرا) : العودة الى هي ، عودة التنين ، الموسى ، الدم ... وتلاحظ الوحدة في الشعور والظلال وشغل النفس بالمستقبل الذي يحمل الفرحة بربيع وسلام للأطفال والمضامين اندفاعا من حاضر يعيشه الانسان فيأخذ بخناق الشاعر الباحث عن مخرج له ولغيره . « فلتوجه ريشة القلم نحو الارض ولتحفر الابر للآخرين » ، « ومن التراب وحده صنع الهرم » . ان البحث عن الفرج من أسباب الحزن ، والاعتراف بالعجز عذاب آخر ، وبكاء الأطفال مدعاة لبكاء الشعراء !

ولا بد لصاحب هذا الحاضر من ماضٍ كماضيه

وتأتي مسألة المرأة ـ من حيث هي مثل ـ في الصميم من هذا الشعور وهذه الصور . وكأن الحرمان منها يعدل الحرمان في غيرها ، ويزيد . وتلتقي المسألة بمسألة الموت لدى الخوف منه واقعا أو لدى الاستعلاء عليه حقيقة أو لدى تطلبه في الحياة أو لدى العيش أبديا !.

ولم تكن غرابة « العنوانات » للغرابة فقط ، وإنما لدلالة في نفس صاحبها لا تؤديها العنوانات التقليدية شأن ما رأينا من غرابة الحال وغرابة الصور وغرابة التأثير ، وما رأينا من التقاء مزاج شرقي بمزاج غربي بعيدا عن مظاهر التوقر الزائفة التي تستحيل انضباطا بوهيميا !

هذا هو في القضايا العامة التي تؤرقه : انه الانسان يطلب الخير خلال الشر ،

واليسر بعد العسر ، والشبع بعد الجوع ، والامتلاء بعد الحرمان ، له ولغيره . وطبيعي أن يفهم الخصوص خلال العموم ، فمن طلب الحياة للانسان طلبها لمواطنيه ، ومن هام مقيما ومسافرا ليستكشف ما وراء الحجب لنفسه وللاخرين ، فهؤلاء الآخرون في صميم فنه وإن بدا فرديا فقط فهو وطني وإنساني شأن أي وطني انساني آخر ، وقد يزيد طواعية على كثيرين.

مع فارق لغوي[1] تستدعيه الحالتان بين القضايا الكبرى من حب وموت وخير وإنسان وامرأة وطفل .. وما هو جزء من الكل وكائن من كيان . ان هذا الجزء من الكل وليكن الوطن وفلسطين ، أو الأدب الحديث ورواد الشعر يأتي لدى صفائه بلغة كل الناس تحديدا وتفهيما وإخبارا ويمضي في ذلك حتى يبلغ درجة التعليم وتوضيح الرأي بالشاهد والمثل ، لأن الغاية منه ـ منذ البدء ـ تعليمية فقط ، وللتعليم المعرفي ، والأخلاقي، والسياسي ، والأدبي أصوله وقواعده ، ولا يجهل حسين مردان الاصول وضروراتها ، وهو يزاوله ضمن هذه الضرورات ، واذا كان الامر كذلك خرجت القطع الصادرة عليه عن أن تكون فنا برأي صاحبها ورأي قارئها وناقدها . وأمثلته أكثر وأشيع في المقالة ، وقد تمتد بنسب مختلفة الى قليل من النثر المركز عندما يقوم الموضوع على الجزء الملموس ، مع ملاحظة أن امرءاً اسمه حسين مردان لا يستطيع أن يفارق لغته مفارقة تامة ، فقد تقع وأنت تقرأ مقالة تعليمية صرفا على تشبيه أو صورة أو انفعال يذكرك بنظائره في الكليات الغائمة من الشعر الذي عرف به .

الشعر ، أجل ، الشعر وقد رأيناه لديه في العمودي والحر والنثر المركز والمقالة ... ورأيناه يبلغ ذروته في سنواته الثلاث الاخيرة في المقالة حتى خرج بها عن المقالة ، وفي النثر المركز حتى خرج به عن النثر ... وتسأل عما كان له في هذه السنوات الثلاث الاخيرة من شأن بالشعر الشعر ـ ولم أجد الشعر لديه إلا حرا ـ ؟ تسأل ، وتنظر في هذا الذي بين يديك فتلاحظ

قلة الاحتفال به وندرة اللجوء اليه حتى كأنه استعاض عنه بالمقالة يأسا من بلوغه المدى الذي يطلبه عن طريقه ... ثم يأتي النثر المركز ثانيا .. ثم يأتي الشعر إذا شاء وعلى تفاوت في المدى ، وحصيلته ـ فيما بين يدينا ـ قليلة من حيث الكم ، انها ثماني قصائد فقط فارقها عما سواها من بديع المقالة وبديع النثر المركز هذ، التفعيلة ، وهو فارق شكلي لا يغير من حقيقة الامر شيئا لو فارقه صاحبه . فهو معه كما هو بدونه ... واذا كان في مقالاته الأخيرة خيرا منه في مقالاته الأولى شاعرية ، وكان في نثره المركز اللاحق أعلى من نثره المركز السابق شاعرية فانه في قصائده الثماني هذه أعمق وأسمح وأمكن من قصائد دواوينه السابقة وأكثر انسجاما وأقدر على خلق الجو ، وأملك للكلمة والصورة وبثا للمشاعر خلالهما ولم يعد القارىء قارئا اذا مرّ سريعا ، ولم يعد له بد من الرضا بالذي ينفذ الى نفسه وهو يواجه ـ في غموض ـ امرءاً معذبا بالحقيقة .

لا ترحمني /.../ لو قلت الشعر بلا جدوى/ولتعذرني/فسأعصر أزهار الدفلى/في أعصابي/وأرش الحنظل في بابي/لأرد الشعراء الحمقى/ عن محرابي ...

واذا كان هذا شعره الواضح ، فتصور شعره غير الواضح

هذا شاعر منقطع النظير بين أقرانه ومن فرضوا أنفسهم بشتى الأسباب شعراء على قومهم ولقومهم على حين مضى هو يبحث عما يرضيه وكاد يدركه العجز حين بعد عنه ما يمكن أن يرضيه !

وبعد

فلقد كتب لي أن أقرأ ـ أو أعيد ـ دواوين أكابر الشعر الحر في العراق ، ثم كتب لي أن أقرأ حسين مردان في دواوينه فوجدت عنده ما لا يوجد عند غيره ، فهو متميز ، وهو شاعر ، على كل حال ، وله مع الكلمة والصورة والغموض والعقل الباطن ... شأن خاص من القضايا الكبرى كان

اللازم أن يعترف به ويعطى حقه ، فكان هذا موقفا منه .

ثم كان موقف آخر وقد قرأت له ما كتبه خلال سنواته الثلاث الأخيرة من مقال ونثر مركز وشعر حر . وهي أنواع أدبية ثلاثة تكون نوعا أدبيا واحدا لدى روحها وجوهرها أي لدى شاعريتها الوجدانية لغة وصورة وقضايا ، فكان في الموقف زيادة في الإعجاب ودواعي التقدير وبلغ أن رأيته أدخلهم في الشاعرية وأبعدهم في المدى وأعمقهم في الغور . وتأثرت بشعره (بأنواعه الثلاثة) أكثر مما تأثرت بشعر الآخرين وبدا لي أبلغهم حداثة وأصدقهم جدة ...

ووا أسفاه ! لقد مضى الرجل فما عرف هو قدر نفسه شاعرا ، ولا عرف قدره الآخرون . وكان ظاهر حياته المسؤول عن باطن موهبته . وما كان هذا ليكون لو وجد الناقد الحق !

وأسف آخر مأتاه هذه الظلال الشاعرة التي تلفع إبداعه . قد نعرف مأتاها في نفسه وحاله ومفهومه الفني ولكن حب الاستطلاع يدعونا لمعرفة مبناها ، فماذا يقصد الشاعر بهذا التأثر الذي يبثه فينا تأثيرا غامضا ؟ كيف جاءته هذه الصور ؟ كيف وصل ما يبدو لغيره مقطوعا ؟ لم نسأله يوم كان بيننا ففاتنا علم كثير . فما العمل ؟ لنتعز عن العلم قليلا بالتأثر ، ولنستعن بالتأثر على تصور ما ... ولنلجأ الى مقالاته التعليمية نقبس منها شعاعا ينير زاوية من عملية الإبداع لديه مع علمنا بضخامة عنصر الارادة لدى التعليم ...

ويبقى الطريق الى زيادة الإعجاب والتقدير .. ومحاولة الفهم مفتوحا.. فلنحاول أن نعرف ــ بعد الخاص في شؤونه في العيش والسلوك والتفكير ، وفي الأنواع الأدبية التي طرقها متفرقة وبسلك رابط ، وما بثه خلالها من رأي وانفعال ــ خصوصيته اللغوية في مفردها ومركبها ، فصيحها وعاميها موحياتها الرمزية وشطحاتها السريالية فتظهر تشبيها غريبا واستعارة عجيبة

وصورة تترابط أجزاؤها في عـالم من اللاشعور حين يكون هو نفسـه في شخصيته البارزة لدن موضوعاته السائدة في الطفولة والمرأة والموت والحرمان والسعادة البشرية والهيام بالسفر وامتزاج الحـلم باليقظة لدرجة الظـلال والغيـوم وصعوبة التحـديد ازاء امرىء بوهيمي ليس بوهيميـا !! أجل ولندخل البيوت من أبوابها وننفذ الى الاقطار بسلطانها •

---

(١) اللغة هنا من حيث هي اداة للتعبـير الكتابي ، وفي جانبها الفني الذي اكثر حسين مردان من الكلام عليه واحسن . أما لغة حسـين مردان نحوا وصرفا فهي أمر آخر لم نتعرض له ومن سلبه ما يقع فيه الكـاتب من خطأ مرده انه لم يتعلم اللغة منهجيا وأكاديميا ، ومن ايجابه قـدرة على الابتكار وجراة في الاستعمال ...

٤

نثر مركز ، شعر حر

١٠ من النثر المركز

العودة الى هي!

أنت هنا فوق الصخر
فاذهب :
فلم يزل في أعماق الغـابات المظلمة
كهف لم يكتشف بعد .
هناك تستطيع أن تخلع قناعك
وتفهم لغـة الصمت
وعلى ضوء هلال أخضر
سيأتي صوت قدميها ،،
يخفق فوق النسـيم .
وستقف أمامك عارية كالماء ..
انها الملكة « عائشة »[١] .
الوجه الذي عاش في الليل
ألف سـنة !
لا تخف .. اقذف بالشمس القديمة
من عينيك ،
واغرف من صدرها الكافور .
أيها الوحش الصغير
لا تتحدث عن المقهى ،
فهي تجهل الضوضاء .
وعندما تمد كفها نحو قلبك الحزين
خمسة عصافير من لؤلؤ

تعُـود للظـلام
فانصت :
لتسمع غناء الروح التي لم تعرف،
البغض !
وعندئذ .. سيذوب غطاء المعـدن
حول لحمك الأصيل
وستعرف الفرح ،
الفرح الطبيعي .
آه .. انك لم تذهب بعد .
أنت لا تستطيع مفارقة الناس !
أيها المولع بالزجاج والملابس
يا جرذ المدينة ، والغرف المسقفة .
اسحب جفنك عن حرارة المصباح
واحمل فمك وارحل ..
حيث السـكوت والمطر
ولفائف شعرها بنور البرق
والهدوء الذي ترن فيه
حركة الريش ..
انها هناك .. تنتظر وسط عري
المسـاء الخالد .
نافورة شـوق ..

---

(١) بطلة قصة الكاتب الانكليزي هيوز هيجرد .
ص ١٦ ـ العدد ٣١ ـ السنة الاولى ، ٢٩ كانون الثاني ١٩٦٩ - ولم يكتب عليها « من النثر المركز »
ويذكرنا قوله « سيذوب المعدن .. » بـ « من يفرك الصدأ ؟ »

المدالية والرجل الاشتراكي

أيها الرفاق !!

....

ظل معقوفة تتأرجح
فوق سـطح الأفق ،
الشمس والرمل والموت ،
لعلهم هجروني !
وتكوم .. هو وحده ،
ورن في الخلاء الموحش
صوت أمه ..
يا ولدي العزيز ،

....

ولدي
لقد تركوني !
وسـالت دموعه .
الموت والرمل .
أيها الرفاق !
لقد ضاعت حتى الظلال .
هو والأفق والارض .

....

اللون الاصفر والاصفر والاصفر
لو كانت هناك همسـة

لو كان هناك شبح ،
أو حائط رفيع !
يا ولدي العزيز ..
انه في الصحراء ملقى مع نفسه !

....

وتلفت .. حتى الرياح تمشي ميتة .
ومرت سحابة على شكل عنقود ،
ورفع كفه ..
هو والشمس .
وأطرق ينصت الى الماضي :
لا شيء سوى خرير الانهار .
من الخالص الى بلدروز ..
أين اختفت كل تلك الوجوه ؟
أمــاه ..
وغاب عن الوعــي .
وفي الداخل .. شــاهد ضحكته
تقفز بين الناس .
لتحيــا الاشتراكية
وســار نحو سجن الكوت .
الافئدة البوليسية .. والعمال
من بودلــير الى لينين .
وجاءت الثورة ..
ولم يجد موضع قــدم

والمداليــة فوق صدره !

....

ميل .. مائة ألف ميل

وتوقف امام الكرملين ..

وصافح گاگارين .

لقد مات گاگارين !

....

وخرج .. ونظر الى البرية !

أيها الرفاق !!

أيها الرفاق !!

لقد تلاشى حتى الأفق

والليل يطرح شعاره المستعار .

لقد ســافرت السماء .. وتاهت !

وارتفع بكــاء الكثبان .

ولم يعد يرى سوى دموعه .

وصوت أمه الحنون .

....

يا ولدي العزيز .

اني بحاجة الى كتاب .

الى صورة .

الى قلم .

اني بحاجة الى كوز من الماء

لا .. اني بحاجة الى وجهك فقط ،

وجهك يا أمي ..

....

اللون الاسود والاسود والاسود .
وأخذ عينيه ونزل
الخارج .. ليل كله !
وأنت .. كيف استطعت البقاء ؟
ان العدم ينقر قدمي .
فاخرجي الى العراء يا حبيبتي .
فانا الآن في لحظة الفراق
وأريد أن أقبل قلبي بحرية ..
وانطلق يفتح أبواب المخـازن
وغرف الذكريات ..
الفراغ . الفراغ . الفراغ .
وهبت نسـمة صغيرة
وتغلغل السـبات ..
....
أيها الرفاق !!
وذهب صوته ولم يعد !!
ورجع الى الأفق .
ووصلت الظلال المعقوفة الى البحر
واستقرت السـماء
وظل صوت أمه يرفرف حوله
يا ولدي العزيز
يا ولدي العزيز
وحاول أن يبتسم .. ولكنه كان ميتا .

ص ٣٨ ـ العدد ٤٦ السنة الاولى ، ٢١ أيار ١٩٦٩ ـ من النشر المركز

العتيقة و... الدبابة

النار فوق أصابعنا .
فلنطرق باب القصر الاسود .
فالعقرب يقف على العتبة .!
يدرس مواقع الهجوم .
يرتعش ..
والسلك الممتد في المحيط
انها اللدغة الاولى :
وها هي العلامة ..
لارتفاع القارة الضائعة من
الاعماق بكل ما عليها من وحوش
وبشر بدائي ..
فلنقف فوق أحداقنا
ونتطلع الى الفارس النحاسي
لنرى بداية العاصفة .
فعزرائيل يضرب السحاب
وغدا تقدح الكهرباء ..
فلنجمع أجسامنا الصلبة ضد
سيول الغزاة ..

. . . .

لا .. لن تصعد أرجوحة الطغاة
الى الأعلى أبدا ..

فالخنجر العربي قد شرب المستحد
وستقطع حبال الليف[١]
فينتهي عهـد الذئاب
والويل للحصان وراكبه من
ثقل الحقيبة ..![٢]

. . . .

ان الرجعية كالقصدير[٣]
تتحول وتتحطم بالوباء ..
وهي مناخ حار تسمن في
ظله الصـلال ..
فالى الفأس أيها الرفاق
فالفحيح يقترب منا ..

. . . .

القصص القديمة لا تموت
والثعلب لن يتخلى عن
العنقود !
والذبابة لن تهجر صحن
العسـل ..
فلنفرش الفحم الاحمر[٤] في
طريق العملاء ..
ولتمزق دمية الصبر[٥]
ففي بطنها ترقد سـكين
الانتقـام ..
فلقد وصل العظم الى لسان

الموت ..
ولكننا لن نختنق .
بأصواتنا ..
فنحن الذين خلقنا للسيف
ونمنا مع السـلام ألف سنة .
خطوة علي وخالد والقعقاع
فجبل طارق لم يزل يحتفظ
وسنحرق السفن مرة أخرى .
ستين اسما ..
سنعود الى خطوتنا الحمراء .
وستفرح الحرب بنا ..

---

(١) في الاساطير الشعبية .. لكي يتحول شخص الى ذئب أو اي حيوان آخر يكفي أن يتحزم بحبل من ليف .

(٢) حكاية قديمة ترمز الى الغرور بقوة الجسـد . والحقيبة تشير الى ثقل الارض العربيـة .

(٣) يحمل معدن القصـدير معه ما يسمى وباء القصـدير الذي يؤدي الى تحطيمـه والى نحوله في نفس الوقت .

(٤) الفحم الاحمر : اصطلاح علمي يطلق على الطاقة الحرارية في البراكين .

(٥) قصـة شعبية عـن الظلم ..

ص ١٨ ـ العدد ٦٩ ، السنة الخامسة ، تشرين الثاني ١٩٦٩ ـ من النشر المركز

فمي يغطس في الموقـد
ولساني قطعة ثلج ..
وحدي مع السـاحة والبيرق .
وعندما يضرب الليل وجهي
الحزين ،،
اختفي داخل كتاب عن الحنظل
وعظام الماموث ..
وخلف صدري يرتفع صياح
البواخر .
وأمامي برتقالة خضراء ...
ويقترب الغليون ليحرق
الستائر الزرق ..
فأعود الى غرفتي الصينية(١)
لأقذف الى الشـارع :
بكل التماثيل والصور والقصائد
ثم أقبل يد الإمام الخضر(٢)

★ ★ ★

آه من القط الذي يقف
وراء الجدار ،
انه عدوي الاسود ..
ليكن ..

فقدمي فوق الاربعين
والشمعة في الضريح ..
فانزلي أيتها الدموع
فلم تزل وسادتي من حديد .
ولو كنت أملك لعبة واحدة !!
لضحكت للصحراء ..
ان كل الملائكة التي خلقتها
لم تعد تطربني ..

★ ★ ★

الحنطة حول إبريق الطين
والمطر في الغيمة ..
وفي أحشائي قنفذ وقنينة
خمر ..
لقد كرهت الأغنية التي تقول :
« ان لليل سبع بنات .. »
فالليل وحش أصفر ...

★ ★ ★

لا لن أجمع خيوط العنكبوت
ولن أحب العين التي تشبه
القنديل ..
ولا الفم المفتوح للسلطان ..
لأني أحب المسدس الذي يصدح
عبر البحر الميت ..

ان الصهيونية تضع الكلاب •
فلترفع الثورة سـوطها الأحمر
وليكسر المشط ••
وعندئذ سيذوب الثلج •
وتعلق الصور والسـتائر
وسأذهب الى الشمس في
سـيناء ••
فأغفو على حافة النبع
مثل ريشة بلبل ••

بغداد

في [illegible] كانون أول

ص ١٨ ـ العدد ٧٦ ، سن ٢ ، ١٩٦٩ ـ ولم يكتب عليها « من النشر المركز ».
(١) رمز لعـالم الانسان الداخلي .
(٢) السيد الخضر الذي قتل التنين .

شجرة الارجوان

كان صمت الليل يجلس
عند النافذة .
والدفء الأنيق يغرد فوق
الجدران السـعيدة .
والسـجاد
والمرايـا
والورد
تغمز لحواجب السـاهدين
وحفنة من الكلمات القلقة
تذهب نحو وجه رجل
غريب .
......
والبنادق !!
ويتردد اسم الله !!
وتنطلق ضحكة عرجاء
مثقلة بالخوف .
... طقطقة ...
ويتدحرج صوت مبهور .
اننا نبحث عن شيء جدي !
ويستمر الحوار حول شكل
الجريمة ..

انهم قوة ..!
ويختلفون عن بقية
الطيور ..
وتطفر موجة من السعال
الأزرق .
انه الرعب الجامد في
الأعماق .
فعلا : ان بهم لضراوة
غابة سـلاء ..

ويقفز اقتراح موسوليني ..
الإبادة ..
لكافة الاشـجار العنيدة !
ويتم الاتفاق .!
وتأتي الاشارة الباردة
من الفم الاجنبي .!
الحمرة في التفاحة ..
وتلتقي الاقلام لوضع
الخط الاسود ..

وفي الجهة الأخرى :
جهة الشعب .
كانت الأصابع تكشط
حافة الهـاوية ..
وتضع علبة الكبريت في

لفائف الحرير .
ليصعد الضحك الى قمة
العقرب .
ومع الفجر :
حضرت الاشباح المرتجفة !
وفوق أصابعها الفرح .
وفجأة ، ارتفعت شجرة
الأرجوان اليهودي ..[1]

---

1) اسم شجرة تزرع في اليمن وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة الى يهوذا الاسخريوطي الذي يقال انه شنق نفسه على شجرة منه .

س ١٨ ـ العدد ٨٣ السنة الثانية ، ٢٥ شباط ١٩٧٠ ـ ولم يكتب عليها : من النشر المركز .

شمعة في ليل ابيض

النجمة فوق الجبل
مرحى
مرحى
لقد مات الطائر الأسود
وماع حديد الهجر
وانكسرت النار في داخل الغصن
يا أقواس النصر ،
لقد اختفت اللوعة ..
وعاد الخنجر الى معانقة
السيف ..
فالهلال[1] تقفز في الشارع
تهز السمنت
وتدهن الارض بالضحك
فالأفق زرقة فستق ..
الى المزاهر ..!
الفرح يحلق لحية الطاعون .
والأمل يصبغ جناح
النسر بالذهب .
فلتقف أغنية الورد
في منتصف السماء
وليصعد اليها هتاف الشعب ..

الحب شمعة خضراء
في ليل أبيض ..

*

لقد رحلت الدمعة
الى نهاية الرواق
والأنامل على حافة الكمان ..
فلتنزل أصابع العروس
على شفاه الافتتان .
حفنة سكر ، وماء
فالموجة تنتصب في
قلب النهر ..
برقية شكر أخضر ..
لكل الذين ساهموا في
حصاد الشوك ..

*

انها المعجزة ..
فليرتفع اليشماغ فوق الاكتاف ..
فها هو العملاق يرتدي
صخور حمرين
ويشد على ذراعه غابات البلوط ..
فلتسجل الشمس ظله العظيم ..

فلن يهرب الهلال من
عينيه بعد اليوم ..

ص ١٨ ـ العدد ٨٧ ، السنة الثانية ؛ ٢٥ آذار ١٩٧٠ ـ ولم يكتب عليها :
من النشر المركز .
(١) لعلها : الهلاهل

البطولة

لقد كنت بحاجة الى
كلمة •
كلمة واحدة فقط !
كلمة خفيفة مثل خيط
من الموســلين •
ثقيلة كعربة القطار ••
وعذبة كخصلة شعر ••
كلمة من دم ونار وماء
تغطي كل المســاحات •
وتحول الحديد الى أغنية •
ومن أجل ذلك :
ذهبت الى البحار ،،
اللؤلؤ والمرجان وأذرع
الاخطبوط •

*

ثم صعدت الى الفضاء
وتسربت بين النجوم •
ودرت حول الســدم
ولمست الشهب والنيازك
فلم أجدها ••
ان كلمتي تشبه القنبلة

أو الاعصار تشبه القبلة
فيها شيء من رقة الملائكة
وشراسة سمك القرش ..

*

وسافرت الى القطب
الصمت وجبال الجليد
وآثار حيوان وألوان ..
ولكنها أشد برودة وأكثر
حركة ..
كلمة ضخمة وناعمة ..
كالقلعة
كالنسر كالمركب
غرفة مملوءة بالورد
وخناجر العاج ..
علبة كبريت ونفط .

*

ومضيت الى الغابات
وقمم الجبال .
جذع سنديانة وصاعقة
خضرة وطيور ومطر ..
كلا ...
انها أطول من ليل المصلوب
وأعلى من افرست .

كلمة عميقة ومضيئة
مفرحة ومخيفة ..
كلمة كونية خارقة ..
تشرب المحيط
وتقلع الغـاب
ثم تتهاوى رقة عند
شرفة ضحكة بريئة ..

في كل حرف منها فوهة
بركان .
وباقة أزهـار ،
وغضب زلزال وطـوفان .

*

ورحت التفت حولي ..
لا يوجد من يأتي بها إليّ !
وهبطت الى أعماقي :
سراديب وأبواب مقفلة .
قناديل من نحاس ومستنقع .
أسـد
وفـأر
وعنكبـوت
وقبضت على قلبي ..
لعلها مختفية فيه .
فلم أر غير الرعـد والمطواة ..

لا . انها لم تخلق بعد .
ولكن ..
اني أصنع قصيدة عن الدرب
الذي يصل الى الثورة والفردوس ..

وفي القصيدة بيت عن شجرة
في جهنم .
ولهذا البيت أريد تلك
الكلمة ..

كلمة تجمع بين القتل والطفولة .
بين الموت والحياة .

*

ورجعت الى مكاني ..
وجلست استعرض العالم
من خلال اللغة .
الزمن
الجنون

الحب
هي كلمة ممغنطة بالشوق
والكهرباء .

كلمة مفعمة بالرجولة وبرائحة
الارض والخطر .
كلمة مدهشة ..

آه .. لقد رأيتها ..
البطولـة .

*

ص ٣٨ ، العدد ٩٥ ، السنة الثالثة ، ٥ أيار ١٩٧٠ – ولم يكتب عليها : من النشر المركز .
الحظر هكذا وردت في الاصل ، ولعله يقصد الخضرة .

نحو حزيران جديد

لقد كانت الصاعقة ثقيلة
وعنيفة .
ولكن الشجرة لم تمت .
لقد احترقت الأغصان ،
وسقطت الثمار المريضة ،
وظل النسغ يتدفق نحو الأعلى .
ومن خلال المطـر والرياح
والرمل ، بزغت براعم جديدة
مغطاة بالنار .

*

ومرت سنة ..
قوافل قلق وحزن أسود
وعلى حافة الهاوية :
وضع التوتر بيضته الأولى ،
الصمت .
الصمت المملوء بالتأمل والغضب .
ثم تحول الحماس البارد الى
قاعة هدوء مرعب .
ونزل الثلج في أعماق الليل
ليستقر في الصدور

*

ومرت السنة الثانية ..
وبدأت الزهور الوحشية
تنبت فوق الصخر .
وتوقف البكاء .
كل دمعة صارت رصاصة .
وانقطعت تجارة الكلمات ،
وضاع الصخب .
وعاد الأمل يطلق أغنيته
الحديدية .
السعلاة تشرب عصير الدولار .
فالخطر يسمن لحظة بعد أخرى !
ولكن أذرعنا تسمن بالحقد .
لقد كنا نقف على القش ،
ونستند على الليط .

أما اليوم :
فقد تعلمنا خلط الرمل بالحصى
لقد اكتشفنا سر السمنت .

*

وأقبلت السنة الثالثة ..
ثلاثة دهور !
بل ثلاث دقائق فقط ،
فالزمن يضيع في العمل .
وها نحن نذهب الى اللون

الأحمر ،
نذهب الى وجه الحرب
لنغوص فيه .
وفي كل قدم مسمار من
الفولاذ .
فليقبل الغزاة ،،
فالمبرد على أسناننا ،
وعلى كل زند عظام هدهد
وفاس .
لم نعد زوارق فاكهة
وحرير ،
وكؤوس خمر مرصعة .
اننا الآن على الرابية .
قافلة سيوف ورعد .
تتسدد خلف عيوننا المفتوحة
كالسماء .
والهدف لم يعد بعيدا
كالأمس .
وستصل أصابعنا اليه .
عاصفة جسر وموت .
فليغط بالطائرات والمدافع
وأجسام المرتزقة .
فالنبلة تعرف مكان القلب .

وغدا ستصبغ المدن الشريرة
بالدم والرماد ...

ص ٣٨ ـ العدد ٩٩ السنة الثالثة ، ١٧ حزيران ١٩٧٠ ـ ولم يكتب عليها : من النشر المركز .

عودة التنين

لقد ذهبت النجمة ،
وظل الضوء ..
وفي عمق الكون العتيق
تولد الاقمار الجديدة .
ويتحول التراب الى مرمر
أخضر ..
الحركة والضغط والزمن .
وخلف الوجود المرئي ،
يتثاءب المستقبل ..
والكلمة تتمدد عبر العالم
وتخلع معناها القديم
فلن يفتح القاموس :
فالحرف ينتج نغمة لم تسمع
من قبل أبدا ..
والحب ينام في شارعه المظلم
مع نبـــاح قط شرس ،
ومقلة مصبوغة ..

*

أيها المسافرون !
ان الجبل يؤكل من جميع
الجهـــات .

وقطرة الماء تنتقل من قارة
الى أخرى ـ لتصل الى فمي
اليابس ..
والنواة تصعد في الفضاء
حيث يجلس صوت سقراط
بين أزيز الطائرات واصوات
الديناصور .
وقريبا يصل الظل الى الصحراء
فيخرج وجه السلحفاة ،
يبحث عن خوذة نابليون
المثلثة ..
وعمر العقل نفحة وشمعة !

*

وا أسفاه ..
اننا نغور في هدوء .
نعلو وننخفض في وقت واحد .
ومثل كل شيء :
ننمو ونذبل ، ثم نختفي في
مكـــان ما
وفي جزيرة « كومودو »
يستيقظ التنين ،
الوحش الذي لم يمت ..
فيا أيها المتكبرون !
لقد قتل كاليكولا ، ولم يبق

من يصنع من أجسادنا المعابر ..
ان الفقر يزدهر !
فالصدأ يزحف نحو السكين .
والسمكة التي ترقد في أعماق
الصخر ،
تكتب لنا قصة الارض ،
وتخاطب الانسان بلغة المعادن
لقد جئت بالأمس :
قبل مليون سنة فقط !
ولم تشاهد الجمل عندما كان
في حجم الثعلب .
أيها القرد الناطق ..

ص ٣٨ ـ العدد ١٠٦ السنة الثالثة ، ٥ آب ١٩٧٠ ـ ولم يكتب عليها : من النثر المركز .
لنلاحظ « الصدأ » مرة أخرى !

الموسى

السنونو يطير الى السند
ومعه أحــلامي •
الكتب والخمر والدخان !
وأحلام اليقظة •
طوكيو وسمرقند وشيراز
ومليون دينار عراقي •
ومعها وجه دوريان جراي
وألف سهرة فوق شفة
بيضاء ••
ثم ليسدل الستار !

• • • • •

وقبل أن أودع الشمس
والبحر والأغصـــان
والمراكب وأضوية السماء
والقطارات الموغلة في
الليـــل •
قبل أن أبتعد عن أصدقائي
وعن الذرى
والطائرات
وحقول الرز والسيارات
ورائحة الحليب •

سأكسر الاسطوانة التي
تحمل اسمي ..

. . . . .

ولكن ..
لو أدخل في الريح
وأتحرر من خيوطي الحديدية .
فأقبل الصحارى
وأحتضن المدى .
وأطبع صورة قدمي فوق
كل أرصفة العالم .
فلم تزل هناك غـابات
وســواحل .
وقرى وجزر ومراقص
لم تحمل الى عيني ..

. . . . .

أريد أن ألتقي بكل هذا ،
دفعة واحـدة
مرة واحدة .
وليصعد الاقيانوس الى
الى ناطحة السـحاب .
وبعد ..!
لو أستطيع أن أخترق
الارض ،

وأســافر مع الزلازل
فانفجر هنا وهناك ..
وأشاهد جسدي ،
يسيل على سفح جبل
لم يكتشف ..
لو أعبر حدود الزمن
وأضيع ..

. . . . .

لقد كرهت المدن ،
كرهت الجدران والشوارع
القصيرة ،
ومخازن الالبسة المستعملة ،
وعلب الاسبرين
والحلاقة ...
لو أحفر الرصاصة
واضع قلبي فيها
ليسقط في مكان مجهول
لو أرتمي في الأنهار
وفي الهــاويات
وأغوص في الانفاق المظلمة
بعيدا عن الخوف والهرم ..
هيهات ..
ان شـــبح الموت يلبس

قميصه الأســود ويقترب
من حنجرتي .
انه الموسى ..

ص ٣٨ ـ العدد ١١٢ ، السنة الثالثة ، ١٦ أيلول ١٩٧٠ ـ ولم يكتب عليها: من النثر المركز .

الدم

هل تسمع ..؟
هو ليس صوت المدافع
وليس هو صوت الرصاص
أو دوي القنـابل ..
انه الـدم .
الدم الذي يرعـد ويصرخ
داخل الليـل ،
وفوق أعمدة النهـار ..
الدم الذي يعزف فوق
الارصفـة والتلال ..
أغنيته الحزينـة ..
عن الدرع .. وكربلاء ..
الدم الذي يغور في التراب
وينفخ عـروق الارض ،
ليرفعها الى السـماء ..
انه الـدم ..
هل قرأت عنه ..؟
السـائل الذي يأكل جذور
الجبـال ،
ويشرب جواهـر التاج ،
ويلطع حـديد المصفحات ..

انه الـدم ..
الدم الذي لا يقتل أبدا ..
أنظـر اليه ..
انه يتحـرك .
ينهض ،
انه يقف على قدميه ..
ليلوي غابـة الحراب ..
ثم يتمدد عبر الحقول
الميتـة ،
عبر الشـوارع والقرى
زوبعة صخـر ونار ..
انه نفس الدم القديم .
الذي نشاهده في جبين
التأريـخ .
يحفر وجوه الطغـاة ،
ويقتلع الأسـوار ،
ويميد بالنظم التي تكره
رائحة الانسـان ..

*

ان عين الشمس الوحيدة
تسقط فوق المـاء ..
الباسـتيل والقياصرة .
وكل سـيوف المغول ..
قطرة فقطرة ..»

ثم يحصل الطـوفان •
انه الـدم ••
الدم الذي لا يبكي ••
فأنصـت ••
انه يصهل على حافة
البركان •
انه يتململ في قلبك
الحـربي !••
فالدم يجذب الدم •
ولسوف ينطلق من فمك
كرة شمس محرقة ،
تندفع الى هناك :
الى حيث يذبح الموت ••

ص ٣٨ ـ العدد ١١٥ ، السنة الثالثة ، ٧ تشرين الاول ١٩٧٠ ـ ولم يكتب عليها : من النشر المركز .
تبدو « لطع » عامية ولعله استعملها على أنها كذلك ، وهي فصيحةمعجمية

النشيد الذي لن يذبل

في الغد ..
الذي سيأتي فوق عربة
زيتون ..
عندما تهل ابتسامات الاطفال
وتنتقل من مدينة الى أخرى .
حقول حليب ،
ولوحات موسيقى ،
ونبـات .
على الارصفة وأجنحة الطيور
والعناقيـد .
عندما يضع الربيع قدمه
السعيدة فوق العـالم .
ستختفي البقعة السـوداء ،
ويسقط الدفق الأصفر .
ويعود البريـق النظيف
الى حافـة الماعون .
وينطلق الرقص في الأصابع
المتعبـة .
ليسـيل في شوارع القرى
الحزينـة ،
موجـة هناء أبيض .

عند ذاك فقط :
ستلتقي كل الألوان في
مروحـة واحدة .
وينتشر نسـيم الفرح العالمي
ليلف الارض بعباءة من
الحـرير الأزرق .

*

أما صوت المدفع الذي يحرث
اليـوم كل الجبـاه ،
ويمزق سـكون الحدائق ،
وعيون الرجال المشرقة ،
ويشرب غناء العصـافير
والقصـائد .
فيشوه خد النهـار .
ويقتل الخضرة في موسم
العيـد .
ليعلق لسـان الغراب في
واجهات البيوت .
فيذبل النشيد الذي يتحدث
عن النجوم ،
والحريـة ،
وحلاوة الفواكه الجديدة .
فسوف يدفع الى أعماق كهفه
القـديم ،

حيث ينتظره الصدأ •

*

ولن يحدث ذلك بالدعاء
أو بمطارق الفلين
ورش الفلفل فوق الكلمات
المسـلولة •
فالقصة مرعبة ومؤلمـة !
ومن لم يخترق الجحيم ، لن
يصل الى ظل الجنة •
فالوحوش الرابضة في دربنا
ذات حضـارة ،
ووجوه حقيقية •
فاذا لم نخرج من عسـل
الأسـطورة ،
ونجفف مستنقع الدموع ،
ونلبس جلد العلم المعدني ،
فسوف نظل نلوب داخل
الطين !
فالى المقصعة :
فالرفاق يهتفون من
حولنـا •

ص ٣٨ ـ العدد ١٢١ السنة الثالثة ، ١٨ تشرين الثاني ـ ولم يكتب عليها : من النشر المركز •

الماعون من العامية التي لا تخلو من أساس فصيح ففي المعجم « الماعون : اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما » «والقصعة» ونلاحظ ـ مرة أخرى ـ «الصدأ» وهو هنا يهدد به «المدفع» •

السيف والموسلين

الكلمة تذهب الى الخندق
مدرعة بدم القلب ،
تنتفض وراء البنادق
وفي أجنحــة الطائرات .
حادة كالطاعــون ،
ومشرقة مثل طفل .
قنبلة ونجمــة ،
ذخيرة حرب ومائدة ســلم .

*

وأنت يا عزيزتي
يا لغة الموســلين الأسود
والتفاح الجــديد .
أنت يا لغة الوبر الاخضر
في غيمة الشــتاء .
أنت يا اصبع الفرح الذي
يدور في جرحي العميق .
يا ناقوس الفضة في باب
الجنــة .
ان عينك المستطيلة ،
عينك المملوءة بالعنبر ،
تجذب أعضائي كلها الى فك مكهرب .

انك عودة الضحى لظلامي
المطبــق •
يا حبيبتي العزيزة
يا عزيزتي •
فمتى يلتفت نهدك نحوي ؟
فيستقر جناح الرخ في صدري •

*

ان وجهك الذي لا حدود لعذوبته •
وجهك الذي أتمشى ،
وأســتلقي •
وأنام فيه •
انه يحبس غنائي كله !
لقد تهت فيك الى الأبد •
ولم تبق أية فارزة بين قلبي
وجمالك •
لن أســرق صورتك !
لأنك تقيمين بكل ألوانك
وحركاتك في عيني •

*

في الليل يتنزه جسمك في دمي •
وفي النهــار ،
يخرج صوتك ،، غابة العصافير
فيغرق عــالمي كله •

فهل سينتزع حبك السيف من يدي ؟
فأضيع في مقصورة الغزل •
بعيدا عن أصدقائي الفقراء •

*

انك تعرفين الدرب الذي يلتصق بقدمي
ولكن سحرك أقوى من الملايين السبعة •
انه البرص الذي يأكل عنادي ،
ويغل الغضب في شـفتي •
فلا تغلقي فمك القرمـزي
أمام شـوقي •

*

أيتها النعاس الذي لا يستغنى عنه •
لكم أشتهي زيارة كتفك ،
حيث منصة اعـدامي •
فدعيني أصعد الى المرايـا
فوق جبينك •
واحتضن الجواب الصامت
هنـاك ••
فلقد أصبحت السؤال الأخير
في حيـاتي •••

ص ٣٨ ـ العدد ١٢٦ السنة الثالثة ، ٣٠ كانون الاول ١٩٧٠ ـ من النشر المركز.
في قوله : « فهل سينتزع ، جمع بين أداة الاستفهام والمستقبل ، مما لا يقبله اللغويون .
شكلة المرأة في حياته ـ وغرابة التشبيهات مرة أخرى ... ومرات

زجاجة الماء المعدني

الدموع الصلبة تغفو
في القلب ،
أشبه بسهام من حجر
ثقيلة ومؤلمة .
لو جرت .
مرة واحدة فقط .
آه ...
أيها الصباح الفضي
يا مناديل الندى .
ادخل ، وانتشر هناك
فوق دموعي الحجرية .

*

لقد اختفى الساحل ،
وماع الظل .
والقدم تطبع خطوة
أخرى على القفر .
اليبوسة ..
والليل ينحني عند الكثيب
حيث عظام القبرة .
والصبر يتجاوز حدوده ..

*

انها الدورة
أنهار الرمل تطير ثم تعود
الى أماكنها القديمة .
والخيال هو الذي لا يرجع
الى مستقره .
فيا لوحشة الشـاعر المعلق
وحده بالأفق ،
وحـده ...
وفي السـاحات المستديرة
تماثيل نسـاء .
الأولى :
ماتت داخل قصـة .
والثانية :
أسلمت خدها لفن العمارة .
والثالثة :
ذهبت مع الديمقراطية .
والرابعة ،
والخامسة ..
وو .. و ..
أما الأخيرة !!
ملكة الاتلانتيد الجامدة
التي يلطع كفها الأسـد .
فقد رأيت في حضنها

المسـامير والخشب •
الجمال الذي يصنع التابوت •

*

لقد اقتحمت أعماقي برقة ،
قطرة ماء معدني •
غسلت الفولاذ والمرمر ،
ثم رحلت ••

*

ايه أيها السـائح الذي
ينتقل من سكة الى أخرى •
لم تشيد بعد ••
ان المحطة النهائية :
فاحمل كتابك عن السـعادة
وامض ••
فالمقلة التي تعبد الكحل
تكره القراءة !
أيها الجائع الذي لا يشبع •
ان الرنين ،
الرنين الصافي لا يوجد
إلا في مكان واحد •
في قلب الشعب •••

*

ص ٣٨ ـ العدد ١٣٠ السنة الثالثة ، ٢٧ كانون الثاني ١٩٧١ ـ من النشر المركز.

التمثال الذي كان في بابل

أنا لا أعرف شيئا .
أنا أعرف كل شيء .

*

عندما سقطت النجمة الزجاجية
وظل الهلال في السقف ..
كانت الدودة البيضاء تسهر
في أعماق الخشب القديم ،
لتأكل طلاء المرايـا ..

*

مائة شتاء .. والقوس الملون
يقابل الشمس ..
ثم بدأ يستسلم للمطر ..
انه الموت الذي لا يمل
الانتظـار
الموت الذي يغوص في الزمن
ويتحـد معه

*

ويبقى الانسان داخل أمنيته
التي لا تنتهي .
الكائن الذي يعرف درب
النسـيان ..

ألف ..
عشرة آلاف ...
مليـون ..
والطمع .. حشرة لا تهدأ أبداً .
والســاعة تسجل ما فات .
وفجأة يســكت القلب ،

*

والدودة تحفر في الخفـاء .
بيضاء وناعمة وصغيرة ،
ولكنها تقتلنا بصمت ..
ان خطواتها اللينة تكتب لنا :

*

ادخلوا في الاغنية قبل
أن أتحول الى صدى ..
ارقصوا فوق النار قبل
أن يمتلأ[1] الموقد بالرمـاد .
اخرجوا من أحذيتكم ،
فالقدم العارية مشتاقة
للأرض ....

*

أيها المغفلون ..
ان تمثال الذهب الذي
كان في مدينة بابل لم يعثر

عليه حتى الآن ...

*

هذا لك ..
وهذا لي ..
والحصان يركض في ساحة
السباق ..
وليس هناك أي فائز ..
والفارس الذي يبدو نظيفا
وشامخا كالطاووس ..
انما هو محشو بالروث ..

*

فأسرعوا الى الحقيقة ..
الى الغصن العالي الذي
يحمل البرتقالة ..
فان الزفير ينهب جزءا
من الرئة
ولا يوجد خلف التل غير الرمل .

*

وا أسفاه ....
ليتني كنت أعرف ذلك .
أنا أعرف كل شيء ..
أنا لا أعرف شيئا ..

ص٣٨ ـ العدد ١٣٣ ، السنة الثالثة ، ٢٤ شباط ١٩٧١ ـ من النشر المركز .

(ا) يمتلىء
رائعه التأملي أو الفكري أوائل ١٩٧١ ،وهو يبحث عن الحقيقة أو السعادة !

صوت اللؤلؤ

الوتر يتحرك •
وعبر النار الخضراء
ينبثق حلمي العجيب •
عن النجوم المعلقة فوق
الصحـــراء ••
والمـــدن المائية ،
وصدى الطبول القديمة •
والنســـيم المحبوس داخل الغابة •

*

ليتني أستطيع أن أنثر جسدي
فوق العـــالم كله •
ليتني أضع الشمس بين
شـــفتي •!
وأنقل زرقة البحـــر الى
أظـــافري •

*

لا شيء هنا غير الضوضاء
والاســـفلت ،
ورائحة الســـيارات •
وهناك ••
في الوديان الضائعة

تحت الندى .
وبين القمم الصامتة .
يتعالى الهمس في الفضاء .
طائرة من الفرح الازرق .

*

أين الجناح والمجداف
فاني أريد الانطلاق ،
الى كل مكان في الارض .
بلا جواز أو حقيبة ..
أعانق الثلج وزهور الليل .
واستلقي على الانهار
الطينية ،،
وأصابعي تلتهم لون الصبح ..

*

أريد أن أملأ قلبي ،
بالورد والذهب والطيور
البرية .
بعبير القمر وأشجار السنديان .
فقلبي هو الهاوية .

*

لم يبق غير الرحيل .
فالحب لسعة نحاس
ولمضة ليل[1] ..
والجمال لا يوجد إلا في العراء .

داخل حوانيت المطر .
وصوت اللؤلؤ ،
وفي المجهول ..

*

لقد كرهت الحبر الأسود .
وكبرياء الحروف .
والمكائن المخبأة وراء الالسن .
وصناعة الضحك والدهون .
ان المصفاة فارغة ..
ففي أي جهنم تجلس القبلة
التي تنتظرني ..

*

آه ..
لقد قطع الوتر .
ومضت رنة الهناء مع
حذاء غريب .
فلينتشر الطاعـون
في جلود النسـاء ..
وليستقر الرعـد في كل العيون
وليقع الكحل ...

بغداد في ١٧ آذار ١٩٧١

ص ٣٨ ـ العدد ١٣٧ السنة الثالثة ، ٢٤ آذار ١٩٧١ ـ ولم يكتب عليها : من النثر المركز .

(١) لمظـة

في هذه المقطوعة وما حولها لمحات من رثاء النفس .

الكابوس

فوق المصباح الشاحب •
كان يقف العصفور الأسود •
ان البحر وراء الشارع •
قف ••
واجتاحني الرعب •
من أي جانب يقبل هذا
الصوت !
ونظرت الى الليل •
الى عروقه المنتفخة بالظلمة •

*

أين كنت قبل الآن !
وشعرت بنسمة باردة
كحد الموسى •
ارجع • أيها الشـبح •
ومرت سيارة اسـعاف
مسرعة ، ثم اختفت •
وعاد الصمت الى الأفق •
أنا لا أعرف المكان الذي
أسـير اليه •

*

لقد قال •• أيها الشبح !!

ولكني لم أمت •
وتقدمت خطوة أخرى
وخيل إلي أن لقدمي رنة
الطبــل •
ألا تكتفي بالموت مرة واحدة !
ان الأشــباح تموت أيضا •

*

آه ••
ورأيت العصفور يرفرف
بجناحيه •
انه يحلق في الفضــاء •
ويقترب من وجهي •
هل هو ••
لقد كان يحمل وجهي •

*

لماذا تريد أن تعرف
الحقيقة •• هه •
يا لك من أعمى •
سينتهي الشارع ، ولم يبق
غير البحــر •
وفجأة انطفأ المصباح •
وارتفع غناء خافت •

*

الماء يخاطب الشــاعر ،

يطلبه ،
يتمنى جســده الذابل .
وترنحت ..
تلك هي جثتي مطروحة
على الرصيف .

*

وانبثق حولي الضجيج .
من الذي جاء به الى هذه
الأرض ؟
اذهبوا به الى الأعلى ،
انه ثمــل .
وصرخت بغضب هائل ،
أنا مخــدر بالحب .

*

وزحفت الى الأمام .
لقد اشتعل المصباح .
واختفى الطائر .
ثم ..
ثم وصلت الى البحر ..

ص٣٨ ، العدد ١٢٩ السنة الثالثة ، ٧ نيسان ١٩٧١ – من النشر المركز .

اللهيب وشم الثورة

الفرس تدوس حشيش
الموعظة التي تقول :
ليس لنا القدرة على
تقبيل النار ..
فالصوت الثوري لم يترك
مكانه في المفصل القديم ،
والسكون الذي يرتعد
داخل الغرفة ،
لا يعني الفراغ ..
وكما تنفلق البذرة تحت التراب ،

*

ومثلما ينفصل الليل عن النهار
يحدث العطل فجأة ،،
فتتوقف الماكنة ..

*

فلا تقولي إن الموت نهاية مقبولة ،
فالعذاب الحقيقي يكمن
في مثل هذه الكلمة ..
يكمن في معنى الاعتراف ..

*

وهكذا :

يظل الاحتجاج يهب للحياة ..
لذعته الخاصـة ..
ومن هنا يا صديقتي
تنبثق قوة الانسان
عندما يعلن رفضه التام
لطرق الضماد المزيف ..

*

وما دامت النملة في القلب
فلن يهدأ الجسـد العربي
عن الانتفاض ..
وفي اليوم الذي تتجمد
الأغنية فوق الوتر ،
ويسقط النعاس ..
يعود لقطعة الحديد ثقلها العظيم ..

*

والمـد لا يتأخر يا رفيقتي
عن موعـده .
وغداً ستصعد الراية
الخضراء فوق الرياح
الفولاذية .
« واذا كانت الثورة الفرنسية قد
ولدت في مناجم الفضة في بـلاد
المكسيك » ..

فنحن نصنع الثورة في أعماقنا ،،
ونقذف بطيلسانها الى أطراف الجزيرة
العربية .

*

وأنت الجمال الذي يدافع عن الولائم
الموجودة في الخيـــال .
ليتك تعلمين عقم اللعب مع الدمى .
وأنا لا أميل الى القبض على الهواء
ولذلك فنحن نختلف :
ولو أني أعلم أن كل أدوات الهندسة
في العالم تعجز عن رســم أنفــك
الرائــع ..
لأن العســل المدفون في الخيال
يقتل روح اللهب .
واللهب هو وشــم الثورة الذي
لا يمحى ...

*

س ٣٨ ـ العدد ١٥١ ، السنة الرابعة ، ٣٠ حزيران ١٩٧١ ـ من النشر المركز.

السيف الذي بين الزهور

كفى ...
لم أعد أحتمل السكر
برحيق الأدب ...
الزوارق المصنوعة من
الفضة ..
وحبال العاج ،
والبلور الأزرق الذي
يسيل فوق الدرع

*

أيها الشاعر الذي يقبل
النجوم ، واصبعه على
فوهة المدفع ..
ان عهد الزيتون في
الكلمة قد مات ودفن
في صالون أخضر ..
وان كل مباهج الفن تضيع
الآن في قطرة دم ...
فلا ترفع فمك الى الماء
الذي في السماء ...
فلست وحدك الذي
يشعر بالعطش !!

فلتوجه ريشة القلم نحو
الأرض ...
ولتحفر الآبار للآخرين ..

*

الطفولة ...
ولذائذ الحب ،
والركض في أعماق الليل
بحثا عن الوحوش الغريبة ..
والسحر كله في حركة الحرف ،
الحرف المتقن النطق ،
هو صاروخ موجه ..
فانظر الى قدميك !!
فمن التراب وحده صنع
الهرم ...
فلا تعض سور الصين
وأنت في حالة إغماء ..
فالنهار المصلوب فوق القدس
يحلم بسيفك الملقى بين
الزهور ..

*

فلتغادر محفظتك الذهبية
أيها الفأر الذي أكل سد
مأرب القديم ...
واليوم ،

وقد أكلت « طعام الآلهة »
وكبرت جـدا
حتى أصبح رأسك طاحونة
لكل العواصف الجديدة ..
فاهجر صناعـة العطور ،
فالياســمين لا يعادل كسرة
خبــز !!
لا تقل انك تقلم أشــجار
القبــح ،
وتفتح الدرب الى البهــاء ..
فالقرحة في المعـدة وليست
في العيــون ..
لا ....
لن أمنحك حرية التزويق
ما دام البخار في شفتيك ..

ص٣٨ ، العدد ١٦٤ ، السنة الرابعة ، ٢٩ أيلول ١٩٧١ – من النثر المركز . لعله لم يستثمر تقدميته شعرا كما لم يستثمرها هذه الايام . والتقدميــة تعني الانسانية في الواقع وتوفير الخبز وانقاذ الطفولة وإذاعة الحب.. ومن ثم يعود الزيتون ويسمح للشاعر بتقبيل النجوم وترتفع مباهج الفن من الارض الى السماء!

المهرجان الاخير

لقد غرقت النحلة في كوب العسل ‧
ولم تعد تحلم بلذة التنقل من غصن الى آخر ‧‧
فحول ثغرك تزدهر كل حدائق العالم
فلا تحرميني من الجلوس بين أهدابك
فالقصائد التي تولد في عينيك كل لحظة
هي الشعر الوحيـد الذي يطربني ‧‧

❋

لا تقولي إني مولع بكل الألوان
وانني لن أطيل البقاء عند خدك البهي ‧‧
فان اجنحتي كلها قد التصقت بنافذة
الحـرير في صدرك الطفل ‧‧

❋

أيتها القرية العذراء ‧‧
متى يفتح الباب الأخضر
لاستقبال المسـافر الشرير ؟
لقد تحطمت كرة الزجاج في قلبي ‧
فأنا بحاجة الى شفتيك
لتلتقط الشظايا من جراحي الكثيرة ‧
لقد كتبت ألف عريضة للحب ،
ولكني لم أضع توقيعي
إلا في العريضة التي قدمتها لك ‧‧

انت يا قلم الأفيون ،
ويا صندوق المسك الذي لا ينضب .
فتعالي قبل أن يرحل الضحى ..
فعلى ساعدك المطرز بالعطر ،
أريد أن أقيم آخر مهرجان للغناء ..

*

لقد ذهب الجميع ..
ولم يبق في المقهى المظلم
غير وجهي الحزين ..
فادخلي واشري نجومك في ليلي الميت ..

*

لقد جئت اليك بعد أن
غاض النبع في داخلي ،
وانتشر الصدأ في دمي ..
فدعيني أقترب من المطر
الذي في أصابعك ،
لتعود الرطوبة الى الحجر
اليابس في فمي ..

*

آه ...
ان الورد لا ينبت في الجحيم .
ولكني أحبك ..

وأتمنى أن أسجل آهتي الأخيرة
فوق كتفك النحيل[1] ..

ص ٣٨ ، العدد ١٦٧ ، السنة الرابعة ، ١٩٧١ ـ من النثر المركز .

(١) النحيلـة .

ونلاحظ « الصدأ » في دمه حين يغيض النبع في داخله ... بين اقصى الحسرة وأمنية زهيدة لا تتحقق .. فالصدأ من الموت .

بين الصمت والصوت

على السـفح ،
يتمدد العشب ويتكوم الصدى ..
والاحجار تنشـد للينبوع ،
أغنية عن الظـل القائم ،
والظل الذي ذهب ،
وعن الظل الجديد الذي سيأتي

❋

ويستمر الكلام حول الشمس
وحول الفسـاتين وصناعة
الفـولاذ ..
ويميل فرد الى اليمين لحراسة
البنـوك ..
الجريمة من أجل القصر .

❋

ويتجه آخر الى اليسـار ،
حيث النار والزيتون .
الثورة من أجل الحب ..

❋

ومن هنا وهناك ..
يندفع من يشق برأسه
الليل والضباب ،

ليكشف للناس سر النقاء .

*

الأول :
يبحث عن اللذة في اللحم
والخطـر ..
والثاني :
يهدف الى إشـاعة الفرح
وإضاءة العيون ..
ويبقى الثالث منتصبا فوق
القمـة ،
يحدق في أصابع كفيه ..

*

للقصر العشـب
وللزيتون المـاء
وللقمة الصدى

*

وبعيدا .. عن كل هؤلاء
في قرارة الهاوية ..
حيث لا ظل ولا لـون ..
وحيث يتعادل الصمت والصوت .
يتثاءب الانسان المفصول ..
الانسان المعلق ،
بين الضحك والبكـاء ..

الانسان الذي خلق والذي
لم يخلق
والذي يعرف أن الرياح
لا تمســك ..
انه الشــاعر الذي يقبض
على الســور ..
الســور الذي يطوق الجسد
والمدينــة ،
وكل ما في الكون من أقمار
ونجــوم ..

ص ٣٨ ـ العدد ١٧٦ ، السنة الرابعة ، ٢٢ كانون الاول ١٩٧١ ـ من النشر المركز .

٢ ـ شعر

المراة والطائر الاسود

وعدت أستفيق
من هذه المرأة ! من تكون
وطفت فوق خدها الأنيق
يا حـــرير
وعندما دخلت في العيون
حيث الندى والكحل والشموع
رأيت حقلَيْ نرجس يسيل من فوقهما المطر
وألف صبح أشقر يشحن بالشرر
وعدت أستفيق
لأرتمي على فم مقدس البريق
مدور غرير
يحلم بالضياع والســفر

*

من هذه المرأة ! من تكون
لعلها : أديبة تمتهن الجنون
وتفهم الصمت الذي يكمن في الجفون
والظمأ المدفون في الجليــد
للشمس والنهــار
ورحت أرمي حولها المزاح
والقصص الصغيرة الملاح

عن قبلة الصفصاف للنهر
وضحكة القرصان للبحر
عن طـائر مشرد وحيد
يحن للربيـع
وعودة التفاح للغصون
حتى اذا تبسمت وذاب في أصابعي الحياء
صافحتها : فانتقل الصيف الى الشـتاء
وماع في أعماقي الصفيح
وعدت أستفيق
من هذه المرأة ! من تكون
فجاءني الصدى
يحمل نعش الأمل الصغير
هيهات .. لن تلمسها .. لن تلمس الشذى(1)
في شـعرها القصير
فيا لقلب الشـاعر الجريح
وعدت أستفيق
فلم أجد قربي سوى السؤال
من هذه المرأة ! من تكون
ويختفي الخيـال

بغداد في ٦ شباط ١٩٦٩

ص ٥٠ ـ العدد ٣٤ ، السنة الاولى ، ١٩ شباط ١٩٦٩

(1) الشـذا

سنلاحظ الصوت الخطابي في شعره مقابل الهمس في نثره المركز .. كان نثره المركز لنفسه وشعره للآخرين . وهو يحرص في شعره على التقفية .

الشاعر وأزهار الدفلى

قلت : اني أحب الرعــاع ولكني
لا أستطيع معاشرتهم ! فرد وهو يبتسم
بلطف : يجب أن تعلم أنفك على رائحة
الفقراء .... فصمت ثـم غمغمت وأنا
أحـدق في عينيه .. لقد غلبتني يا أبا
هيثم . فاليك أهدي هذه الأبيات ..

لا ترحمني
لا ترفق بي
واغرس سكينك في قلبي
لو قلت الشـعر بلا جدوى
وبلا معنى
ولتعذرني
فسأعصر أزهـار الدفلى
في أعصابي
وأرش الحنظل في بابي
لأرد الشـعراء الحمقى
عن محـرابي
وبأظفاري
سأشق الكلمات الحبلى
بالحقد الأخضر والنار
وعلى المبرد والمنشـار

سأمزق ألسنة المرضى
من رواد الحرف المجهد
فالفنان حنان لا حمّى
تهتز على قلم أســود
فاذا ما جئت الى بيتي
لترى صوتي
يرعد : كالأمس فلا تأتي[1]

ص ٥٠ ـ العدد ٣٨ السنة الاولى ، ٢٦ آذار ١٩٦٩ .

(١) فلا تأت ـ ان كان المخاطب مذكرا ، وهو مذكر .

فلسطين وذو الفقار

لك الفخار
ولو أن جرحك كله ملح ونار
بالأمس كان هنا شعار
وهناك أفكار تدار
غدا تثار
حمراء تحفر في العظام لها مسار
ويمر ألف غد .. وتمتلئ الجرار
بالدمع والخطب القصار
وقصائد الشعراء والأدب المغطى بالبهار
ولقد يذوب العزم من فرط الحوار

*

حتى اذا رفع الستار
وتقابل الفولاذ ! وانهدم الجدار
ومشت على خديك أحذية الشنار
نهض الزئير من الخليج الى الحجار(١)
لا .. لن يموت النور في أعلى المنار
فليخسأ الذئب الذي خلف البحار
فلسوف لا يجني الثمار
والنصر يولد تحت أعلام البدار

*

ويمر عام أسود الشفتين من ألم الزحار

ليحول الماء الذي في مقلتيك الى بخـار
يضري الشـفار
ويرج قلب الأرض ،، فالدنيا دوار
فليشحن الاعداء في الغرب المثار
جرذان اوربا وأنـدية القمار
فالى الفـرار
أقدام كل مجند خضل الإزار
يحمى برمح مسـتعار
وليشـهد التاريخ انا لن نسـار
للحرب .. إلا كي نذب عن الذمـار
غـارات وحش مستطار

*

مال المـدار
وستقطع السـكين أغنية الهزار
وتفجر البارود أهداب الصغار
فليسطع الأمل الجـديد على المزار
فاليـوم وجهك جلنار
وبثغرك المزموم رائحة الفرار

*

لك الدخـار
ولو أن جرحك كله ملح ونار
فتلفعي بالموت والغضب المدمى والسعار
وتزودي بالسم والحقد القديم وبالمدار

فاليأس طـار
عن شعبنا العربي ،، والتنور فار
فبكل زند أســمر الأعراق ثار
يلوي الظـلام على النهار

*

طال الحديث عن القرار[٢]
والســهم مل القوس مل الاصطبار
وعلى جبين القدس أوضار وعــار
والعار يغســل بالشرار
فالى مَ هذا الانتظار
والصخر في الهرم المقيم على القفار
يهتز .. والثور المجنح في المطار

*

لا تحزني فبكل دار
كف تشــد لك الحزام على دثار
هذا الفدائي الملثم بالغبـار
هو ذو الفقـار
فلترقصي بين الهلاهل فالديار
بضياء صاعقة تنار

---

(١) الحجار ـ جبال الحجار في صحراء الجزائر .
(٢) قرار هيئة الامـم
ص ١٦ ـ العدد ٤٣ ؛ السنة الاولى : ٣٠ نيسان ١٩٦٩ .

عودة دليلة.. والابجر

أهذه دليله
تعود للشـوارع العريضة
مملوءة العينين بالدموع والريـاء
كأنها مريضـة
تبحث عـن دواء
فتشتري السـموم من عنابر اللصوص والطغاة
لتزرع الألم
في القدس والجولان والقناة
وعندما تعترض الأمم
تنطلق الاميرة
تمسـح كتف الدولة الكبيرة
فيجمد القرار في القلم
وترجع المجرمة الصغيرة
تسحب خلف ردفها الاهداب والعيون
لتنشـر المجون
فالحب في معبدها يدور
حول يد كثيرة النـذور
فليفرح الرواد في مخادع الرذيلة
فلم تزل دليله
تحمل بالاحضان من دار الى دار
مدهونة النهـدين بالقار

فيهتف الفجار في الأزقة المظلمة الغريقة
بالعار والزهري والاوبئة العريقة
ستفتح الصدور والشفاه والقلوب
لهذه الأنامــل الانيقــة
فتصرخ اللعــوب
لن تخجل الحمرة فوق خدي الأسيل
فلتفتح الجيوب
لأنني أهيم بالسلاح والنقود •• فالاعداء
في أرض اسرائيل يحلمون
بالنيل والاردن والفرات
وهكذا عدت الى الحيــاة
فكل من يسندني ينام فوق خصري النحيل
ويرضع الخمرة من مبسمي الجميل

*

لم تبق في البحــر لنا قبور
فلترفع الجمجمة البيضاء فوق المركب القديم
وليطلق المدفع كل ســافل زنيم
والسعر •• تلك الهزة الهيفاء في السرير
فتضحك الخائنة الهــلوك
أحب هذا النوع من حثالة البشر
والاذرع الكثيفة الشعر
لأنني في الاصل من قوم بلا ســلوك
نعبد روح الله في البنوك

ونجمع الذهب
لنطرد الأعراب من جزيرة العرب

*

ويسقط النعاس
عن مقلة المارد في قمقمة النحاس
فتزحف الاهرام والمنائر الخضراء في العراق
وكل ما في الشـــام والاردن من رخام
فالثائر لا ينـــام
فليصهل الأبجـــر فوق ساحة الصـــدام

بغداد في ٥-١١-١٩٦٩

ص ١٨ – العدد ٧١ السنة الثانية ، تشرين الثاني ١٩٦٩

الطائر الاحمر

من قال اني مولع بالليل والنجوم
وخضرة الزيتون في العيون
والعسل الأسود في ضفائر البنات
من قال اني أعبد الأقواس والحضور(١)
وحبة العنب
من قال اني أغزل الاشعار للقمر
ليكذب الـرواة
فالليل في قلبي كهف ميت الظلال
وخضرة العيون كوخ بارد الجدار
وليست النجوم غير حفنة من ذابل الصخور
وكل ما يقال عن حبي للحســان
وســمرة الخدود
حكاية قديمة من ســالف الزمان

*

أجل .. لقد كانت لنا عهود
مصبوغة الســاعات بالنرجس والعقيق
حيث الهوى مخدة لينة الرحيق
والعمر طير أحمر الجناح
ومثلما تموت فوق حاجب الغسق
جزيرة الصبــاح
مات على أصابعي الشــباب

فلم يعد للحب في قطارنا
السريع من مكان
وعند خط الحرب لا يوجد أقحوان
فليعلم الجميع اني اليوم
لا أعشق غير دورة الدواة
وزرقة المــداد

وأعبد الرعشة في نعومة الورق
وكثرة الســـهد مع القلق

فقد دخلت الآن في مدرسة الحفاة
فكل ما أعرف في الحيــاة

عداوة المنشــــار للخشب
وصيحة الاعصار عند شاطىء الغضب

فالكلمات البيض في شعري من حديد
مطلية الاعماق بالكبريت والفحم

وكل حرف مترع بالنار والعرق
مطرقة تقدح من أطرافها الحرق

فعصرنا الذرّي لا يفهم غير منطق
الجنون

ومهنة الخنجر في الظلام
فليشرب القلم
برادة المعــدن والعظام

وليقف الشـاعر بين الليل والنهار
ويطلق الرصاص في مفترق الطرق

ص١٨ ـ العدد ٧٤ ، السنة الثانية ١٩٦٩

(١) الخصور وردت الحضور .

حين تفوته القافية يلجأ الى نوع من الايقاع كما هو بين «النجوم» و «العيون» وبين «الخصور» و«الخدود» وبين «الظلال» و«الجدار» وهو مما يدخل في الاجازة (أو الاكفاء) .

الاحتفال السري

الغرفة متحف ألــوان
يا مرجــان
الورد الأصفر نعســان
ويردد وجه حيران
فيقفز القرصان نحو الطبل في سرور
راح فلان
جاء فلان
الحبة قد صارت قبة
والأحوال ..
حتى الآن
لم يحضر صندوق المال
. . . .
والســاعة
تسرق أنفاس المحتــال
ويتمتم صوت مجروح
الكيس الأخضر مفتوح
. . . .
والعقرب يســهر في
الســاعة
والولاعه
تأكل من رأس السيجار

والأخبـار ؟
بين الورور والدينار
. . . .
أين الطاعة
ما زال اللحم على النار
وغدا ستشق السكين
بطن العصفور المسكين
ويعود الهارب للدار
. . . .
ويعربد ثغر مسلول
لكني مشغول البال
فالدب الأحمر في الساحة
والتفاحة
أعلى من كف السلطان
. . . .
هل يوجد في هذي القاعة
يا شجعان
من يخشى[1] ثقل السندان
وتولول فوق الجدران
ضحكة بلعوم سكران
لن نعرف ما طعم الراحة
يا ثعبان
ما دام القنفذ في الباب

مرفوع الأظفر والناب

. . . .

كلا .. فالحفلة مضمونة

فليرقص قلب الشـــيطان

وترن الفرحة في الغرفة

ويظل الأطرش في الزفة

والحارس ينظر في لهفة

حول الدفة

طقطق طاق

ماذا ..! مجموعة جرذان

بغداد في ١ نيسان ١٩٧٠

---

١٨ ـ العدد ٩٠ ، السنة الثانية ١٥ نيسان ١٩٧٠ .

(١) يخشى ، وردت في الاصل يخش

عميان العالم

سفن تبحر في أعناق الاطفال الموتى
ســفن تبحر في أحلام الامرأة الكسلى
سفن تبحر في قلب العاشق
سفن تبحر في عقلي •
جسدي نهر والاطفال
ألواح للصلب
يا من تســبح في القلب
فلتات ••• عينك لي
فلتـــات ••
« قلبي غرفــه
يصعدها الآن الأفاقون
وأنا وحدي أرقبهم من تلك الشرفه »
سفن ، يا صوت الأطفال الفرحين
سفن تبحر في قلب المســكين
فلتبكوا من أجلي
يا أســماء تحفرها سكين اللذة
يا أجسادا غرقت في أنهار الليل
فلتبكوا من أجلي
نحــن المــوتى
أنتم وأنا والعــالم والريح
فلتسمعني آذان الصــم

فلتعرفني أعينكم يا عميان العالم
فلتقرأ أفواه الخرس قصائد أحلامي
فلتبكوا من أجل الطفل الميت في
رأس الشاعر
ولتخرس أشعار المدح
قرب الجزر المنفيه
غرقت سفن الريح
ارثوا ، ارثوا سفن الريح :
• • • • • • • • •
كتب الشاعر ألفيه •
ما زال الاطفال الموتى يصغون
للسفن المبحرة اليوم
في أحلام الامرأة الكسلى •

ص ٤٦ ـ العدد ٩٧ ، السنة الثالثة ، ٣ حزيران ١٩٧٠ .

البداية

وكانت الأرض بلا نطاق
أو غطـاء
امرأة عارية يغور في نهودها الحديد
ويلتظى في ثغرها الصخر
حتى اذا ما اغتصبت من طارق جديد
جاء به الهواء
فامتلأت أردافها بالنار والرياح
أنا هو الطارق والهواء
أنا هو البرق الذي جاء من السـماء

*

وبعد أن مر على شـبابها دهر
وانطلق القمر
يسحب من عيونها البحر
تململت : فجال فوق ساقها المطر
فامتزجت عناصر ٠٠ وانبثقت صور
سـحابة وماء
ومضة كهرباء
ويولد الحسـاء في المياه
أنا هو الومض ٠٠ أنا الحساء

*

وتهبط الشمس على شواطىء غريبة الضباب

فتصعد الغابة في الفضـاء
وتظهر الألوان في التراب
ويمرق الزمن
مائة مليون من السـنين
وتكبر الأسـماك في النهر
وتخرج الحيتان من مغارة الوحول
ويركض الثعبان في السـهول
أنا هو الحوت .. أنا الثعبان والسمك

*

وتنتهي علاقة الصلصال بالسراب
ويطفح العباب
فينبت الريش على كتفي والوبر
وتأكل الطيور لحم الذئب والوعول
ويبدأ الصراع بين الوحش والقدر
وعندما يستفحل الخطر
وتقبل الزلازل السوداء والسيول
ويبصق الرعـد على الجبال
النـار والشـرار
تبتسـم النمور للخيول
وتختفي العنقاء في مسارب الظلام
ويسجن الماموث في الثلوج
أنا هو الوحش الذي ينام بين الليل والنهار
أنا هو اللولب والمدار

*

عشرة آلاف من الاجيال في حفر
ويستقيم العظم في الظهر
وهكذا ينزل حيوان من الشجر

بغداد في ٤ كانون الاول ١٩٧٠

ص٣٨ – العدد ١٢٨ ، السنة الثالثة ، ١٣ كانون الثاني ١٩٧١
لا بد من أنه يلفظ «دهر» بفتح الهاء متابعة للعامية ويلفظ مائة في المقطع الثالث: ماءة بفتح الميم متابعة لرسمها . القصيدة أقرب شعره الحر الى نثره المركز روحا أو أقرب الى مزاجه ولعلها أفضل الثماني .

الملحق

١- مشروع مذكرات: من ايام الطفولة

أنا لا أعرف اليــوم الذي ولدت فيه لذا لا أعرف عمري بالضبط . ويزعم دفتر النفوس أني قد جئت الى العالم في ســنة ١٩٢٧ وهذا التأريخ موضع شك أيضا . والارض التي شاهدت وجهي لأول مرة تقع في قضــاء (طويريج) وتدعى اليوم (الهندية) .. ولا أعرف أصلي كذلك ، فوالدي يزعم انه من قبيلة العبيد ومن آل ســلطان بالذات (أي من الشيوخ) أما أمي فتدعي أنها من عشيرة البيات . ولم أقم بأي تحقيق في الموضوع . فلم أكن أؤمن في يوم ما بمثل هذه الامور . ولذلك لم أضف الى اسمي أي لقب كما هي العــادة المتبعة عند البعض وأعتقد شخصيا أن جــذور عائلتي تمتد الى قوميات متعددة ! فالشكل العــام لملامحي وعيني بصورة خاصــة يؤكد أن عروقي تحمل الدم العربي ممزوجا بدماء الترك والكرد . وأظــن أن هناك دماء أخرى .

ولعل هذا الخليط هو السبب في وجود هــذا الكائن المتناقض الذي يدعى حسين وسيكتشف القارىء صحة هذا القول الذي يبدو الآن غــير طبيعي كلما توغل في هذه المذكرات ..

قضيت السنين الأولى من طفولتي متنقلا مع والدي بين مــدن الفرات الاوسط ثم انتقلنا الى قضاء الخالص وهناك دخلت المدرسة الابتدائية ولم أعد أذكر من أصدقاء المدرسة غير جاسم العزاوي وآخر اسمه الاول حارس وقد نسيت اسم أمه ، حيث كنا حينذاك تتسمى بأسماء الأمهات ، والغريب اني لا أستطيع أن أرســم صورة واضحة لهذا العهــد من حياتي . والفلــم الوحيد الذي لم يمسح تماما هو الذي يظهر فيه الزقاق الذي كنا نســكن فيه والشارع المؤدي الى مكتب البريد وساحة المدرسة وبستان الصــولاغ

المجاور لدارنا • مع بعض الصور الجيدة الوضوح للمعارك التي كانت تدور بين أبناء محلتنا ـ السوس ـ وأبناء محلة ـ الحلفه ـ وأتذكر أن قائـدنا كان يدعى جاسم أما زعيم جماعـة الحلفه فشخص اسمه «أكبر» • ولي مع أكبر هذا قصـة صغيرة •

يخيل لي أني لم أكن طفلا في يوم من الايام فأنا لا أستطيع •• وعلى الرغم من خيالي الواسع أن أتصور نفسي صغيرا أبتسم لكل من يداعبني•• وكل ما أتذكره من ذلك العهد هو مجموعة من الصور المتقطعة الباهتـة • لقد ولدت في مدينة طويريج ولا أحتفظ لهذه المدينة الصغيرة بغير شـريط من الماء الاصفر هو نهر الفرات • وفي قضاء الخالص ترعرعت وقد كتبت قصة قصيرة عن بستان بالقرب من البيت الذي كنا نسكن فيه وهي بستان الصولاغ ولعلها قـد أصبحت اليوم شـارعا أو دائرة حكومية ، وترتبط هذه البستان في ذهني بعدة مغامرات بسيطة كالبحث عن أعشاش الطيـور وسرقة الفواكه • ومن الامكنة التي لا يزال طيفها ينتصب أمامي كلما قرأت شيئا عن هذه المدينة هو صندوق البريد الاحمر والنهر الرفيع الذي يطوق البيوت من الناحية الشرقية • وللأنهـار تأثير خاص في ذاكرتي فكل المـدن التي عشت فيها تدور في نفسي حول الانهر وأعتقد أن السبب هو أن النهر كان مصدر حكايات كثيرة عن الحيوانات والمخلوقات المائية •

وتزعم أمي أني كنت في منتهى الوقاحة واني كنت سريع الغضب وأحب التشرد في الازقة ولم أكن أحب اللعب إلا مع البنـات ومع ذلك فلم تحبني امرأة طيلة حياتي •• وأذكر اني كنت من أمهر رماة الاحجار وقد قتلـت لقلقا ولقد أحزني منظره وهو يلوب من الألم ومنذ ذلك اليوم تركت هـذه اللعبة اللعينة ولم أعد اليها إلا مرة واحدة في مدينة استكهولم في السويد• والعجيب أني قد أصبت الهدف في هذه المرة أيضا ومنحت جائزة جميلـة وهي « فرارة من الورق » أهديتها لمرافقتي السويدية •

لقد تعلمت في طفولتي أشياء كثيرة ومتنوعه مثل السباحه وركـوب الخيل وصناعة التماثيل الطينية ومراكب الورق • وغيرها من الالعـاب التي كانت شائعة حينذاك • ولكن تسلق الاشجار كانت هوايتي المفضلة • فقـد كنت شديد الولع بأكل النبق والتفاح الاخضر والتوت •• أما في الليل فكنا تتجمع في ساحة المحلة أو نتجـول بالقرب من السوق ننصت الى سـيل الصخب المقبل من الباعة والمقاهي • ولا يزال وجه العم «مهدي» الذي كنت أحلق شعري عنده يعود الى عيني بين فترة وأخرى •• هذا في الصيف أما في الشتاء فكنا نتحلق حول مناقل الفحم أو أعواد الطرفة ومن بين جميـع القصص المسلية التي كانت تسردها علينا « أم محمد » كنت أحب قصـة الطنطل ذلك الكائن الجبار الذي يخاف من منظر إبرة الخياطة ! ومع اننا لم نره أبدا إلا اننا كنا نشعر بوجوده دائما • ومن الحيوانات الواقعيـة أو الحقيقية كنت أميل الى صداقة الكلاب وأنفر من رؤية القطط ! ولم أكره أي مخلوق مثل كراهيتي للجرذان• ربما لأنها تأتي الى عالمنا من وراء الثقوب المظلمة • لقـد كانت تخيفني واني لاستغرب كيف أعطي الجرذ في أيامنـا الحاضرة هذه الشخصية الفذة وخاصة في أفلام الكارتون • ومن المؤسف حقا أن معظم تلك الحكايات اللطيفة والتي ترمز بعضها الى صفات أخلاقية معينة لم تجد حتى الآن من يمد يده اليها فيخرجها من صمتها المظلم ويضمها بين دفتي كتاب ، وقد انقرض قسم منها ولا شك انها ستختفي بعد سنوات الى الأبد • والقصة الوحيدة التي ظلت عالقة في بالي هي قصة الديك الذي كان لوالده بذمة السلطان مبلغ قرش واحد • تبدأ القصة عندما بلغ الديك سن الرشد وقرر الحصول على هـذا القرش وسأحاول كتابتها وتقديمهـا للقراء الصغار في عدد قادم من ـ مجلتي ـ ••

أما بالنسبة لذاكرتي المدرسية فقد كنت أود كافة الدروس عدا اللغـة الانكليزية • هذه اللغة التي أشعر بأشد الحاجة اليها الآن •• وكذلك درس

الحساب الذي كان عدوي اللدود ولقد عاشت هذه العداوة الى اليوم بل أنا أكره حتى البنوك والآلات الحاسبة كما انني وبالتبعية أضيق بمعاشـرة كل من له علاقة بدنيا الحساب والمحاسبات • ومن النكت الطريفة انني كنت مرة أناقش البعد الرابع عند انشـتاين مـع دكتور في الرياضيات وكدت أحظى باعجابه لولا تدخل أحد الخبثاء حيث همس فقال ان من يناقشـك في النسبية والبعد الرابع لا يعرف الابعاد الثلاثة فدهش الدكتور ورفض سؤالي عن الابعاد هذه • ولكن صاحبي أصر على ذلك فاضطررت للاعتراف بعدم معرفتي بها وعندما قيل لي انها الطـول والعرض والارتفاع ضحكت من غبـائي •

---

* هذه البستان : هذا البستان .

٢ . مقابلة معه

حسين مردان ما يزال ـ حتى الآن كما يبدو ـ غنيا عن التعريف •• ومنذ قصائده العارية ، واسمه يرتبط بالتحدي ومحاولة التجديد • ولعل كثيرين لم ينسوا يوم قدمت مجموعته الى المحكمة •• والضجة التي رافقت ذلك على الصعيدين الشعبي والأدبي •• ولعلنا لا نكشف سرا اذا قلنا إن القصاص غائب طعمة فرمان كان موفقا حين استعار لاصواته صوتا فيه نبرات حسين مردان المتميزة •• مما أكسب (خمسة أصوات) حيوية ـ كما يؤكد ذلك بعض المطلعين ـ •

ولن يغير من شهرة حسين مردان تواضعه حين يصرح انه بعد أن نظم الشعر وكتب القصة والمقالة الأدبية والسياسية ومارس النقد والنثر المركز بالاضافة الى عمله الصحفي حتى خيل اليه أنه موشك على الضياع•• فتحول اثر ذلك الى « مجرد مثقف » ••بعد عمر طويل !

وبهذا فان الف باء ليسرها أن تقدم لقرائها حسين مردان في حديث مثير وطريف •••

* كم كتابا شعريا أصدرت ؟

ـ أصدرت : قصائد عارية • الأرجوحة هادئة الحبال • أغصان الحديد• طراز خاص •

* وكم كتابا أصدرت في النثر المركز ؟

نشيد الإنشاد • الربيع والجوع • صور مرعبة • العالم تنور • هلاهل نحو الشمس • عزيزتي فلانة •

* هل أصدرت كتبا أخرى ؟

ـ أصدرت « مقالات في النقد الأدبي » •

* ما هو النثر المركز ؟ وهل له علاقة بما يسمى اليوم بقصيدة النثر ؟

ـ لقد أدى الضيق بالوزن والقافية عند الشاعر المعاصر الى نوع من التمرد والالتجاء الى هذا النوع من النثر الفني . والذي شاع في عهد جبران وأمين الريحاني عن طريق ترجمة الشعر الاوربي الى اللغة العربية . فعمل بعضهم على تطويره والاعتناء به لكي يأخذ شكل القصيدة من ناحية الاهتمام بوضع الكلمة وموسيقية الالفاظ واختصار الجمل وتركيزها ، للاستعاضة عن الجهد الذي يبذل في القصيدة الموزونة .

أما السبب الحقيقي الذي دفعني الى كتابة هذا النوع من النثر فهو اكتشافي أن الوزن يحد من اظهار الحيوية النفسية ونقل العالم الباطني بصورة دقيقة .

* إذن أنت لا تعتبر النثر المركز شعرا رغم ما فيه من عناصر الشعر ؟

ـ طبعا . ولذلك أطلقت عليه اسم النثر المركز .. في الوقت الذي كان ينعت بالشعر المنثور أو القصيدة النثرية .

* ما رأيك بقول بعضهم .. ان قصيدة النثر ستكون شعر المستقبل ؟

منذ ملايين السنين والكون في حالة توسع . وكذلك الحضارة . وان ما يرافق هذا الامتداد في حياة الانسان من تعقيد سيدفع بالفنان الى رد فعل قد يؤدي الى تبسيط الفن والأدب بصورة عامة .. ولكن هذا لا يعني أن القضية ستصبح قانونا .

أما رأيي الخاص فاني أؤمن أن مهمة الفنان هو حل العقد عن طريق توضيح كل ما يدور حولنا . وعليه أرفض الغموض في الأدب أو الفن ، وان كافة المدارس الفنية منذ الدادية حتى السريالية أخذت تضمحل وتفقد تأثيرها المباشر في الحركة الادبية والفنية على المستوى العالمي .

* لقد نشرت مؤخرا بعض القصائد . فهل تعتقد أن شعرك قد تطور عما كان عليه في أغصان الحديد مثلا ؟

ـ ان التطور قد لا يبدو في قصيدة واحدة حتى ولو كانت هذه القصيدة هي آخر ما نظمت . وانما التطور يحدث من حيث الخط الشعري العام .. فهناك بعض الموضوعات تفرض على الشاعر تكنيكا معينا .. وحتى كلمات معينة .. ففي قصيدتي « استامبول » تعمدت الوضوح التام وكذلك في قصيدتي « مدينة النحاس » .

وعندما أتعرض لحادثة لها صدى داخلي الجأ الى كلمات وصور تختلف تماما حتى في طريقة العرض .. كما جاء في قصيدتي الليل والموت :

وراء سور اللّيل في الصمت
من هوة الصمت
يصرخ بي عبر المدى صوتي
كأنه موتي
الفجر لن يطلع .. لن يأتي

ـ أنا شخصيا ألاحظ أن الوضوح الذي تحاوله .. والتزامك الشديد لقافية واحدة في قصيدتك الحديثة قد أثر على فنيتها ؟

ـ لكل حرف رنينه الخاص . ولكل كلمة موسيقاها .. ولعل العنصر الاساسي في الشعر هو الموسيقى والطفرة التي حدثت بالانتقال من الشعر العمودي الى الشعر الحر كانت عميقة وواسعة بحيث أدت ببعض الشعراء الى اهمال ما للقافية من تأثير مباشر على السمع . ولعل معظم هؤلاء لم يفهموا كيفية الانتقال من قافية الى أخرى .. وبالاصح من موسيقى حرف الى موسيقى حرف آخر ، فرأيت أن من واجبي أن أعطي أمثلةعملية على أن القصيدة الحديثة بالدرجة الاولى تعتمد على تجزئة التفاعيل والمحافظة على الموسيقى الداخلية التي يجب أن تساير الانغام للقوافي المتعددة في القطعة الشعرية . ولقد التقيت مرة بالشاعر اللبناني أمين نخلة واستمعت اليه وهو يتهجم بعنف على الشعر الحديث .. وعندما قرأت له بعض

قصائدي أبدى ارتياحا وفرحا •• لأن ما ينشر في المجلات تحت هذا الاسم لا يمت الى الشعر الحقيقي بصلة •• نحن لم نحطم القافية في الشعر العمودي لغرض الانفلات كليا من الخط الموسيقي العام ـ عدا الموسيقى الداخلية ـ وانما كنا نهدف الى الحصول على حرية موسعة لممارسة التعبير عن أعماق الانسان • وان المشكلة الحقيقية في تعدد القوافي تنبثق من قدرة الشاعر في الانتقال من قافية الى أخرى •• أما اذا كنت تهدف من سؤالك الى عدم الالتزام بمجموعة من القوافي في قصيدة واحدة فان هذا الذي سيؤدي الى انقطاع في السلسلة الموسيقية الخارجية •• والى نوع من الانفصام بين الموسيقى الداخلية والموسيقى الخارجية •

* انني لا أتفق معك في آرائك •• فالشعر عندي لا يحتاج الى كل هذه الالتزامات • وعلى أية حال : هل تعتقد أن الامثلة الشعرية التي قدمتها للتدليل على هذه الآراء كانت ناجحة ومقنعة ؟

ـ ان ذلك من مهمة النقاد •• وما دمنا لا نملك ناقدا واحدا يفهم قضية الشعر المعاصر فستبقى المشكلة مطروحة الى اليوم الذي أقرر فيه أن أصبح ـ أنا نفسي ـ ناقدا •• واني لفي طريقي الى ذلك •• وعندئذ لكم الويل •• كل الويل !

* طريف هذا التهديد من ناقد لم يولد بعد •• وشاعر لم يقيم تقييما موضوعيا حتى الآن •• ولكنني أسألك رأيك بمحاولاتك النقدية السابقة•• فماذا تقول ؟

ـ ان احترامي العميق للنقد هو الذي دفعني الى وضع كتابي « محاولات في النقد الأدبي » • فهناك من يزعم انه فوق النقد وانه أعلى من أن يناله النقاد •• وعلى رأس هؤلاء الشاعر الجواهري •• وقد كان هو هدفي في تلك المحاولات •• ولو انني أفهم عظموت الجواهري كشاعر أكثر من الجواهري نفسه •

❋ لمن قرأت من الشـــعراء الذين جاءوا بعد جيلكـــم •• وما رأيك في ما قرأت لهم ؟

ـ لقد صدتني الآن •• واني لأعترف بقصـوري عن تتبع النتاجـات الشعرية لشعرائنا الشباب •• إلا ان هذا لا يعني أني لم أقرأ لبعضهم •• فالصدفة هي التي تتحكم لهذا الشاعر أو ذاك •• وكثيرا ما كشفت لـي هذه الصدفة عن شاعر ممتاز •• ومن هؤلاء فاضل العزاوي وشاعرة ذات أجنحة متعددة ولكنها قصيرة أعتقد أن اسمها آمال الزهاوي •

على انني ألوم هؤلاء الشعراء لانهم لم يحملوا إلي شخصيا ما ينشرون من مجموعـات •

❋ هل تعتقد أن من واجبهم أن يفعلوا ذلك ؟

طبعا •• فأنا دكتاتور الحركة الأدبية •• وباستطاعتي أن أهيل الجبـل على أي شـاعر كما ان باستطاعتي أن أضعه فوق ناطحة للسحاب ! فحتى السياب وهو الشاعر الفذ كان يقرأ لي قصائـده الجديدة لا لأني شـاعر حسب •• بل لاني أحد منظري الشعر •

❋ ولكن يبدو لي أن هذا الديكتاتور قد هرم •• فلم يعد أحـد يطلب تزكيته •• هل توافقني ؟

ـ كلا •• أنا لم أزل في الاربعين وسأبقى سيفا مصلتا على رؤوسـكم • فليحاول من يريد أن يخرج على طاعتي وسترى عندئذ ضربات الفـارس المغـوار !!

❋ ومع ذلك •• فاننا نصر على عـدم طاعتك •• لأنك في رأينـا قـد انتهيت •• وان وقتنا قد بدأ •• وذلك قانون !

لقد مات سـالازار • ولكن شبحه ما زال فوق البرتغال •• وأنا لـم أمت بعد •• ولم تزل أصابعي قوية كبرادة الفولاذ فليجرب أحدكم ويخدش الاطار الخارجي لكبريائي الأدبي وليرَ نوعية الصواعق في قلمي ••

* وهل ترضى لنفسك أن تكون كسالازار ؟

ــ انني ديكتاتور من نوع آخر ٠٠ من النوع الذي يعمل لتثبيت المسائل الحقيقيـة ويعطي دمـه ليرى الأدب العراقي في عافية ٠ هـذا ولا يهمني الاعتراف بي من قبلكم لانني أمارس الحكم فعلا ٠

* لا أعتقـد !

ــ على كل حال ٠٠ الاعتقاد ليس هو المهم٠٠ بل الواقع !!

* الواقع هو انك لا تملك ما يؤهلك لأن تكون ديكتاتورا ٠٠ وبخاصة معنا ٠٠ والآن لنسـألك سؤالا آخر سـبق ان قرأنا لك بعض القصص القصيرة ٠٠ هل تمارس كتابة القصة الأن ؟

ــ هل تسمح لي أن أضحك قليلا فأنا نظمت الشعر وكتبت القصة والمقالة الأدبية والسياسية ومارست النقد والنثر المركز بالاضافة الى الصحافة حتى خيل إلي أني على وشك الضياع فتحولت الى مجرد مثقف ولكن هدفي كان ملء الفراغ في المجالات الأدبية عموما ٠٠ أما عن ممارستي لكتابة القصة القصيرة الآن فهناك محاولات بين حين وآخر ٠

* من هو أفضل شـاعر عالمي في نظرك ؟

ــ اليوت ٠

* من هو أفضل شـاعر عربي أو عراقي ؟

ــ ان الشاعر الحقيقي هو الذي يفرض عبادته على الجميع ٠٠ ولم يظهر مثل هذا الشـاعر في العالم العربي حتى الآن ٠

* اذا كنت دكتاتورا في الشـعر ٠ ألا يمكن اعتبارك شـاعرا يفرض عبادته على الكل ؟

ــ كلا ٠ أنا شـاعر أهطع مع زملائي الآخرين ٠ وان دكتاتوريتي ليست في الشعر ، وانما في تثبيت القيم الصحيحة لحركتنا الأدبية[1] ٠

ملاحظة : يصادف العدد الشهر الاول من عام ١٩٦٩ ولهـذا جاء في

موضوعاته : ١٢ شخصية تتحدث عن أبرز أحداث عام ١٩٦٨ ، بينهم حسين مردان الذي قال :

● أحسن كتاب كان « الرحلة » لمؤلف أمريكي لا أذكر اسمه فقد شاهدته مطروحا في مكتبة أرضية فخيل إلي أنه من جماعة الدرهم ! ولقد دهشت حقا عندما أخبرني البائع بثمنه الفاحش .. ومع السطور الاولى شعرت أني أمام قصة من النوع الخارق .. قصة سفرة طويلة وغريبة داخل الانسان المعاصر وفي رأيي أن هذه القصة تقف فوق المسخ لكافكا ..

● بقدر حبي للناس فأنا لا أرتاح للاقتراب من أجسامهم وان مجرد إحساسي بأن هناك من يجلس بجانبي يفقدني حريتي . فان التفافي المستمر حول وحدتي النفسية قد حولني الى غراب لا يجد الاطمئنان إلا فوق القباب ولهذا أنفر حتى من محاولة التفكير بالذهاب الى السينما .

● سنة ٦٨ تغص بالاحداث ولعل أروعها هو دوران الإنسان حول القمر. انه ديگول .. أبرز شخصيات عام ٦٨ فقد ظل طيلة العام الفائت يعمل على تقريب العالم من السلام(٢) .

---

(١) ـ ص٤٨ ، العدد ٣١ ، السنة الاولى ، ٢٩ كانون الثاني ١٩٦٩ (ألف باء) مهمة الفنان هي ...

(٢) ـ نفسه ص٢٠ ، ٤١ ، ٥٠ .

٢ ـ هل كان ملتزما؟

بقلم : عبدالمجيد الونداوي

هل كان حسين مردان ملتزما ؟

قد يكون السؤال « جافا » أكثر من اللازم وأنا أريد أن أتحدث عن حسين في الاسبوع الاول من موته ولكنني أنا الذي اخترت السؤال لان في فمي غصة عمرها بضع وعشرون سنة في ١٩٤٩ و١٩٥٠ وما بعدهما • كان معارفي من السياسيين والمثقفين يهاجمون حسينا في معرض نصحي بالتخلي عن صحبته ولم أستطع أبدا أن أقنع أي فرد منهم أن حسينا ليس «وجوديا» بالمعنى الذي كانوا يفهمونه ، وليس (متحللا) كما يقول بعضهم ، وانه كان رجلا فذا وملتزما وصاحب مبدأ نبيل ••

كانت ابتسامة السخرية ترتسم ومعها التفاتة الرأس الى اليمين أو اليسار علامة لعدم التصديق ، وبقيت حتى أصبحت في أعوام متأخرة أما أن أسكت وأقر بواقع جهل كثير من سياسيينا ومثقفينا بالالتزام ، وأما أن أصطحب معي أبا علي الى الشخص ـ غير المصدق ـ اذا كان بطبيعة الحال من الرجال الصادقين مع أنفسهم ليسمع شعره ـ فهو كان حجر الزاوية في التهمة التي يلصقها الناس به أو يلصقها هو بنفسه ـ ليصدق ، مرة أعجب أحد الاشخاص الذين لهم رأي خاطىء في حسين مردان ، بشعر أبي علي وأخرج جهاز التسجيل من دولاب قريب منه وطلب من حسين أن يسجل القصيدة بصوته وظل معجبا به حتى وفاته ـ وفاة الشخص ـ وقرأ ديوانه الاخير ـ طراز خاص ـ بكل دقة وكان يسألني عن كثير مما فيه ، فهو لم يلتق بأبي علي في أيامه الاخيرة • ولأقل من هو هذا الشخص ، انه كامل

الجادرجي ، ولا بد ان التسجيل الصوتي لحسين لا يزال في مكتبته فقد كان يعتز به .

كنت أقول للجادرجي بصراحة انه لا يمكن أن يفهم حسين مردان وجيل حسين مردان ، لأنه نشأ مع جيل الزهاوي وكان يتردد عليه يسمع منه شعره ، ومع جيل الرصافي واعجابه به معروف ، وقد تقدم به العمر فهو لن يفهم حسين مردان شاعرا لان ذلك شبه مستحيل . قلت هذا أو ما يماثله لعزيز شريف مرة ، وكان عزيز شريف وكامل الجادرجي يردان القول بأنهما يقدران لحسين موقفه السياسي والمبدئي بلا تردد ، فقد كان كل من يعرف حسين مردان شخصيا يعرف انه رجل ملتزم . الشيء الوحيد المختلف عليه هو - شعره الجنسي - وهل كان يتفق مع التزامه أم لا .

هل هذا هو السؤال إذن ؟

جاء حسين مردان الى بغداد من قريته - بعقوبة - فقد كانت ما تزال اذ ذاك قرية ، بعد أن لعنه أهل قريته لأنه كان يعتزل الناس في أطرافها ويحمل العصا ، أو أية صورة تستحق اللعنة في القرى ، وفي بغداد اقتحم المجتمع المدني بكل سخريته بالغريب. وحسين الشاب لم يكن خالي الوفاض - على ما يعتقد أي قروي يحمل بضعة دراهم - ولكن دراهمه لم تكن نقدا ، فقد كانت قصائد ساذجة - احداهما كما روى لي قصيدة حماسية ألقاها في مظاهرة وطنية في بعقوبة - وبقدر ما احتفظ بوضعه الذي جره معه من قريته ، وضع أهله ومحيطه الكادح ، فانه لم يتجه في ذلك الوقت أبدا ، اتجاها منحرفا ، فقد عمل في مختلف المهن لكسب عيشه بما في ذلك عامل بناء ، وقد روى لي تجربته تلك وهو يحمل الطين الى الطابق الثاني أو الثالث في البناية التي يعمل في بنائها فيهوله مرأى الناس صغارا في الشارع المجاور ، وهو في - دشداشته - وفوق رأسه قفة الطين . فهو لم

يختر التشرد يوما ما وانما فرض عليه التشرد في فترات معينة في حياته ولأسباب سياسية في كل حالة ٠

كان في تشرده الاول قرينا لبلند الحيدري ٠ وبلند الحيدري شاعر تمرد على عائلته الارستقراطية الفقيرة والتي لها صلتها بأجزاء العائلة الثرية الأخرى٠ كان أمامه في ذلك الوقت ــ وقد جاء من القرية غريبا غير معروف الانتماء ــ أن يواجه صداقته مع بلند الوجهة المربحة ٠ ولا أعرف كل تفاصيل رفقة حسين وبلند في تشردهما ذلك ، فلم أكن أعرفهما ، وهما تحدثا لي بشيء قليل عنها ، ولكنني أستنتج أن حسينا قد فضل أن يرافق بلند في التشرد على أن يرافقه الى بيت أقربائه الاغنياء ، وكان بلند على ما يبدو لي يجد في تلك الحياة حقلا صالحا للحراثة والزرع لما هو عجيب ٠ كل هذا يدل على نبل والتزام حسين مثلما يدل على نبل والتزام بلند الحيدري ٠

المهم في الموضوع ، سواء صحت تلك الصورة أو لم تصح ، هو أن حسين مردان لم ينقل في تلك الفترة قدميه الى حي بعيد ، فهو قد ذهب الى جريدة الأهالي القريبة من مقهى الزهاوي ــ والمقاهي الاخرى التي يلتقي فيها الأدباء ــ ليبدأ عمله الصحفي الطويل مخبراً محليا ومصححا في تلك الجريدة ٠ ومع انه لم ينتم قط الى الحزب الوطني الديمقراطي ، ولا الى أي حزب آخر كما أعلم ، فانه استفاد بالتأكيد من كتابات الأهالي التي كان يصحح بروفاتها في المطبعة ــ وأصبح فيما بعد ينام ليلا في زاوية خاصة من بناية المطبعة المذكورة ــ وفي تلك الفترة نظم شعره الذي ضمه فيما بعد ديوان ــ قصائد عارية ــ ٠

الشعر الذي عرف به حسين مردان ذلك كان موضع لعنة الناس٠٠ولكن أي ناس ؟ انهم أولئك الذين لم يفهموه أولا وأولئك الذين أحسوا فيه خطر الثورة على المثل البورجوازية المتحجرة ثانيا ٠ فحسين مردان في شعره ــ الجنسي ــ لم يختر نماذجه إلا على أرض الفقر والبؤس ، ولم تكن

أفكاره حالمة مشرقة بهيجة كما يراد من شعراء الطبقات المالكة ، وانما كانت واقعا فنيا قاتمة مدمـرة كما يجب أن تكون عليه أفكـار شعراء الفقراء البائسـين •

أليس هذا من الالتزام في شيء ؟

نعم وبلا شك • حتى شعره المكابر ، مثل أن يقول :

ها أنا ذا رجل الضباب ومن له في كل موبقة حـديث يذكر

لم يكن إلا تحديا للمثل البورجوازية ، فهو شخصيا لم يرتكب موبقة على ما أعرفه ، إلا اذا اعتبرنا السكر كذلك ، وحتى في سكره لم يكـن حسـين يعربد أبدا •

وبعد أن دخل حسين مردان السجن في أوائل عام ١٩٥٣ على اثر قرار المجلس العرفي ربطه بكفالة شخص ضامن قدرها مائة دينار ــ ولم يتقـدم أحد لتقديم تلك الكفالة البسيطة وتخليصه من السجن ــ ، بعد أن دخل السجن قضى وقته كله في نظم الشـعر الملتزم •

وظل حسين الى آخر حياته ينظم شعرا ملتزما ، ويكتب ملتزما ••

ولا أريد أن أختم هـذه الكلمة القصيرة دون أن أورد سـطورا من [شـعره] :

ومنذ ألف عـام ،
أو يزيد
يُجلد وجه سيدي الحسـين بالسياط
ويقطع النياط
في كل قلب أبيض •• لينزل
السـتار
على القذى في مقلة النهـار
لكنه العياط

جرثومة تنقلها النســاء للصغار
فلينهض النيــام
ولتبصق الأفعى على الطعام
فالأرض منذ عــاد
لم تنبت الأفراح للعبيــد
وليضمد الطغـام
فانني أبص* من بعيــد
في أفق « سامراء » طيف صاحب
الزمــان
يخرج من سردابه القديم

وعندما وجد حسـين مردان في أواخر حياتـه أن نماذج بورجوازيـة أخذت تتسرب الى شعره وتكـاد تخنقه ، ترك نظم الشـعر وأعلـن ذلك بكل جرأته ٠

١٩٧٢/١٠/١٥

* ابص : لعلها ابصر لأن بص الشيء : لمح

٤ ـ توقعات عجيبة في حياة الراحل حسين

عبدالمنعم الجـادر(١)

● ثمة نقاط في حيـاة بعض الناس قد لا تصـدق •• لأنها تكون أشبه باستجلاء للغيب ••

● ومثل هذه النقاط في حياة الزميل الراحل المرحوم حسين مردان قـد لا تصدق من قبل البعض •• لكنني لمستها طيلة ملازمتي له خلال ربع قرن أو أكثر •• والنقطة الأخيرة أحدثت دويا رهيبا في أعماقي على الاقل !•

● مات في وقت توقعه !

ــ في الساعة الثانية من ظهر يوم ١٣ــ٩ــ١٩٧٢ كنا معا ــ الزميل الراحل وأنا ــ •• وحديثنا كان عن الحياة وقصرها •• ويومها قال لي انه متضايق من لا شيء •• وافترقنا على موعد في اليوم التالي •

ــ وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي انساب صوت أحد الاخوان عبر أسلاك التليفون يقول لي ان « أبو علي » أصيب بنوبة قلبية وهو يرقد الآن في مؤسسة مدينة الطب •• وبعد ثمانية أيام تحسنت صحته وقال لي مبتسـما :

ــ هذه المرة الأخيرة •• تأكد انني سأموت !•

وبدعابة قلت ضاحكا :

ــ تماما كما قلتها لألف مرة سابقة !•

ــ أبدا •• هذه المرة الاخيرة •• وسأفارق الحياة •

وبعد عشرين يوما انطفأت شمعته •• وانقطع وتره •• وغابت الشمس من حياته فانتقل الى عالم آخر في الموعد الذي توقعه •!

هكذا بسهولة مات « حسـين مردان » •• صاحب القلب الطيب •• وصاحب أغرب نقاط للتنبؤ ••

● منذ سـنوات طوال !

يوم قدم «حسين» بغداد في الاربعينات قادمـا من قريته في أطـراف « بعقوبة » لم يكن قد تجاوز السابعة عشرة •• لم يكن يحمل في رأسـه أية أمنيات عراض•• أو أية أفكار لمغامرات طوال •• بضع قصائـد وآراء كان رأسه يضج بها بما حفظه عن « كامو » •• و « بودلير » ••و«بايرون» أو «غوته» و«نيتشه» مما ترجم لهم ولغيرهم للعربية •• وبضع هفهفات من « معلقات » العرب •• وما تركـز «للجواهري» أو من ماثله من شـعراء العربية من أبيات قصائد ••

ويوم صدرت له مجموعة « قصائد عارية » عنفه حاكم جزاء بغداد الذي قدم أمامه لاصداره تلك المجموعة صرخ به قائلا :

ـ انك تشابه بودلير شـعرا مكشوفا !•

● خطوات المدرسة الاولى !

المتتبعون لحياة رواد المدرسة الشعرية الحديثة •• والمدرسة القصصية الحديثة •• والمدرسـة الصحفية الحـديثة فيما بين منتصف الاربعينـات والخمسينات يعرفـون أن ثمة « مقاه » تأرجحت مكانتها بين « الشعبية » و « الارستقراطية » كانت بمثابة «مقرات» لابراز تفاعلات «فرسان» هـذه المـدارس •• ومن هذه المقـاهي كانت « مقهى محمود » في منطقة باب الشيخ •• و « مقهى التاج » في منطقة الكسرة و « مقهى زناد » فيالبتاوين و « مقهى أكرم » في شارع الامين وغيرهـا من المقاهي التي كانت تجمـع «رواد» المدرسة الحديثة للشعر والقصة والصحافة •• ومنهم كان « حسين مردان » و « بدر شاكر السياب » و « بلند الحيدري » و « غائب طعمـة

فرمان » و « كاظم جواد » و « صفاء الحيدري » وغيرهم •• ومن هـذه المقاهي كانت قصائده الاولى •• كما كانت قصائد زملائه الآخرين !•

● حب ونبوءات و •• موت !

الطيبة وحدها لم تكن مزية « حسين مردان » الوحيدة •• بل كان الحب والوفاء من مزاياه أيضا •• ويوم عمل في جريدة « الأهالي » اندفع في حبها بكل خفقات قلبه • ويوم تعرضت لشبه اغلاق مرض «حسين» •• ولم يتماثل لشفاء حقيقي حتى انتهت المضايقات عن الجريدة •

وبعدها بسنوات لقيته في « براغ » صدفة •• وسألني عن الفترة التي سأمضيها هناك •• وعند إخباري إياه بأنني سأمضي بضعة أشهر قال لي انك ستعود للوطن بعد أيام •• وصحت قولته ، تلقيت برقية بوفاة والدي •• وعدت الى الوطن بعد أيام !•

● السـقطة النهائية !•

في السـاعة الثامنة والنصف من صباح يوم ١٤ـ٩ـ١٩٧٢ كان في دار الاذاعة يمرر أنامله فوق قرص التليفون ليتصل بصديق •• وفجـأة سقط مغمى عليه ••والى مؤسسة مدينة الطب نقل •• وبعد أسبوع تحسنت صحته كثيرا فنقل من قسم « العناية المركزة بالقلب » الى الطابق الثامن للمؤسسة• وذات يوم كنت أجلس عند رأسه وقد تماثل للشفاء •• وبابتسامة الطفـل البريء قال لي بشبه ألم :

ـ هذه المرة الأخيرة •• تأكد انني سأموت !•

وبدعابة قلت ضاحكا :

ـ تماما كما قلتها لألف مرة سابقة !•

ـ أبدا •• هذه المرة الاخيرة •• وسيكون ذلك في مقتبل الشهر المقبل !

وتندرنا ومن حولنا لفيف من أطباء المؤسسة ••

● اللحظات الأخيرة في حياته ••

وبقيت حالته الصحية تسودها الراحة .. ويشرف عليها لفيف من أطباء المؤسسة منهم الدكاترة إحسان البحراني ومجيد الشماع وعادل عبدالغفور ومصطفى سليم وساطع سليم وحميد الشمري وحسين حبوش وحسان كيسو ووجدي جلال ..

وقبل ثلاثة أيام من انطفاء شمعته شعر بأزمة في قلبه فنقل الى قسم « العناية المركزة بالقلب » .. عولج فارتاح ..

وفي الساعة الثانية عشرة من ليلة ٣ـ٤/١٠/١٩٧٢ حدثت له ما تسمى في عالم الطب حالة « احتشاء العضلة القلبية » صاحبتها حالات عدم انتظام في خفقات القلب .. واستمرت حالته الصحية تسوء .. وتسوء .. وفي الساعة الثالثة والربع تماما من نفس الليلة توقف القلب الطيب عن الخفقان.. وتقطعت الاوتار المرنة في عالم البراءة والطيبة .. وتوقفت الخفقات نهائيا.. وارتحل حسين مردان الى عالم ثان توقع انه سيلجه في الأيام الاولى للشهر الجاري ..

وفي الساعة الرابعة و٤٥ دقيقة من مساء ٤/١٠/١٩٧٢ كانت ثمة دموع .. وارتعاشات شفاه .. ونشيج .. ومن الباب الرئيسية لاتحاد الأدباء العراقي سارت القافلة تودع « أبو علي » الى مثواه الاخير في النجف الأشرف ..

---

(١) الجمهورية ـ الجمعة ٦ـ١٠ـ١٩٧٢
ان هناك « مقاه » : مقاهي

٥ ـ مؤلفات حسين مردان

(مرتبة على حروف المعجم)(١)

الأرجوحة هادئة الحبال ـ شعر ١٩٥٨ ، بغداد ، مطبعة الرابطة • منشورات مكتبة النصر • على الغلاف الاخير : مطابع ثنيان ورمزي • قام برسم صور الديوان كل من الرسامين جواد سليم وشاكر حسن ، ١١٠ص+ ٤ • مكتبة حسن مراد تقوم بتوزيع هذا الديوان في بغداد وكافة أنحاء العراق • بيع من هذا الديوان ١٠٠٠ نسخة •

الأزهار تورق داخل الصاعقة ـ مقالات ١٩٧٢ ، بغداد ، وزارة الاعلام ، مطبعة الجمهورية ٢٣٦ص •

أغصان الحديد ـ شعر ١٩٦١ ، بغداد ، شركة التجارة والطباعة ، ٦٠ص+٢ • شعر حر ، تتصدره قصيدة عمودية• في نهايته قصيدة « رجل الضباب » عمودية ، صدرت من قبل (١٩٥٠) في كراس خاص • صورة الغلاف وكتابة العناوين بريشة الرسام يحيى جواد • ص ص ٥٩ـ٦٢ •

الربيع والجوع ـ نثر مركز ١٩٥٣ ، بغداد •••

رجل الضباب ـ قصيدة عمودية ١٩٥٠ ، بغداد ، المطبعة العربية ••• أعاد نشرها في نهاية ديوانه « أغصان الحديد »•

وقال في الإعادة : « نشرت هذه القصيدة في عام ١٩٥٠ في كـراس خاص وهي نموذج للشـعر الثوري الذي كنا نتحدى به حكام العهد المباد. وسيجد القارىء خلالها وصفا للثورة التي حدثت بعد ذلك بأعوام طويلة ، أعني ثورة ١٤ تمـوز الجبارة » .

رسالة من شاعر الى رسام ـ الشاعر حسين مردان ، والرسام شاكر حسن (آل سعيد) ، بغداد ، ١٩٥٦ ... ـ نثر

صور مرعبـة ـ نثر مركز ١٩٥١ ، بغداد ...

طـراز خاص ـ شعر ، أكثره جديد، ومنه مختارات من شعر سابق له منشور أو غير منشور ، ١٩٦٧ ، بيروت ـ صيدا ، المكتبة العصرية . وهو آخر ما صدر له من شعر في حياته ، ١٩٣ ص .

عزيزتي فلانة ـ نثر مركز ١٩٥٢ ، بغداد ...

العـالم تنور ـ نثر مركز

قصائد عارية ـ شعر عمودي هو ديوانه الاول. ط١ ، بغداد١٩٤٩ مطبعة المشرق ، قدم له: صفاء الحيدري ويوسف إلياس عـن الدار التي أنشـآها . يقول صفاء الحيدري (مجلة وعي العمال ١ حزيران ١٩٨٦): « ... جعلت ثمن النسخة ٥٠ فلسا ، وطبعت من الديوان ٥٠٠ نسخة » ولا بأس في أن يفهـم من كلمة صفاء الحيدري في هذه المجلة أنه أعـان حسين مردان في قافية أو كلمة .. لا أكثر لأن

قوله انه صنع الشاعر قد يفهم منه صنع الشعر وهذا ما لا يصح !

ـ ط٢ ، بغداد ١٩٥٥ ، مطبعة المعرفة

جمع معها قصيدة « اللحن الاسود » (المطبوعة سابقا ١٩٥٠) . ثمن النسخة ١٠٠ فلس . صورة الغلاف « فكرة » مأخوذة من ملحمة گلگامش: انكيدو والحسناء ... وضع صديقنا الفنان الكبير الاستاذ جواد سليم . طبع من هذا الديوان ٢٠٠ نسخة . مقدمة الطبعة الثانية للناشر : صاحب مكتبة الأمل

الاصل ٦٥ص+اللحن الاسود ص ص٦٧ـ٨٩+٢
قال المؤلف : كان بودي إجراء بعض التعديلات وحذف ما ينبغي حذفه من الأبيات ولكني لم أفعل ذلك ليستطيع القارىء أن يدرك التطور الذي حدث في شعري خلال سنة١٩٤٩ـ١٩٥٥»

وتعلن مكتبة الأمل لصاحبها توفيق محمود حلمي في منشوراتها : نقد الجواهري ـ تحت الطبع لحسين مردان

منقار الغراب ـ يصدر قريبا لحسين مردان ولم يصدر الأول باسمه ، ولكن مادته في كتاب « مقالات في النقد الأدبي » .

ولم يصدر كتاب باسم « منقار الغراب » .

على الغلاف تعريف بالمؤلف ومؤلفاته كأن كاتبه المؤلف نفسه •

اللحن الأسود — قصيدة عمودية في كراس ط١ ، بغداد ١٩٥٠ ، مطبعة الرابطة • الإهداء بتاريخ ١٧–٦–١٩٥٠ صدر في ٢٤–٦–١٩٥٠
أعاد طبعها في نهاية قصائد عارية ط٢ ، بغداد ١٩٥٥ ، مطبعة المعرفة ولم يجر عليها تعديلا أو تصحيحا •

مقالات في النقد الأدبي — نقد ، ١٩٥٥ ، بغداد ، المطبعة العربية ، الناشران: توفيق محمود حلمي وسلمان نعمان الاعظمي — ٨٧+١ص •

نشيد الإنشاد — نثر مركز ، ١٩٥٥ ، بغداد • له مقدمة ص ص ٥–٧ النشيد في ثمانية مقاطع + النص الكامل لنشيد الإنشاد كما جاء في العهد القديم من الكتاب المقدس للملك سليمان الحكيم ص ص ٦٩–٧٩

هلاهل نحو الشمس مركز ١٩٥٩ ، بغداد ، شركة التجارة والطباعة، تموز ١٩٥٩ • طبع من هذا الكتاب ألف نسخة فقط • صورة الغلاف بريشة الفنان محمود صبري • المقدمة (١ — ١٠ صفحة) -٥٢ص+ ٤ص للشروح+صفحة : كتب للمؤلف[٢] + صفحة إعلان : بالقرب من النجوم ، شعر ، قصيدة طويلة تصور كفاح شعب التبت وانتصاره

العظيم على المؤامرة القذرة التي قامت بها العناصر الرجعية بمساعدة الاستعمار العالمي (تنظر أغصان الحديد) ـ الثمن ١٢٠ فلسا .

---

(١) يخلو الكثير من مؤلفات حسين مردان من تاريخ الطبع واسم المطبعة وقد استعنت على تاريخ ما أمكن تأريخه من حديثه ـ أو كتابته ـ عن نفسه ، ومن مصادر أخرى .. وبالاستنباط . .ويبقى بعضها محل شك !

(٢) يمكن أن يعد تسلسل مؤلفاته في القائمة هذه تسلسلا تاريخيا : (١) قصائد عارية (٢) اللحن الاسود (٣) صور مرعبة (٤) رجل الضباب (٥) عزيزتي فلانة (٦) مقالات في النقد الأدبي (٧) الربيع والجوع (٨) رسالة من شاعر الى رسام (٩) نشيد الانشاد (١٠) العالم تنور (١١) الأرجوحة هادئة الحبال ـ التسلسل في ذاكرة المؤلف في الأقل .

تضاف اليها (١٢) هلاهل نحو الشمس (١٣) أغصان الحديد (١٤) طراز خاص (١٥) الأزهار تورق داخل الصاعقة .

٦ ـ فهرست المقالات التي وردت في كتاب الازهار تورق داخل الصاعقة مع بيان لسنة المجلة الف باء وعددها وتاريخ نشر المقالات مقابلا برقم الصفحة التي وردت عليها من الكتاب

عنوان المقالة في الكتاب	رقم الصفحة في الكتاب	عدد المجلة	سنة المجلة	تاريخ النشر
الذي يقف فوق جسده	٥	٩٧	الثالثة	٣ حزيران ١٩٧٠
الغربة في الأدب الحديث	٨	٩٦	الثالثة	٢٧ أيار ١٩٧٠
الحب والوطواط	١١	١٢٤	الثالثة	٢٦ كانون الاول ١٩٧٠
منائر كربلاء وقمة أفرست	١٤	٢٥	الأولى	١١ كانون الاول ١٩٦٨
الثورة نوع من الجمال	١٧	٥٧	الثانية	١٣ آب ١٩٦٩
الرخ والحليب الأسود	٢٠	١٠١	الثالثة	١ تموز ١٩٧٠
اللون في الصورة	٢٣	٧٠	الثانية	١٢ تشرين الثاني ١٩٦٩
طفلة وألف شهيد	٢٧	١٠٠	الثالثة	٢٤ حزيران ١٩٧٠
الشرفة الذهبية	٣٠	١٢٥	الثالثة	٢٣ كانون الاول ١٩٧٠
العصفور والفواكه الصناعية	٣٠	١٣١	الثالثة	٣ شباط ١٩٧١
الثورة والنعومة	٣٦	١١٦	الثالثة	١٤ تشرين الأول ١٩٧٠
السمك يفقد طعمه الدموي	٣٩	١٢٩	الثالثة	كانون الثاني ١٩٧٠
القطة تقفز في الفضاء	٤٢	١٣٢	الثالثة	١٧ شباط ١٩٧١
لمحة عن تطور فكرة الموت في الشعر العربي	٤٥	٢٣	الأولى	٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٨
الصاعقة ورأس الشمعة	٤٨	١٢٧	الثالثة	٦ كانون الثاني ١٩٧١

عنوان المقالة في الكتاب	رقم الصفحة في الكتاب	عدد المجلة	سنة المجلة	تاريخ النشر
الشاعر وفرس النبي	٥١	١١٣	الثالثة	٢٣ أيلول ١٩٧٠
الشاعر والثغور الناعمة	٥٤	٤٧	الثانية	٢٨ أيار ١٩٦٩
العمق كبعد ثالث	٥٧	٩١	الثانية	٢٢ نيسان ١٩٧٠
حكاية من نقطة الصفر	٦٠	١١٠	الثالثة	١٢ أيلول ١٩٧٠
الشيء الذي لا يوجد	٦٣	١٢٣	الثانية	٩ كانون الأول ١٩٧٠
القلم الأخير في قضية الشرق الاوسط	٦٦	٦٠	الثانية	٣ أيلول ١٩٦٩
على حافة الفردوس	٦٩	١٢٠	الثالثة	١١ تشرين الثاني ١٩٧٠
الحب والحرب وما بينهما	٧٢	٦٤	الثانية	١ تشرين الأول ١٩٦٩
دوران المراوح	٧٥	٥٦	الثانية	٦ آب ١٩٦٩
خواطر قصيرة[٢]	٧٨	—		
النقد السياسي في الأدب	٨٠	٣٩	الأولى	٢ نيسان ١٩٦٩
عجين العيد وماء الذهب[٣]	٨٢	٢٧	الأولى	١ كانون الاول ١٩٦٩
حلم عن الحرب الثالثة	٨٥	٢٦	الأولى	١٨ كانون الاول ١٩٦٨
الزوج الخالد وديستوفسكي	٨٨	١٠٩	الثالثة	٢٦ آب ١٩٧٠
يطبع وجهك على السماء	٩١	٤٠	الأولى	٩ نيسان ١٩٦٩
لقاء مع مصطفى جواد	٩٤	٢٤	الأولى	٤ كانون الثاني ١٩٦٨
كرستال يا بائعة التذاكر	٩٨	٣٦	الأولى	١٢ آذار ١٩٦٩
نحو ثقافة كونية	١٠٠	١٠٨	الثالثة	١٩ آب ١٩٧٠
خناجر وحصان ونايلون	١٠٣	١٠٧	الثالثة	١٢ آب ١٩٧٠

عددالمجلة في الكتاب	سنة المجلة في الكتاب	تاريخ النشر	عنوان المقالة	رقمالصفحة
الشعر من أدوات القتال	١٠٦	٨٩	الثانية	٨ نيسان ١٩٧٠
ملاحظات حول دراسة تأملية[٤]	١٠٩	١١٧	الثالثة	٢١ تشرين الاول ١٩٧٠
قلق السندباد البحري	١١٢	١١٨	الثالثة	٢٨ تشرين الاول ١٩٧٠
بغداديات	١١٥	١١٩	الثالثة	٤ تشرين الثاني ١٩٧٠
شخصية المرأة في ألف ليلة	١١٨	١٢٢	الثالثة	٢٥ تشرين الثاني ١٩٧٠
المقاهي الأدبية[٥]	١٢١	١٠٢	الثالثة	٨ تموز ١٩٧٠
بين الفن النظري والفن التطبيقي[٦]	١٣٣	—	—	—
هلاهل لبيارق الفولاذ	١٤٠	٨٨	الثانية	١ نيسان ١٩٧٠
الناقد والرؤيا الثلاثية	١٤٢	١٢٦	الثالثة	١١ آذار ١٩٧١
انتبه .. فقد تسرق الناقة	١٤٥	١٢٤	الثالثة	٣ آذار ١٩٧١
البلابل مقدسة الغناء[٧]	١٤٨	١١١	الثالثة	١٩ أيلول ١٩٧٠
أين هو الموضوع أو المعسكر الاخير	١٥١	١١٤	الثالثة	٣٠ أيلول ١٩٧٠
لنمنع الماء عن شجرة الخيال	١٥٥	١٤١	الثالثة	٢١ نيسان ١٩٧١
من مخزن الذكريات	١٥٦	١٣٨	الثالثة	٣١ آذار ١٩٧١
الأدب بين الماهية والوجود	١٥٩	١٦٦	الرابعة	١٣ تشرين الاول ١٩٧١
نبوءة عن كلاسيكية جديدة[٨]	١٦١	١٥٤	الرابعة	٢١ تموز ١٩٧٠

عنوان المقالة	رقم الصفحة في الكتاب	عدد المجلة في الكتاب	سنة المجلة	تاريخ النشر
رحيل الكلمات[٩]	١٦٣	٤٩	الثانية	١١ حزيران ١٩٦٩
الحرب والوحوش	١٦٧	٥٠	الثانية	١٨ حزيران ١٩٦٩
الماركسية والوعي	١٧١	٥١	الثانية	٢٥ حزيران ١٩٦٩
أمانة الوعي	١٧٤	٥٢	الثانية	٢ تموز ١٩٦٩
الشعر والآخرون	١٧٧	٥٣	الثانية	١٣ تموز ١٩٦٩
الشعر بين الغيبوبة والوعي	١٨١	٥٤	الثانية	٢٣ تموز ١٩٦٩
الموسيقى الداخلية في القصيدة الحديثة	١٨٥	١٤٧	الرابعة	٢ حزيران ١٩٧١
المعنى في القصيدة الحديثة	١٨٧	١٤٨	الرابعة	٩ حزيران ١٩٧١
قصيدة عن الضحك	١٩٠	١٥٨	الرابعة	١٨ آب ١٩٧١
رسالة ذات بعد واحد	١٩٢	١٥٧	الرابعة	١١ آب ١٩٧١
الخروج من المقلاة	١٩٤	١٦٥	الرابعة	٦ تشرين الاول ١٩٧١
لا يوجد غير وجهي في المـرآة	١٩٦	١٥٢	الرابعة	٧ تموز ١٩٧١
الصعود الى الواقع	١٩٨	١٥٠	الرابعة	٢٣ حزيران ١٩٧١
السفرة التي لا نهاية لها	٢٠٠	١٤٩	الرابعة	١٦ حزيران ١٩٧١
الموسيقى الخارجية في القصيدة[١٠]	٢٠٢	—		
الصورة في الشعر الحديث	٢٠٤	١٤٥	الثالثة	١٩ أيار ١٩٧١
الكركدن وقوانين المرور	٢٠٦	١٦٩	الرابعة	٣ تشرين الثاني ١٩٧١
النثر الشعري	٢٠٩	١٥٣	الرابعة	١٤ تموز ١٩٧١

عددالمجلة	سنة المجلة	تاريخ النشر	عنوان المقالة	رقم الصفحة
	في الكتاب	في الكتاب		
فوق قالب الصابون	٢١١	١٧٣	الرابعة	١ كانون الاول ١٩٧١
هي الآن في شارع فرعي	٢١٣	١٧٤	الرابعة	٢٤ تشرين الثاني ١٩٧١
الضوء أكثر من لون	٢١٥	١٧١	الرابعة	١٧ تشرين الثاني ١٩٧١
الاحتفال المرح	٢١٧	١٤٣	الثالثة	٥ أيار ١٩٧١
بين الأدب والفن(١١)	٢١٩	١٤٢	الثالثة	٢٨ نيسان ١٩٧١
وأخيراً كتبت المقال	٢٢١	١٧٠	الرابعة	١٠ تشرين الثاني ١٩٧١
الجمال وسلطة الأدب	٢٢٣	١٦٣	الرابعة	٢٢ أيلول ١٩٧١
خطاب الى المرأة(١٢)	٢٢٥	—	—	—
موقفنا من الزمن	٢٢٨	١٧٧	الرابعة	٢٩ كانون الاول ١٩٧١
آه يا غصن الزيتون	٢٣٠	٤٤	الأولى	٧ أيار ١٩٦٩

(١) لم يتبع حسين مردان أي منهج لدى نقله المقالات الى الكتاب ، ولم يذيلها بسنة المجلة ، والعدد الذي نشرت فيه ، وتاريخ النشر ، مما يكون صعوبة للباحثين في «المقالة» عنده أو في فكره الأدبي . وقد كلفت نفسي من الجهد في عمل هذا الجدول ما أرجو أن يكون الخطأ فيه قليلا !

(٢) لم استطع الوقوف عليها .

(٣) نشرت بدون توقيع .

(٤) هذه المقالة والثلاث التالية لها مناقشة لكتاب شاكر حسن آل سعيد ـ دراسات تأملية ، بغداد ١٩٦٩ .

(٥) هذا هو تاريخ المقالة الاولى من سلسلة « المقاهي الأدبية » ذات الحلقات الاربع . وقد جمعها هنا في مقال واحد ذي فقرات، الثانية سن٣ ، ع١٠٣ ، ١٥ تموز ١٩٧٠ ، الثالثة سن٣ ، ع١٠٤ ، ٢٢ تموز ١٩٧٠ ، الرابعة سن٣ ، ع١٠٥ ، ٢٩ تموز ١٩٧٠ .

(٦) لم أستطع الوقوف عليها .

(٧) مؤرخة ٣٠ تموز .

(٨) رسمت على « نبؤة » .

(٩) هذه المقالة والمقالات الخمس التالية لها كتبت لمناقشة « البيان الشعري » لمجلة « شعر ٦٩ » .

(١٠) لم أستطع الوقوف عليها .

(١١) نشرت بعنوان « الموضوع بين الأدب والفن » .

(١٢) لم أستطع الوقوف عليها .

المحتوى

الفهرس

الصفحة

(٣)

(٤)

للمـؤلف

- الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ج١ ، بغداد مطبعة المعارف ١٩٥٨ ، ج٢ ، مطبعة العاني ١٩٦١ ــ ط٢ في مجلد واحد، بيروت ، دار الرائد العربي ١٩٨٥ •
- الابن وسبع قصص أخرى (مختارة ومترجمة عن الفرنسية) بغداد ، مطبعة اتحـاد الأدباء العراقيين ١٩٦٠ ــ ط٢ ، بغداد ، دار الشـؤون الثقافية العامة ١٩٨٦ •
- لامية الطغرائي (تحقيق • تحليل • مناقشة) ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٢ •
- مقالات (في النقد الأدبي ••• والتربية) بغداد ، مطبعة اتحـاد الادباء العراقيين ١٩٦٢ •
- الطغرائي (حياته • شعره • لاميته) بغداد ، منشورات مكتبة النهضة، مطبعة التضامن ١٩٦٣ ــ ط٢ ، بيروت ، دار الرائد العربي معد للطبع •
- في القصص العراقي المعاصر (نقد ومختارات) بيروت ، المكتبة العصرية ١٩٦٧ •
- تدريس اللغة العربية (في المدارس المتوسطة والثانوية ، النجف ، مطبعة النعمان ١٩٦٩) ، ط٢ بعنوان أصول تدريس اللغة العربية ، بيروت ، دار الرائد العربي ، ١٩٨٤ •
- محمود أحمد السيد ــ رائد القصة الحديثة في العراق • بيروت ، دار الآداب ، ١٩٦٩ ، ط٢ ، بيروت دار الرائد العربي معد للطبع •

- ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة . بغداد ، مطبعة الارشاد ١٩٧٠ ط٢ ، بيروت ، دار الرائد العربي ١٩٨٤ .

- منهج البحث الأدبي ط١ ، بغداد ، مطبعة العاني ١٩٧٠ ، ط٢ بغداد ، مطبعة أسعد ١٩٧٢ ، ط ٣ بغداد مطبعة أسعد ١٩٧٦ ، ط ٤ بيروت المؤسسة العربية (كتب عليه خطأ ط ٣) ، ط ٥ بيروت المؤسسة العربية ١٩٨٣ ، ط ٦ بغداد ، المكتبة العالمية ١٩٨٤ ، ط ٧ ، بغداد ١٩٨٥ .

- ديوان الخريمي (جمع وتحقيق بالاشتراك مع محمد جبار المعيبد) بيروت ، دار الكتاب الجديد ١٩٧١ .

- ديوان الجواهري (جمع وتحقيق بالاشتراك مع د. ابراهيم السامرائي، د. مهدي المخزومي ، رشيد بكتاش) ج١ – ٧ ، وزارة الاعلام والثقافة بغداد ١٩٧٣–١٩٨٠ .

- ديوان الطغرائي (تحقيق بالاشتراك مع الدكتور يحيى الجبوري) بغداد ، وزارة الاعلام ١٩٧٦ ، ط٢ ، الكويت ، دار القلم ١٩٨٣ .

- ملاحظات على وفيات الأعيان (ط. بيروت) ، مؤسسة الرسالة ١٩٧٧ .

- وراء الأفق الادبي (مقالات) ، بغداد ، وزارة الاعلام ١٩٧٧ .

- الاعمال القصصية الكاملة لمحمود أحمد السيد (اعداد وتقديم بالاشتراك مع الدكتور عبدالاله أحمد) بغداد ، وزارة الثقافة والفنون ١٩٧٨ .

- مقدمة في النقد الأدبي ط ١ ، بيروت ، المؤسسة العربية ١٩٧٩ ، ط ٢ بغداد ، المكتبة العالمية ١٩٨٣ ، ط ٣ معد للطبع .

- منهج البحث في « المثل السائر » . الموصل ، جامعة الموصل ١٩٨٢ .

- الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي ، بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨٣ ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ١٢١ ، ط ٢ بيروت ، دار الرائد العربي ١٩٨٤ .

- ديوان الجعفري (صالح بن عبدالكريم ــ آل كاشف الغطاء ــ بالاشتراك مع ثائر حسن جاسم) بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٥ .

- معجم المطبوعات العربية ــ المملكة العربية السعودية . بغداد ١٩٨٥ .

- تحقيقات ... وتعليقات . بيروت ، دار الرائد العربي ١٩٨٦ .

- الشعر الحر والتراث في الريادة العراقية ، سلسلة « الشعر ومتغيرات المرحلة » (٢) ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٦ .

معد للطبع :

- أســاتذتي ومقالات أخرى ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، دار الحرية للطباعة ١٩٨٧ .
- من حديث القصة والمسرحية ، بغداد ، دار الشــؤون الثقافية العامة ، دار الحرية للطباعة ١٩٨٧ .
- أبو يعقوب الخريمي (حياته وشعره) ، سلسلة الموســوعة الصغيرة . بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٧ .

يصدر قريبا :

- درة التاج من شعر ابن الحجاج ـ اختيار الاصطرلابي (تحقيق) .
- محمد بن سـلام وطبقات الشعراء .
- فوات المحققين .
- أشـتات .
- س ج . س ؟
- عن الكتاب الخليجي
- كتب ... وملاحظات
- وأنت تقرأ ...

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ١٩٨٦

الغلاف رياض عبد الكريم
طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

السعر : ثلاثة دنانير ونصف